

دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس
بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر
من كنوز آباء الكنيسة

www.christianlib.com

نصوص مختارة من كتابات

العلامة ترتيان

من آباء القرنين الثاني والثالث

تقديم: نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس

ترجمة: راهب من دير انبا أنطونيوس

مراجعة: القمص تادرس يعقوب ملطي

دير القديس العظيم الانبا أنطونيوس
بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر .
من كنوز آباء الكنيسة

نصوص مختارة من كتابات العلامة ترقلان

من آباء القرنين الثاني والثالث

٥

تقديم: نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس

ترجمة: راهب من دير انبا أنطونيوس

مراجعة: القمص تادرس يعقوب ملطي

تُرجمت هذه النصوص عن:

The Ante-Nicene Fathers (Vol. 3)
American Reprint Of The Edinburgh Edition
May 1986.
Translated from Latin by:
The Rev. S. Thellwall.

اسم الكتاب: نصوص مختارة من كتابات العلامة ترتليان.

اسم المترجم: راهب من دير أنبا أنطونيوس.

مراجعة لاهوتية: القمص تادرس يعقوب ملطي.

اسم الناشر: مكتبة مارجرس سبورتنج.

الاخراج الفني: رهبان دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس.

اسم المطبعة: بيترا أنوفيشن

رقم الإيداع: ٢٠١٤ - ٢١٤٩٩

التسجيل الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٠-٢٣١٢-٠

ⲁⲃⲃⲁ

ANTONI



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلقنا
وآلينا كما يشاء
الغنى في الدنيا
والمال لا ينجي
من الموت

تقديم

لنفاة الحبر الجليل الأتبا يسطس

بسر الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين.

يبدأ الإنسان المسيحي حياته مع الله بنواله سر المعمودية، الذي فيه يُدْفَن مع المسيح ويقوم معه منتصرًا، فيُمنَح نعمة تجديد الطبيعة التي فسدت بغواية إبليس، ثم يحصل على نعمة تثبيت الروح القدس في سر الميرون، فيسكن فيه الروح القدس ويعمل بداخله، ويحيا بالمسيح "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غل ٢: ٢٠). ثم يمكنه بعدها أن يتمتع بسر الشركة وباقي الأسرار المقدسة، ويتعلم ممارسة وسائل الخلاص، وبالأخص الصلاة في الكنيسة والمخدع. وحينما يتعرض لمحاربات الشرير وإغراءات العالم، تنتشله الكنيسة أمه الحنون بسرعة بسر التوبة والاعتراف قبل أن يغرق في مراغة الحمأة، ويظل طوال حياته يصبر على التجارب والضيق التي لا بد منها "في العالم سيكون لكم ضيق" (يو ١٦: ٣٣). ويجاهد يوميًا بسفك دماه الروحية كالشهيد، بصلب الجسد مع الأهواء (غل ٥: ٢٤)، إلى أن يأتي يوم انطلاق الروح، والحياة في الأبدية السعيدة.

إن هذا الكتاب يأخذنا في جولة بين أهم احتياجات الإنسان المسيحي للخلاص، منذ مولده وحتى آخر يوم في حياته على الأرض، من خلال (المعمودية، الصلاة، والتوبة، والصبر، والاستشهاد)، وهي جميعًا نصوصٌ كتبت في بداية القرن الثالث الميلادي، وجميعها تؤكد أننا نسير على خطى آباء الكنيسة الأوائل إلى يومنا هذا.

الرب يعوِّض أبينا الحبيب القمص تادرس يعقوب ملطي على محبته وتعبه

في مراجعة هذا الكتاب القَيِّم، الرب يديم كهنوته وعطاءه للكنيسة ويمتعه بالصحة والعافية، ويعوِّض أبانا الراهب الحبيب الذي قام بترجمة هذه النصوص المُنتقاة، ويجعلها سبب بركة لكثيرين. يشفاعة كلية الطهر العذراء كل حين والدة الإله القديسة مريم، وشفاعة أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس شفيع ديرنا العامر، وشفاعة قديسي هذه البرية، أنبا بولس البسيط، وأنبا مرقس الأنطوني، وأنبا يوساب الأبح، وأبونا الراهب القديس يسطس الأنطوني، وكل مصاف القديسين. بصلوات أبينا صاحب القداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الأنبا يسطس

عيد التجلي.

أسقف ورئيس دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

١٣ مسرى ١٧٣٠ش

بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر

١٩ أغسطس ٢٠١٤م

صوم السيدة العذراء.



جاذبية كتابات العلامة تريليان

من آباء القرن الثاني الميلادي، غالبًا ما قبل الإيمان المسيحي متأثرًا ببطولة الشهداء المسيحيين بروما وعمل الله الفائق في حياة المسيحيين. كتاباته قبل انحرافه إلى المونتانية جذابه للغاية، تكشف عن مدى جدّيته في الإيمان والسلوك وتكريس طاقاته ومواهبه للشهادة للإنجيل. وقد أثرى المكتبة اللاتينية بكتاباته، وبحسبه كثير من الدارسين أنه مؤسس اللاهوت في الكنيسة الغربية.

هاجم بشدة المسارح والانضمام إلى الجيش والفلسفة، حاسبًا هذا كله انحرافًا نحو العبادة الوثنية. قاوم الزواج الثاني بعد موت الزوجة الأولى، ودافع عن الكنيسة ضد الوثنية وكثير من الهرطقات، وانتقد بعض الكهنة في كل المستويات حتى حسبهم نفسانيين لا روحانيين.

في آخر حياته قاوم الكنيسة الكاثوليكية وانتقدها بعنفٍ، وانضم تدريجيًا إلى المونتانية^١، وبعد فترة انفصل عنهم وصار له تلاميذ يحملون اسمه. استطاع القديس أوغسطينوس أن يجتذبهم إلى الانضمام للكنيسة.

لجاذبية كتاباته قبل تركه الكنيسة لا يزال الكثيرون يقتبسون من كتاباته. في العمل الذي بين أيدينا قام أبونا الحبيب بترجمة خمسة مقالات رائعة، تخرج من قلبٍ جادٍ وعميق، خاصة في تفسيره لكلمة الله.

القمص تادرس يعقوب ملطي

^١ مؤسسها مونتanos ادعى أنه آخر نبي عظيم، أسس المدينة السماوية.

مقدمة عامة

يبين يديك أيها القارئ العزيز خمسة نصوص من أعمال العلامة "ترثليان"، وكلها قد كُتبت في فترة انتمائه للإيمان السليم، أربعة نصوص منها تتدرج تحت مسمى "الأعمال النسكية والأخلاقية"، وهي نصوص (التوبة، الصبر، الصلاة، إلى الشهداء)، وأما نص المعمودية فيندرج تحت ما يسمى بـ (الأعمال الجدلية).

ورغم ابتعاد "ترثليان" عن الإيمان الأرثوذكسي في آخر حياته، إلا أن الكنيسة مازالت تعتبره من الكُتّاب الكنسيين، ولا تنكر وجود الكثير من التعاليم المفيدة في أعماله، وتقبل الكنيسة كل ما يتفق مع عقيدتها الأرثوذكسية السليمة، ومازال الكثيرون من معلمي الكنيسة يستشهدون بالكثير من أقواله. لذلك، نطلق عليه الكنيسة لقب "علامة"، مثلما نطلق كذلك نفس اللقب على "أوريجانوس".

إن الكنيسة لا تجامل المخطئ ولا تراعي الوجوه، بل تواجههم بكل قوة، سواء بالمجادلة والتعليم والنصح، ثم الحرمان إذا استمرَّ على فكره. كما أن الكنيسة لا تعترف بعصمة أحد بصفته الشخصية، ولا تؤمن بالأراء الذاتية الخاصة، لكنها تؤمن بالتقليد الكنسي الشامل والمنفَّق عليه.

ولقد قمت بترجمة هذه النصوص الخمس من الجزء الثالث من مجموعة "آباء ما قبل نيقية، مع التعليق على آراء "ترثليان" الشخصية في هوامش النصوص، والتعليق أيضاً على ما هو مخالف لتعاليم الكنيسة، أو حذفه إذا لزم الأمر. ولقد أثرت كتابة الآيات التي ذكرها "ترثليان" من الترجمة العربية المتداولة بين أيدينا - البيروتية - للتسهيل على القارئ العزيز، لأن "ترثليان"، كأغلب آباء الكنيسة، كان يستشهد غالباً بالآيات من الترجمة السبعينية.

وإن كانت هذه النصوص ليست بدرجة ما كتبه معلمو كنيستنا العظام، الذين

مقدمة عامة

كتبوا أعمالهم باليونانية في القرن الرابع والخامس، إلا أنها ستكون إسهامًا متواضعًا لخدمة محبي الآبائيات، ولخدمة الكنيسة عامة.

الرب يعوض كل من تعب معي في كتابة ومراجعة وتقديم هذا العمل، وبالأخص أبينا المحبوب، **القمص تادرس يعقوب ملطي**، الذي ساعدني كثيرًا وشجعني، الرب يديم عطاءه للكنيسة.

بصلوات أبينا صاحب القداسة **البابا الأنبا تواضروس الثاني**، والذي لا يكف عن تشجيع الرهبان على الدراسة والعلم، وشريكه في الخدمة الرسولية أبي رئيس ديرنا العامر، دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، **نيافة الأنبا بولا** **الأنبا يسحار** مُحب أولاده، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد. آمين

عيد ختان مخلصنا الصالح.

٦ طوبة ١٧٣٠ ش

١٤ يناير ٢٠١٤ م

المترجم

من هو العلامة ترنتليان؟

يُعتبر "ترنتليان" أو (ترنتليانوس) هو مؤسس الأدب المسيحي اللاتيني، ويُعتبر هو والقديس أوغسطينوس أهم من كتبوا باللاتينية، كما يعتبره البعض (أبا اللاتينية الكنسية)، ولا يوجد من العلماء الغربيين من كان في نفس مستواه العلمي والدراسي، فقد كان مُلمًا بالفلسفة ومدارسها وتواريخها، وكان عجيبيًا في قدرته على الإقناع، وكان أول من كتب في الدفاع عن المسيحية باللاتينية، لأن كل من سبقوه في علم الدفاع كتبوا باليونانية، مثل "أرسنيدس"، "يوسنتيوس الشهيد"، "أثيناغوراس"، "أوريغانوس"، و"تاتيانوس".

ونظرًا لمكانته العظيمة في ذلك الوقت، كان القديس "كبريانوس" يقرأ له دومًا، ولا يدع يومًا يمرُّ دون أن يقرأ شيئًا من كتاباته، وكان يقول لتلميذه: "أعطني المعلم"، إشارة إلى "ترنتليان".

نشأته:

اسمه بالكامل "كوينتوس سبتييموس فلورنس ترنتليانوس". وُلد في عائلة وثنية ما بين عامي ١٥٥م - ١٦٠م في مدينة قرطاج بتونس، وكان والده قائد مئة في الجيش الخاص بالوالي الروماني. تعلم اللغة اللاتينية منذ نشأته، وتعلم الخطابة، كما درس اليونانية وأتقنها نطقًا وكتابةً، وتعلّم فنون الفلسفة والطب، وبالأخص القانون. سافر إلى "روما" في شبابه ليكمل دراسته، وقضى فيها أكثر سنوات عمره إثمارة، وبعد دراسته اشتغل بالمحاماة، ثم عاد إلى قرطاج بين عامي ١٩٣م و١٩٥م.

من هو العلامة ترنتليان؟

إيمانه:

حدث تحولٌ كبيرٌ في حياته بعد عودته إلى إفريقيا، إذ أصبح مسيحيًا. ورغم أن أسباب اعتناقه المسيحية غير معروفة، لكن من الواضح من كتاباته أنه تأثر بمشاهد البطولة التي أظهرها الشهداء المسيحيون في "روما"، وبالمعجزات التي كانت تتم على أيدي المسيحيين في تلك المدينة، ثم بعد اهتدائه إلى المسيحية، كرّس حياته للدفاع عن إيمانه الجديد بكل قوةٍ وحماسةٍ حتى النهاية.

يؤكد القديس "إيرونيموس" (جيروم) أنه رُسم كاهنًا، وأن هذه الرسامة جرت بعد رجوعه من روما مباشرة، لكن هذا الأمر غير مدعّم تاريخيًا حتى الآن.

في جميع الأحوال، سواء كان قد رُسم كاهنًا أم ظل علمانيًا، فإنّه سحّر كل علمه ونشاطه لخدمة المسيحية والدفاع عنها ضد البدع، وذلك حتى آخر لحظة من حياته.

ابتعاد "ترنتليان" عن الكنيسة:

مرَّ "ترنتليان" بأزمة حادة في الكنيسة فيما بين عامي ٢٠٣م - ٢١٢م، وابتعد شيئًا فشيئًا عن الكنيسة. هذه الأزمة لا يعرف المؤرخون تفاصيلها، وحتى هو نفسه لم يتحدث عنها في مؤلفاته. لكن من المعروف أن آراءه تطورت مع الوقت، واتجهت نحو المونتانية ذات الصبغة النبوية.

"المونتانية" هي بدعة أسسها شخص يدعى "مونتانوس" كان ينادي بأن الوحي لا ينقطع من العالم، بل هو مستمر في شخصه - أي أن "مونتانوس" هو الوحي - الذي هو "البارقليط" أو المعزي الذي يتكلم الروح القدس من خلاله للكنيسة، وأن المسيح قريب على الأبواب، وعلى الكنيسة أن تبتعد عن العالم وتترقب قدوم المسيح، ومادام يعتقد أنه الروح القدس، فهو وحده الذي يستطيع قبول

الساقطين إلى أحضان الكنيسة وليس الأساقفة، لأنهم على حد قوله: "تتقصهم قيادة الروح القدس".

يقول المؤرخ "يوسابيوس" القيصري إن سبب ظهور هذه البدعة هو تأثير "مونتanos" حين اهتدى إلى المسيحية بعبادة "قيباليس" إلهة الخصب، فاعتبر نفسه "أرغن" الروح القدس، وأنه يحمل وحيًا جديدًا يتفوق على وحي التقليد والكتابات الرسولية، ولهذا رفضت المجموعات المرتبطة بهذا الانبعاث الروحي سلطة الأساقفة المحليين المتعلقين بالتقليد القديم، ولكن أصحابها بقوا في الكنيسة وحاولوا أن يدخلوا إليها التشف والتقى.

حارب أساقفة "آسيا" هذا التيار، لكنه انتشر في الغرب، فوصل إلى "ليون" بفرنسا و"روما" ثم إلى "قرطاج"، واستطاعوا أن يربحوا "ترتليانوس" حوالي سنة ٢٠٧م، ثم أسس هو نفسه جماعة منشقة.

من الثابت أنه منذ ذلك التاريخ تقريبًا، أخذ يتحدث بإعجاب ملحوظ عن عمل الروح القدس في الكنيسة، وعن الأنبياء والرؤى. كما بدأ يثني على الممارسات الزهيدة الشديدة عند الجماعات المونتانية في ذلك الزمن. كان ينتقد "التسامح" الذي وجده في الكنيسة، فيما يختص بلباس النساء وحجاب العذارى والزواج الثاني والصيام، بل ذهب فيما بعد إلى أقصى الحدود في انتقاد الكنيسة ليميز أعضاءها الذين أسماهم بـ "النفسانيين"، عن "الروحانيين" الذين حصلوا على أنوار الروح القدس المحفوظة.

وفي حوالي عام ٢١٣م فقد ترتليان كل اتزان في علاقته مع الكنيسة، وكان السبب الظاهر هو قبول بعض الجنود المسيحيين لـ "إكليل الغار" بحسب التقاليد المعمول بها في الاحتفال المسمى "دونايطوم". وانتقد كذلك تشجيع الأساقفة لهرب كثير من المسيحيين في أثناء الاضطهادات، كما اعتبر أن انخراط المسيحيين في وظائف الدولة يجعلهم - في نظره - متواطئين مع عبادة الأوثان.

من هو العلامة ترنتليان؟

كل هذه الأشياء جعلت "ترنتليان" ينتقد الكنيسة. ففي رأيه، لا مجال للحلول الوسط، إذ على المؤمن أن يختار بين الله والعالم، ولا توجد حلول وسط بين الفضيلة والرذيلة. ولذلك رأى أن الكنيسة - بوضعها الذي وصفناه - أصبحت مكاناً لا يؤمن خلاصه.

نهاية حياته:

لزم "ترنتليان" الصمت في آخر حياته، فلمّا تقدّم في السن تعب من الجهاد، وكان يخرج بين الحين والحين عن صمته ليوجّه نقدًا لاذعًا إلى الكنيسة. يرجّح المؤرّخون أن آخر كتاب وضعه يرجع إلى عصر البابا "كلستس" (٢١٧م-٢٢٢م)، ورغم أننا لا نعرف تاريخ وفاته على وجه الدقة، لكن لا بد أنه كان بعد عام ٢٢٠م. وقد قال القديس أوغسطينوس أنه ترك مجموعة صغيرة من أتباعه سمّت على اسمه، وظلّت حيّة حتى بداية القرن الخامس، واستطاع أوغسطينوس نفسه أن يضم هذه المجموعة إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية.

طباعه، وسمات أسلوبه:

كان متطرفاً في مواقفه بشكل لا يعرف حدوداً، فحينما كان يقتنع بفكرة، كان يتابعها إلى آخر مدى بدون مراعاة لمتطلبات الواقع، فكان يعتبر ألا وجود لحيد وسط بين الخير والشر، وبين الحقيقة والضلال، وعندما كان يكتشف أنه وقع في خطأ ما، لم يكن يتردد في حرق كل ما صنعه حتى ذلك الوقت.

وعندما اهتدى إلى المسيحية، هاجم الوثنيين بشكلٍ شديد، كما هاجم اليهود والهرطقة. وهذا التطرف في المواقف جعله عديم الصبر وكثير المبالغة في مواقفه،

العلامة تريليان

وكثير التناقضات في أفكاره.

أمّا عن أسلوبه، فقد كان فصيح الكلام وقوي الأسلوب أكثر من أي أحد من معاصريه، وكانت لديه الأدوات اللازمة لذلك لأنه درس الأساليب الأدبية في المدارس، واستخدم كل مصادره في اللغة والجدل والبلاغة. لم يكن يتقيد بقواعد اللغة، فكان يبتدع الكلمات الجديدة ليعبر عن فكرته، ولكونه قد درس القانون، لم يتردد في استخدام جميع الحجج القانونية التي كانت في جعبته.

وأمّا مؤلفاته ففهمها صعب للغاية، رغم أنه كان يتمعن في كتابة الجمل القصيرة المفعملة بالمعاني والدلالات، وربما يكون هذا هو ما أدّى إلى الشعور بغموض المعنى. ويتميز "تريليان" بأنه كاتب عظيم، وهو الذي نَصّر وطوّع اللغة اللاتينية لخدمة المسيحية في نهاية القرن الثاني الميلادي، ويتميز أسلوبه أيضًا بكثرة استخدام الأسئلة الاستنكارية، وطريقة السخرية.

لقد كان ملماً بالكتب المقدسة بشكل كبير مما جعله يكتب ويستشهد بآيات كثيرة منه، ومع ذلك، فقد كان يمزج بين الآيات أحياناً، وأحياناً أخرى كانت تختلط عليه أماكن ومواقف الكتاب المقدس نفسها. كما كان يستشهد كثيرًا بأمثلة من واقع الحياة الرومانية، أو من التاريخ العالمي عامةً.

مؤلفاته:

يقسم المؤرخون مؤلفات "تريليان" إلى ثلاث مراحل تبعاً لفترات حياته:

أولاً: فترة انتمائه إلى العقيدة الأرثوذكسية السليمة:

وقد كتبها بين عامي ١٩٧م - ٢٠٦م. وهي:

١- إلى الشهداء: (١٩٧م - ٢٠٣م) وفيه يتوجّه تريليان إلى المسيحيين

المسجونين ليحثهم على الاحتفاظ بالسلام فيما بينهم وعلى تحمّل الألم بشجاعة

من هو العلامة تروتيان؟

لأجل المسيح.

٢- إلى الأمام: (١٩٧م) كتاب دفاعي مكرّس لفصح جرائم الوثنيين، ولدحض العقائد التي تنادي بتعدد الآلهة.

٣- الدفاع: (نهاية عام ١٩٧م)، وهو موجّه إلى حكام الأقاليم، وخاصة حاكم إقليم "إفريقيا". ويبرهن فيه بالقانون أن الإجراءات المتخذة ضد المسيحيين غير قانونية وظالمة، ويُعتبر من أهم مؤلفاته.

٤- المسرح: (٢٠٠م - ٢٠٢م) يدين فيه المسرح باسم الأخلاق المسيحية، كما يدين كل من يشاهد المسرح، سواء ألعاب السيرك أم المشاهد المسرحية الأخرى، ويعلن أن هذه الأشياء لأخلاقية، وملينة بالمعتقدات الوثنية.

٥- ضد الهرطقة: (حوالي عام ٢٠٠م) ويستعرض فيه وسائل محاربة البدع الخارجة على المسيحية.

٦- الصلاة: (١٩٨م - ٢٠٠م) وهو يتكلم عن الصلاة الربانية، ثم يناقش الصلاة وأهميتها، ويناقش بعض العادات الخاطئة المتعلقة بالصلاة.

٧- المعمودية: (١٩٨م - ٢٠٠م) يتعرض فيه للمشاكل التي تدور حول العماد.

٨- الصبر: (٢٠٠م - ٢٠٦م) وهو يُعرّف الصبر المسيحي وقد أوضح الاستعداد الذي يجب أن يكون عليه كل مسيحي كي يتحمّل الألم من أجل الله.

٩- التوبة: (٢٠٣م) يتحدث فيه أولاً عن فضيلة التوبة، ثم عن التوبة التي تُعد الشخص لاستقبال العماد، ثم عن التوبة التي تمنحها الكنيسة للمُعمّد المذنب والتائب.

١٠- الزينة النسائية: (٢٠٠م - ٢٠٦م) يتحدث فيه عن زينة النساء، ويحارب فيه الأشكال المختلفة لهذه الزينة.

١١- الزواج الثاني: (٢٠٠م - ٢٠٦م) وفيه يكتب إلى زوجته طالباً منها ألا

تتزوج مرةً أخرى إذا مات زوجها. ورغم أنه يُقبل وجود زواج ثانٍ، إلا أنه لا يفضلُه، ويعتبره ضعفاً بشرياً.

١٢- الرد على هرموجين الغنوصي: وفيه يُثبت أن العالم له بداية، وأن الله هو خالقه، وأن المادة خيِّرة.

١٣- الرد على اليهود: (٢٠٠م - ٢٠٦م) وفيه يدل على أن الناموس القديم المبني على العدل والانتقام يجب أن يختفي ويترك المكان للناموس الجديد، ناموس الحب الذي سبق وتحدث عنه الأنبياء.

١٤- الرد على إيلياكس (من أتباع مرقيون): (٢٠٠م - ٢٠٦م) وفيه يقدِّم نظرية مرقيون.

ثانياً: الفترة الشبه المونتانية:

وكان "ترنتليان" يتأرجح فيها بين الإيمان السليم ومذهب المونتانية:

١- إلى العذارى: (حوالي ٢٠٦م) وفيه يأمر العذارى بضرورة لبس غطاء الرأس. ويُعتبر هذا الكتاب أول علامة تحول لترنتليان عن الأخلاق المسيحية المعتدلة.

٢- الرد على مرقيون: عبارة عن خمسة أجزاء بدأها في ٢٠٠م وأنهاها في ٢١١م.

٣- الدفاع عن نفسه: كتبه للدفاع عن نفسه، لأنه لما ارتدى التوجا (الرداء الخاص بالفلاسفة الرومانية) أخذ البعض يستهزئون به، فكتب يدافع عن نفسه.

٤- الرد على "قالتين": (٢٠٩م - ٢١١م) وفيه يدحض غنوصية قالتين.

٥- النفس: كتب فيه عن طبيعة النفس وأصلها، وعن الموت، واستلهم أفكاره من الفلاسفة اليونانيين، خاصةً الرواقبيين.

من هو العلامة ترنتليان؟

٦- تجسد المسيح: (٢٠٩م - ٢١١م) كتبه ردًا على البدعة الظاهرية التي أنكرت أن للمسيح جسداً.

٧- قيامة الأجساد: (٢٠٩م - ٢١١م) فيه دلٌّ على صحة قيامة الأجساد، مستندًا إلى البراهين العقلية والكتابية.

٨- عظة إلى "كاستينيس": كتبه لصديق له بعد وفاة زوجته، محرمًا عليه التفكير في الزواج مرة أخرى.

٩- الإكليل: (٢١١م) كتبه بمناسبة رفض جندي مسيحي حمل إكليل الغار، كما جرت العادة في حفل توزيع الهدايا العسكرية، فوُضع العسكري في السجن بسبب رفضه الأوامر العسكرية، وكان أغلب المسيحيين والأساقفة قد أدانوا موقف هذا الجندي، واعتبروه متشددًا طالما أنه لم يقدم البخور أو يسجد للآلهة. وهذا الكتاب يدافع ترنتليان بشدة عن موقف هذا الجندي الشجاع، ويقول بأن الخدمة العسكرية في ظل الإمبراطورية لا تتفق مع معتقدات المسيحيين.

١٠- عبادة الأوثان: (٢١١م - ٢١٢م) يعالج فيه العلاقات بين المسيحيين والوثنيين، إذ يحرم فيه على المسيحيين صناعة التماثيل التي تستخدم في عبادة الأصنام، والتجارة في هذه التماثيل، وهو في هذا الأمر محقٌ ولا غبار عليه. إلا أنه حرم أيضًا على المسيحيين الانخراط في سلك الجندية، وحرّم التجارة مع الوثنيين، وممارسة الوظائف الرسمية في الحكومة، كما حرّم الدخول في المدارس الحكومية. وهكذا دعا "ترنتليان" المسيحيين إلى العزلة التامة بشكلٍ قاسٍ.

١١- الردّ على العقرب: (٢١١م - ٢١٢م) وهو موجه ضد الغنوصيين الهراطقة الذين أنكروا ضرورة الاعتراف بالإيمان حتى الاستشهاد.

١٢- إلى سكاپولا: (٢١٢م) كتبه بعد حادثة كسوف الشمس التي تمت في ١٤ أغسطس ٢١٢م. وهو عبارة عن رسالة وجهها إلى الحاكم الروماني المسؤول عن مقاطعة "إفريقيا"، وذلك بسبب اضطهاده المسيحيين، وفيه يهدده بغضب الله.

ثالثاً: المدة المونتانية في حياة ترنتيان:

١- الهروب في أثناء الاضطهاد: (٢١٣م) وهو أول ما كتبه بصفته المونتانية. ويهاجم فيه بشدة هروب المسيحيين في أوقات الاضطهادات، وينتقد استخدامهم الرشوة للقضاة الوثنيين ليعيشوا في أمان دون مضايقات، ويؤكد فيه على أن الاستشهاد واجب، وقبوله ضروري على المسيحي.

٢- الردّ على "براكسياس": (بعد عام ٢١٢م) يهاجم فيه بشدة عقيدة المونارخيانّة والشكلية (الموداليزم) التي وضعت عقيدة الثالوث في خطر، وشوهت التعليم المسيحي القائل بوحداية الله في ذاته وصفاته الذاتية الثلاثة، وفيه يؤكد على وحدانية الله، ووجود ثلاثة أقانيم إلهية متساوية في جوهر واحد، وذات إلهية واحدة غير متجزئة.

٣- الزواج الواحد: (بعد عام ٢١٣م) كتبه إلى زوجته، ويحرم فيه الزواج الثاني بعد وفاة أحد الزوجين وهو الأمر الذي رفضته الكنيسة.

٤- في الصيام: ردّاً على النفسانيين: وينتقد فيه المسيحيين الأرثوذكس غير المتمسكين بتقاليد الصيام، ويعرض عقيدة الروح القدس المونتانية عن الصيام.

٥- استشهاد القديستين "دائمة وسعدى"، رغم أن البعض يشكك في أنه هو الذي كتبه.

٦- وفي آخر مؤلفاته هاجم شخصاً، يُعتقد أنه أسقف، لأن هذا الشخص قبل توبة الناس الذين ارتكبوا خطيئة الزنا بعدما تابوا وقبلوا التأديب الأخلاقي اللائق بهذه الخطيئة. والكتاب يتحامل بعنف لا مثيل له على هذا الشخص طبقاً للمعتقد المونتاني، الذي لا يقبل توبة بعض الخطايا كعبادة الأوثان والزنا، حتى وإن تاب مرتكبها.

المترجم

إلى الشهداء

إلى الشهداء

للعامة ترليان

إلى الشهادة

مقدمة

كُتِبَ هذا العمل ما بين ١٩٧م - ٢٠٣م، وفيه يوجّه ترتليان الحديث إلى المسيحيين المسجونين بغرض التقديم للمحاكمة بتهمة اعتناق المسيحية، ليحثّهم على الاحتفاظ بالسلام والمحبة فيما بينهم، وعلى تحمّل الألم بشجاعة لأجل المسيح. وهو يحاول أن يبين لهم أنهم مغبوطون من جميع النواحي، فهم في الوقت الحاضر (أي في السجن) قد تخلصوا من المناظر الوثنية المُعْثَرة، كما أنهم هربوا من سجن العالم إلى مكان أفضل لحياتهم الروحية.

ثم يُذكّرهم بالأكالييل المعدة لهم كجنود للمسيح، ويدعوهم للاحتمال حتى النهاية، مثل الجندي الذي لا يمكن أن يهتم بالراحة الجسدية وقت الحرب، ويعطيهم أمثلة من واقع الحياة في ذاك الوقت، كالمصارعة الرومانية، والرياضات الأخرى التي يبذل فيها المتبارون قصارى جهدهم لأجل الفوز، بل وحتى بعض العبادات الوثنية التي يضحي الشباب فيها بتحمل الألم، لأجل رضى الآلهة عنهم.

كما يذكر أيضًا بعض الأمثلة العامة لأناس ماتوا لأجل أغراض عالمية أو أخلاقية، كيما يغاروا منهم إذا ما اضطربوا وخافوا، ثم يوضح لهم أنهم كانوا من الممكن أن يلقوا حتفهم فجأة، سواء بسبب وحش مفترس من وحوش البرية، أو بسبب اللصوص، أو بسبب النيران.

أخيرًا، رغم أن النص صغير، إلا أنه أحدث صدًى كبيرًا بين القدماء على مرّ التاريخ، ونال إعجاب الكثيرين. كما أن احتمال المسيحيين للألام كان هو السبب في إيمان ترتليان، كما يظن الكثيرون.

في هذا النص يؤكد لنا العلامة ترتليان أن:

١- الروح القدس يلزم المؤمنين في السراء والضراء ولا يستنكف من

الدخول معهم إلى السجن.

"لا تحزنوا الروح القدس الذي دخل السجن معكم." (الفصل الأول)

٢- الوسيلة الحقيقية لمحاربة الشيطان هي محافظة المؤمنين على السلام فيما بينهم، والشعب يتشجع حينما يرى السلام يعم بين الكنيسة، وبالأخص بين الإكليروس. "لأن السلام فيما بينكم هو الحرب معه." (الفصل الأول)

٣- العالم بالنسبة للمؤمن هو سجن للروح، أما السجن والجلد والاستشهاد فهم في الحقيقة شهوة المؤمنين، والمؤمن الحقيقي يعتبر السجن مثل البرية الجوانية المناسبة للخلوة والتأمل. "يقدم السجن للمسيحي ما قدمته البرية للأنبياء، لذلك

دعونا نطرح لفظ (سجن) ونسميه مكان الخلوة". (الفصل الثاني)

٥- الجهاد الروحي يحتاج إلى الجدية والرجولة الروحية، والمسيحي هو جندي في جيش الرب، والجندي لا يجب أن يبحث عن الراحة طوال فترة الحرب. (الفصل الثالث)

٦- يمكن للإنسان المسيحي أن يتعلم حتى من غير المؤمنين، والله يسمح بذلك لتحفيز المؤمنين، ولإشعال الغيرة في قلوبهم. "إن الرب لم يسمح لهذه الأشياء في العالم بدون سبب أيها المباركون، بل لأجل تحفيزنا الآن، وأيضاً لأجل خزينا في ذلك اليوم إذا خفنا من التألم لأجل الحق، الذي هو خلاصنا. في حين أن الآخرين بدافع الزهو قد طلبوه بلهفة لأجل هلاكهم!" (الفصل الرابع)

المترجم

إلى الشهادة.

إلى الشهادة

الفصل الأول

أيها المباركون المختارون للاستشهاد، إلى جانب المعونة التي تقدمها سيدتنا وأمنا الكنيسة من ثدييها الكريمين، والتي يقدمها كل أخ من دخله الخاص لأجل احتياجاتكم الجسدية في السجن، اقبلوا مني بعض المساهمة لأجل مساندتكم الروحية، لأنه ليس حسناً أن يأكل الجسد وتتضور الروح جوعاً، بل إن كان هذا الضعيف يُعْتَنَى به باهتمام، فبالأولى يجب ألا يُهْمَل ما لا يزال أضعف.^١

ليس لأنني مستحق أن أنصحكم بصفتي الشخصية، لكن لأنه ليس فقط المدرّبون والمراقبون، بل وحتى عديمي الخبرة - بل وكل من أرادوا ذلك دون أن يطلب منهم أحد - اعتادوا أن يحفزوا المصارعين الأكثر براعةً بصيحاتهم عن بُعد، ومن أقل حشدٍ للمتفرجين تأتي الاقتراحات المفيدة في بعض الأحيان.

فلذلك أيها المباركون، أول كل شيء لا تُحزنوا الروح القدس^٢ الذي دخل السجن معكم، لأنه لو لم يكن قد دخل معكم إلى هناك لما كنتم هناك اليوم، فهل أنتم تبذلون إذًا كل جهدكم لأجل الاحتفاظ به؟ فلأجل ذلك إذًا دعوه يرشدكم إلى ربكم.

في الحقيقة، إن السجن أيضًا هو بيت الشيطان^٣ الذي يُبْقِي فيه عائلته، لكنكم قد أنتم إلى داخل جدرانه لأجل هذا الغرض بالذات، أن تطأ أقدامكم على ذلك

^١ أي أن ما يتعب المسجونين ليس هو عناء الجسد، بل بالأكثر التعب النفسي، والروح المعنوية.

{الترجم}

^٢ (أفسس ٤: ٣٠)

^٣ حيث أن السجن للصوص والزناة والمجرمين، وكلهم من أتباعه.

الشرير في مكانه المفضل^١.

أنتم بالفعل قد غلبتموه تمامًا في حربٍ مُعدّة، فلا تدعوا له أي حق في أن يقول لنفسه: "إنهم الآن في منطقة نفوذي، سوف أغويهم بضغائن دنيئة، وبارتدادات وخصومات بينهم". دعوه يهرب من جواركم ويتوارى عنكم إلى هاويته. دعوه يتضاؤل ويهدم كحية أسكها الحاوي، أو أرغمت على الخروج من وكرها^٢.

لا تمنحوه النجاح في مملكته بخلافكم مع بعضكم البعض، لكن دعوه يجدكم مسلحين ومُحصّنين بالاتفاق، لأن السلام فيما بينكم هو الحرب معه^٣، فبعض الذين لا يجدون هذا السلام في الكنيسة، اعتادوا أن يطلبوه في الشهداء المسجونين. لذلك، يجب عليكم أن تجعلوه يسكن بينكم، وتعزّزوه وتحمّوه، فربما يمكنكم أن تمنحوه للآخرين.

الفصل الثاني

ومثلما قد رافقكم أقرباؤكم حتى باب السجن، رافقتكم أيضًا عوائق أخرى للروح. فإن كنتم من تلك اللحظة قد انفصلتم عن العالم، فكم بالأكثر يكون انفصالكم عن أسلوب الحياة العالمية وكل أعمالها؟!

لا تدعوا هذا الانفصال عن العالم يزعجكم، لأننا لو اعتبرنا العكس، أي أن العالم هو نفسه السجن الحقيقي، فسوف ندرك أنكم قد خرجتم من سجن، بدلاً من

^١ أي في عقر داره.

^٢ حيث كانوا يملؤون مكانها بالدخان، فتخرج إلى خارج، ثم يتم اصطيادها وقتلها. {المترجم}

^٣ ولذلك تصلي الكنيسة أوشية لأجل سلام الكنيسة، مباشرة بعد حلول الروح القدس في القديس. لأن السلام بين أعضاء الكنيسة، بدءًا من "الإكليروس" إلى أصغر طفل، هو الحرب ضد الشيطان.

{المترجم}

إلى الشهداء.

كونكم قد دخلتم سجنًا.

إن العالم فيه الظلام الأكبر^١ الذي يُعمي قلوب الرجال. العالم يفرض القيود الأكثر إبلاماً، والتي تُقيّد أشد أرواح الرجال، فإن العالم يزفر بأسوأ النجاسات - أي الشهوات البشرية. العالم يحوي أكبر عدد من الجرائم التي هي جرائم الجنس البشري كله، وفي النهاية يتربص الدينونة، ليس من الوالي بل من الرب.

فلذلك أيها المباركون، اعتبروا أنفسكم قد نُقلتم من سجنٍ إلى ما يمكن أن نسميه دار الأمان. إنه مليء بالظلام، لكن أنتم أنفسكم النور.^٢ فيه قيود، ولكن الله قد حرركم.^٣ فيه روائح كريهة، لكنكم رائحةً ذكيةً.^٤ تنتظرون القاضي كل يوم، لكنكم ستدينون القضاة أنفسهم.^٥ إن من يحزن هناك هو من ينظر إلى متع العالم.

الإنسان المسيحي قد رفض العالم خارج السجن، لكنه قد رفض سجنًا أيضًا^٦ داخل السجن. ليس مهمًا أين مكانكم في العالم يا من لستم منه،^٧ فإذا كنتم قد فقدتم فقدتم بعض متع العالم، فهذه هي طبيعة التجارة أن تكابد خسارة حاضرة حتى يكون الريح فيما بعد أعظم.

حتى الآن أنا لم أذكر شيئاً عن مكافآت الرب التي يدعو إليها الشهداء، لكن دعونا مؤقتاً نقارن بين حياة العالم وحياة السجن، ولنرى إن كانت الروح لا تُجني

^١ لأن السجن غالب يكون مظلمًا، فهو يريد أن يوضح أنه مهما كان السجن مظلمًا، فالعالم في الحقيقة أكثر ظلامًا.

^٢ (مت ٥: ١٤)، (أف ٥: ٨)

^٣ (غل ٥: ١)

^٤ (٢كو ٢: ١٥)

^٥ (١كو ٦: ٢)

^٦ أي أن من بالداخل قد خرج من سجنًا أيضًا (أي سجن العالم).

^٧ (يو ١٧: ١٦)

في السجن أكثر مما يخسر الجسد، لكن باهتمام الكنيسة وبمحببة الإخوة، فحتى الجسد هناك لا يخسر ما ينفعه، في حين أن الروح كذلك تتال فوائدًا عظيمة.

أنتم لستم مضطرين للنظر إلى الآلهة الغريبة، ولا تصطدمون بصورها. ليس لكم شركة في الأعياد الوثنية، ولا حتى بمجرد الاختلاط الجسدي.^١ لستم متضايقين من الروائح النجسة التي للاحتفالات الدينية الوثنية، ولستم متألمين من ضوضاء العروض العامة، ولا من فظاعة وجنون وخلاعة المحتفلين،^٢ ولا تقع أعينكم على المواخير وبيوت الدعارة. أنتم متحررون من مسببات الخطية ومن التجارب والتذكارات الدنسة^٣، بل أنتم أحرار الآن أيضًا من الاضطهاد.

يقدم السجن للمسيحي ما قدمته البرية للأنبياء، وحتى ربنا نفسه قضى الكثير من الوقت في الخلوة، حيث أمكنه أن يحصل على حرية أكبر للصلاة، وحتى يمكنه أن يتخلص من العالم، وقد أظهر مجده للتلاميذ في خلوة جبلية أيضًا.^٤

لذلك دعونا نطرح لفظ (سجن) ونسميه مكان الخلوة، فبالرغم من أن الجسم محبوس والجسد مقيد، لكن كل الأشياء متاحة للروح. إذًا، طوفوا بالروح خارجًا وتزهوا، ولا تهبطوا^٥ عند الممرات الظليلة أو المصفوفة بالأعمدة، بل في الطريق المؤدي إلى الله. كلما سارت خطواتكم إلى هناك بالروح، كلما كنتم بلا قيود. فلن تشعر القدم بالقيود عندما يكون العقل في السماوات. إن العقل يسع الإنسان بأكمله، ويحمله أينما يريد، لكن لأنه حيثما يكون قلبنا يكون كنزنا،^٦ فلنجعل إذًا قلوبنا هناك،

^١ أي بالزنا.

^٢ وكلها من مظاهر العبادات الوثنية للكهنة والناس.

^٣ "تذكّر الشر الملبس الموت" من صلاة الصلح للقداس الباسيلي. {المترجم}

^٤ في معجزة التجلي على جبل طابور (مت ١٧: ١)، (مر ٩: ٢)، (لو ٩: ٢٨)

^٥ بالروح.

^٦ (مت ٦: ٢١)

هناك، حيث كنزنا.

الفصل الثالث

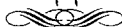
لنفترض الآن أيها المباركون أن السجن مُحزن حتى للمسيحيين، لأننا دُعينا إلى معركة الله الحي منذ اللحظة الأولى لاستجابتنا للنصوص المقدسة، فلا يوجد جندي يخرج للغزو وهو مُحمل بالرفاهيات، ولا من يخرج للمعركة من حجرته المريحة، بل من الخيمة الخفيفة الضيقة، حيث يجب أن يحتمل كل أنواع القسوة والخسونة والضيق.

وحتى في أوقات السلم، فإن الجنود يُدربون أنفسهم على الحرب بعناء ومشاقٍ، ويتحركون حاملين السلاح، ويقطعون السهول، ويعملون في الخنادق، ويصنعون الدبابة^١. إنهم مشغولون بالكثير من الأعمال الشاقة، وكل شيء يكون بعرق الجبين، فلا تضطرب الأجساد ولا العقول إذا اضطرت للعبور من الظل إلى الأماكن المشمسة، أو من الحر إلى البرد القارس، أو من تغيير رداء السلم إلى لبس الدروع، أو من السكوت إلى الصراخ، أو من الهدوء إلى الضجيج.

بنفس الطريقة أيها المباركون، اعتبروا أي شيء صعب مما يصيكم تدريب لقواكم العقلية والجسدية. أنتم على وشك اجتياز جهادٍ نبيلٍ، حيث يقوم الله الحي بدور المراقب، والروح القدس هو مدرككم، والجعالة هي إكليل أبدي ذا جوهر ملائكي. الجعالة هي المواطنة في السماوات، والمجد الأبدي.

لذلك، فإن سيدكم يسوع المسيح الذي مسحكم بروحه وقادكم بعيداً إلى ساحة القتال، قد رأى أن ذلك حسنٌ لكم أن يأخذكم قبل يوم القتال من حياة الدعة، وأن يفرض عليكم معاملة أصعب حتى تصبح قوتكم أكبر. لأن المصارعين أيضاً

^١ وهي ستر خشبي كان الجنود قديماً يسرون تحته للوقاية عند مهاجمة القلاع. {المترجم}



يُعرَّلون إلى تدريب أكثر عنفاً كيما تُبنى قواهم البدنية. إنهم يُمنعون من الترف، ومن اللحوم اللذيذة والمشروبات المُبهجة. إنهم يُضغطون ويُنهكون ويُرهقون، وكلما كانت أعمال تدريباتهم التجهيزية أصعب، كلما ازداد الأمل في الانتصار.

لقد قال الرسول^١: "أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى"^٢. أما نحن، فمع رؤيتنا للإكليل الأبدي ننظر إلى السجن كساحة تدريب. لأننا لأجل هدف الدينونة الأخيرة^٣ نتقدم متدربين جيداً بكثيرٍ من المحاولات، لأن الفضيلة تُبنى بالأتعاب، كما أنها تُخرب بالانغماس الشهواني.

الفصل الرابع

ونحن تعلمنا من قول الرب إن الجسد ضعيفٌ والروح نشيطٌ،^٤ لكن دعونا لا نتخذ معرفة الرب لضعف الجسد سبباً للراحة الباطلة. لأجل هذا السبب بالتحديد قد صرح أولاً بأن الروح نشيطٌ، حتى يمكنه أن يبين أيّاً منهما يجب أن يخضع للآخر، أي أن الجسد يجب أن يخضع لطاعة الروح. فالضعيف يخضع للقوي، وبالتالي الأول يتقوى بالثاني.

دعوا روحكم تتكلم مع الجسد عن الخلاص الشامل. لا تجعلوها تفكر طويلاً في متاعب السجن، لكن في المصارعة والمعركة المهيأة لها. ربما يخاف الجسد من السيف الذي لا يرحم، ومن الصليب المرفوع عالياً، ومن غضب الوحوش المفترسة، ومن عقاب النيران، ومن كل وسائل الرعب، ومن

^١ بولس.

^٢ (١كو ٩: ٢٥)

^٣ أو الحكم النهائي.

^٤ (مت ٢٦: ٤١)

إلى الشهادة.

براعة الجلادين في التعذيب. لكن في المقابل، دعوا الروح تضع بوضوح أمام نفسها وأمام الجسد، كيف أن هذه الأمور رغم كونها مؤلمة للغاية، إلا أن كثيرين قد احتملوا بهدوء، بل وقد صارت تُستهَي بلهفة لأجل الشهرة والمجد، ليس فقط بين الرجال، بل والنساء أيضًا. لذلك أنتِ أيضًا أيتها المرأة المباركة،^١ قد تصبحين من المُعْتَبَرين بين بنات جنسكِ.

يعوزني الوقت أن أحصي واحدًا فواحدًا من الرجال الذين وضعوا نهايتهم بمحض إرادتهم^٢. أما عن النساء، فهناك حالة مشهورة حدثت عن قريب، وهي قصة "لوكريتيا" (Lucretia) المُغتَصَبَة، والتي غرزت السكين في جسدها أمام أهلها، حتى تحصل على المجد بسبب حبها للعفة. "موكيوس" (Mucius) الذي أحرق يده اليمنى على المذبح حتى بفعلته هذه يظل مشهورًا. لقد سبقوا الفلاسفة.

هناك مثلاً "هيراكليتس" (Heraclitus) الذي لطّخ نفسه بروت البقر وحرق نفسه، و"إمبيدوكليس" (Empedocles) الذي قفز إلى داخل النيران في آيتنا (AETNA)، و"بريجريناس" (Peregrinus) الذي ألقى نفسه وسط المحرقة الجنائزية منذ فترة ليست ببعيدة.

حتى النساء قد استخفن بالنيران. هكذا فعلت "ديدو" (Dido) خشية أن تُجبر على الزواج مرة أخرى بعد موت زوجها العزيز عليها جدًا. وهكذا فعلت زوجة "هازدروبال" (Hasdrubal) التي وقتما كانت "قرطاج" تحترق، والمدينة مسقط رأسها تخرب، اقتحمت النيران مع أولادها لكي لا ترى زوجها متوسل تحت أقدام "سكيبو" (Scipio). و"ريجلاس" (Regulus) قائد الجيش الروماني الذي أسره

^١ أية امرأة معترفة، أو في طريقها للاستشهاد.

^٢ وهم شخصيات عادية من التاريخ، أنهموا حياتهم لأجل أهداف عالمية، أو أهداف نبيلة، بعيدًا عن الدين. فبالأولى يجب على شهداء المسيح الذين يريدون إكليل الحياة الأبدية ألا يرهبوا الموت. {المترجم}

القرطاجيون، رفض أن يُطلق سراحه مقابل عدد ضخم من القرطاجيين، مفضلاً أن يردوه إلى الأعداء مرة أخرى، فحُشِر داخل ما يشبه الصندوق، وطُعن بمسامير دُقت من الخارج، وكابد الصلب مرارًا كثيرة.

توجد امرأة طلبت الوحوش المفترسة والحيات السامة بإرادتها، وهذه الحيات التي دفعت "كليوباترا" (Cleopatra) نفسها إليها حتى لا تقع في أيدي أعدائها كانت أسوأ من الدب أو الثور.

وإن كان الخوف من الموت ليس أكبر من الخوف من العذاب، فمع ذلك خضعت العاهرة الأثينية للجلاد، حينما تعرضت للتعذيب على يد الطاغية لاشتراكها في مؤامرة، واستمرت في عدم خيانة شركائها. وفي النهاية، قضت لسانها وبصقته في وجه الطاغية، حتى يفتتق بعدم فائدة تعذيباته مهما استمرت مدتها.

إلى هذا اليوم، الجميع يعلم ما هي عظمة الاحتفال الديني الكبير الذي يُسمى (The great Lacedemonian) أو (الجلد^١)، الذي طقسه الديني أن يُضرب الشباب الاسبرطي بالسياط أمام المذبح، بينما الآباء والأقرباء يُعضدونهم ويشجعونهم على الاحتمال بشجاعة تامة، لأن تقديم الروح نفسها للألم يُحسب دائمًا أكثر شرفًا ومجدًا من تقديم الجسد.

فإن كان مقدار المجد الأرضي عاليًا هكذا، وقد فاز هؤلاء الرجال بالقوة العقلية والجسدية لأجل أن يُمتدحوا من أتباعهم، فأستطيع أن أقول: "استهينوا بالسيف والنار والصليب، والوحوش المفترسة والعذاب، لأنه سيكون بالتأكيد مجرد معاناة طفيفة لأجل الحصول على مجد سماوي ومكافأة مقدسة". إن كانت قطعة صغيرة من الزجاج هي ثمينة هكذا، فكم تستحق اللؤلؤة الحقيقية؟ ألم ندعى إذاً بفرح أكثر، لأننا نُنْفِق هذا كله من أجل الحق، مثلما يفعل الآخرون لأجل الباطل؟

^١ وهو احتفال ديني وثني يُجلد فيه الشباب كقربان للآلهة.

إلى الشهادة.

الفصل الخامس

والآن سأترك جانباً دافع المجد.^١

أنتم ترون نفس هذه القسوة ونفس هذا الألم يحدث في المباراة بين الرجال، وهم يعتبرونه حسالة مدوسة تحت الأقدام^٢، ليس لشيء إلا لمجرد الزهو^٣، وهو في الحقيقة نوع من الأمراض العقلية.

فكم عدد الذين قدمهم الزهو بالأسلحة للسياق؟^٤ إنهم بالفعل ينزلون لملاقاة الوحوش شديدة الافتراس لحب الشهرة والإعجاب بالنفس، ويتخيلون أنفسهم أكثر جاذبية بعضات وآثار جروح المباراة. البعض باع نفسه للثيران بالجري لمسافة معينة برداء مشتعل، والآخرين يسيرون تحت سياط القناصة بأقصى ما تستطيع أكتافهم تحمله^٥.

إن الرب لم يسمح بهذه الأشياء في العالم بدون سبب أيها، بل لأجل تحفيزنا الآن، وأيضاً لأجل خزينا في ذلك اليوم^٦ إذا ما خفنا من التألم لأجل الحق الذي هو خلاصنا، في حين أن الآخرين بدافع الزهو يطلبونه^٧ بلهفة لأجل هلاكهم!

^١ لكي يتكلم عن دافع آخر لاحتمال العذاب عند البعض.

^٢ أي أنها في نظرهم شيء تافه.

^٣ أو التباهي والغرور.

^٤ أي كم تسببت المبارزات في قتل المتبارزين بالسيف.

^٥ وهي لعبة يجري فيها المتسابقون في المضمار بين مصارعي الثيران الذين يجلدون من في طريقهم ويفوز الأكثر احتمالاً للضربات. {المترجم}

^٦ أي اليوم الأخير. ويقصد أن احتمال هؤلاء الناس للألام لأجل أمور باطلة، سيديننا نحن في اليوم الأخير إذا كنا قد أشفقنا على أنفسنا من الألم لأجل إيماننا. {المترجم}

^٧ أي طلبوا الألم بأنفسهم.

الفصل السادس

لننتقل مرة أخرى من أمثلة الاحتمال بثبات - التي لها نفس الأسباب^١ - ونتحول إلى تأمل بسيط لحالة الإنسان في ظروفه العادية، عسى أن نأخذ عبرةً من أشياء تحدث لنا، سواء شئنا أم أبينا، وهي التي يجب أن نضعها نصب أعيننا. كم من مرة التهمت النيران الأحياء، وكم من مرة مزقت الوحوش المفترسة الرجال إرباً، ربما في غاباتها، أو في قلب المدن حينما استطاعت الهروب من أوكارها! وكم عدد الذين سقطوا بسيف اللص، وكم عدد الذين كابدوا موت الصليب على أيدي أعدائهم، بعد أن عذبوا أولاً، وعوملوا بكل أنواع الاستهزاء؟ قد يعاني الفرد على يد إنسان، ما لا يتصور أن يعانيه على يد الله. من جهة هذه الحقيقة، فإن الحاضر يشهد حينما لقي الكثير من الأشخاص ذوي الشأن مصرعهم بسبب إنسان^٢، وهو ما كان يبدو أمراً غير متوقعٍ بسبب أصلهم أو شرفهم أو حالتهم الجسدية^٣ أو سنهم، سواء بالعذاب على يد هذا الإنسان إن كانوا قد تحالفوا ضده،^٤ أو على أيدي أعداء هذا الإنسان إذا ما كانوا من مناصريه.

^١ أي الغرور والزهو

^٢ وهي واقعة تاريخية حدثت بعد هزيمة وانتحار Albinus (شخصية تاريخية) في Lyons، حيث

عومل الكثير من طبقة الأعيان بقسوة حتى الموت. {المترجم}

^٣ الصحية، وهو ما يعني أنهم لم يموتوا بسبب المرض.

^٤ أي أن يكونوا قد تأمروا على شخص، ثم اكتشفت مؤامرتهم، فتلوا العذاب على يديه.

الصبر

الصبر

للعلامة ترنتليان

مقدمة

كُتِبَ هذا النص ما بين عامي (٢٠٠م - ٢٠٦م)، وهو يُعرَّف الصبر المسيحي على أنه وضع الاستعداد الذي يجب أن يكون عليه كل مسيحي كي يتحمل الألم من أجل الله.

يدور النص حول أهمية فضيلة الصبر، ويربط بينها وبين باقي الفضائل، كالطاعة والمحبة والتواضع والعفة والتسامح ونقاوة القلب والزهد، وحتى الإيمان نفسه، ويُعتبر أن عدم الصبر أصله من الشيطان، الذي أراد بدوره أن ينقل رذيلة عدم الصبر إلى البشر.

وفي المقابل، يُعتبر ترتليان أن الصبر صفة إلهية، وأن الرب يسوع نفسه هو القدوة والنموذج الذي نتبعه في ممارستنا وتمسكنا بالصبر.

يوضح النص كذلك أن الجسد والروح كليهما يشتركان في فضيلة الصبر، وأن تقصير أحدهما سوف يجعل الإنسان مُدان أمام الله، حتى وإن لم يَرى الناس إلا تقصير الجسد.

يذكر النص أمثلة من العهد القديم لقديسين برعوا في ممارستهم الصبر، مثل أيوب البار الذي سُرَّ الله كثيرًا باحتماله للصبر دون تذمر، ويتخيل منظره وكأنه يداعب الديدان الخارجة من جروحه، بينما الشيطان مغتاظًا. يذكر كذلك "إشعيا" النبي، الذي كان صبورًا حتى لحظة استشهاده، واستمر ينادى بالتوبة والرجوع إلى الله.

من العهد الجديد يذكر ترتليان "استفانوس" الشهيد الأول الذي صبر علي راجميه وطلب لهم الغفران، ويقارن في النهاية بين الصبر الإلهي والصبر الوثني الشيطاني، الذي يجعل الإنسان يحتمل العار لأجل الأمور الزائلة.

يظهر في النص أسلوب ترتليان الفلسفي، والساخِر في بعض الأحيان - لكن

إجمالي النص هادئ ومتزن وسهل الفهم، وقد استعان به القديس "كبريانوس" في مقالته عن "الصبر الحسن".

في هذا النص يؤكد لنا العلامة "تر تليان" أن:

١- لا يليق بالمرء أن يتكلم عن فضيلة لا يعيشها ولم يمارسها من قبل. "من اللائق للذين يلقون خطبة بغرض التطبيق والنوصية بشيء معين، أن يكونوا هم أنفسهم مع وفون بممارستهم لهذا الشيء". (الفصل الأول)

٢- الصبر هو مفتاح باقي الفضائل، وبدونه لا يمكن الحصول عليها. "لا يقدر أحد أن يطع أي وصية، أو يكمل أي عمل يرضي الرب، إذا ابتعد عن الصبر". (الفصل الأول)

٣- صبر الرب على إخلائه لذاته، وعلى الإهانة والألم، لكي يُعلم البشر روعة هذه الفضيلة. "لأن الصبر هو طبيعة الله". (الفصل الثالث)

٤- الصبر يساعد على احتمال الحسائر المادية في هذا العالم. "فلنخس إذاً الأشياء الأرضية بإرادتنا ونحفظ بما هو سماوي، وليهلك العالم ما دُمّت أملك الصبر على احتمال هلاكه". (الفصل السابع)

٥- يجب على خادم المسيح أن يحتمل المتاعب من أجل حبه لتعاليم الرب. "فلاجل ذلك أيها الخدام، فلننح مرينا بنديق، ونحمل الشيمة بصبر، لكي ما

الصبر

نصبح مباركين. فإن كنت لا أحمل سماع كلمة طائشة أو شديدة قد قلت ضدي، فمن المؤكد أنني سوف أثار لنفسي، أو أصمت شاعراً بعذاب لعدم احتمالي. فإن كنت أشعر فأرُد، كيف إذا أكون تابعاً لتعليم الرب؟!" (الفصل الثامن)

٦- إيمان الكنيسة هو أن الموت هو انتقال حياة أفضل "ليس موتاً لعبيدك، بل هو انتقال". "الحزن على الموت سيكون بلا فائدة، فلماذا تحزن إن كنت تؤمن بأن من تحبه لم يهلك؟! ولماذا تظهر عدم احتمالك لانسحابه المؤقت، ولماذا تبدو غير هادئ، رغم أنك في الحقيقة سوف تلحق به عن قريب؟!" (الفصل التاسع)

٧- الله لا ينسى حق المظلومين الصابرين، وسوف يجازي عن الشر في الوقت المناسب. "فلماذا إذاً تؤمن بأنه الديان، ولا تؤمن بأنه المنتقم أيضاً؟ فلقد وعد أنه سينتقم عوضاً عنا حينما قال: "لي النعمة أنا أجازي"، أي: "أصبروا علي وأنا سوف أكافئ صبركم". (الفصل العاشر)

٨- الصبر يساعدنا على الغفران والتسامح مع إخوتنا. "فإننا سنكون في خطي إذا ما غربت الشمس على غيظنا. فنحن غير مصحح لنا بأن نمكث يوماً واحداً بدون الصبر." (الفصل الثاني عشر)

٩- صبرُ القديسين يُفرح الله ويغيظ الشيطان، لأن صبر القديسين هو أداة انتصار الله عليه. "ضعفت كل سهام النجارب أمام درع وترس صبر أيوب، الذي هو أداة انتصار الله. فكم كانت سعادة الله، وكم كان الشيطان هائبًا كمن قُطِعَ إمرؤا حينما اسنم أيوب بثباتٍ وقسوةٍ". (الفصل الرابع عشر)

المترجم

الفصل الأول

١ - الصبر عموماً.

٢ - عدم استحقاق ترتليان للكلام عن الصبر.

أعترف تماماً أمام الرب الإله أنه من التهور، إن لم يكن من الوقاحة، أن أتحجراً وأعد مقالةً عن فضيلة الصبر، التي لا تنطبق على نهائياً لكوني رجلاً ليس فيه شيء صالح^١، لأنه من اللائق للذين يُلقون خطبة بغرض التطبيق والتوصية بأمر معين، أن يكونوا هم أنفسهم معروفون بممارستهم لهذا الشيء، كما يجب عليهم أن يضبطوا سلوكهم ويجعلوه ثابتاً، بما يتناسب مع سيرتهم الذاتية، حتى لا تذوب كلماتهم بسبب نقص البراهين^٢. لأن الخجل لن يقدم علاجاً، فهل مجرد شعورنا بالعار لعدم ظهورنا بالشكل الذي نقترحه على الآخرين سيكون كافٍ لإصلاحنا، إلى أن نظهر بهذا الشكل؟! لكن إن كان كمّ الأمور الحسنة - وكذلك بالنسبة للأمور السيئة - هو أمرٌ يفوق الطاقة، فحينئذ ستكون نعمة التعليم الإلهي^٣ هي العاملة فينا، لأجل الحصول على هذه الأمور وممارستها^٤.

إن الأمور فائقة الصلاح تُترك بالأحرى لله، فهل يمكن لأي شخص آخر أن يمنحها سوى الله الذي يملكها، والذي يحكم بما يناسب كل شخص؟ لذلك، فإن مناقشة أمرٍ لم نحصل عليه ستكون مُعزّية، تماماً مثل المرضى الذين لا يكفون عن الكلام عن بركات الصحة منذ أن أصبحوا عديمي الصحة.

^١ (رو ٧: ١٨).

^٢ أي يجب عليهم أن يراقبوا تصرفاتهم لكي توائم سمعتهم، حتى لا يكون كلامهم غير أفعالهم، وهذا سيجعلهم يخجلون. {المترجم}

^٣ أي أن يعلمنا الله ما لا نستطيع عمله بذاتنا.

^٤ أو للتخلص منها بالنسبة للأمور السيئة. {المترجم}

لذا، فأنا الحقير بالأكثر، المريض على الدوام بحُمى عدم الصبر، ينبغي لي بالضرورة أن أتلّف إلى هذه الصحة، التي هي الصبر الذي لا أملكه، وأتوسل وأتضرع لأجله، وألتمسه حينما أتأمل ضعفي، فأدرك حقيقة أن الصحة الإيمانية الحيدة، وسلامة تعليم الرب، لا يحصل عليهما أحدٌ بسهولةٍ إلا إذا كان الصبر حليفه. لذا، فإن الصبر هو المتحكم في الأمور الخاصة بالله^١، لدرجة أنه لا يقدر أحد أن يطيع أية وصية أو يكمل أي عمل يرضي الرب، إذا ما ابتعد عن الصبر. إن من يتحلّون بالصبر، وحتى البعيدين عنه، يكرمونه بلقب "أعظم فضيلة"، وفي الواقع، الفلاسفة الذين نعتبرهم مخلوقات تتمتع بحكمة كبيرة، يعطونه مكاناً عالياً، فبينما هم يتنازعون حول ميولهم المتعددة وطوائفهم وآرائهم المتنافسة، فإنهم يتفقون حول ما يخص الصبر وحده، ويجتمعون في سلامٍ من أجل هذا الأمر الوحيد المشترك بين اهتماماتهم. لأجله يقيمون مؤتمرات، ولأجله يتحالفون، وفي سعيهم لاقتناء الفضيلة يجِدُون في طلب الصبر بالإجماع، ويكون كل افتخارهم بحكمتهم يتعلق بالصبر.

إن هذه شهادة عظيمة عن الصبر، كونه يُحرّض حتى المدارس العالمية الباطلة^٢ أن تمدحه وتمجده! أم أنكم تظنون بالحري أنه أمرٌ ضارٌّ أن يُناقش شيئاً إلهياً بين العلوم العالمية؟!

إذاً، فلنتركهم يهتمون بعلمهم العالمية - هؤلاء الذين سوف يدخلون من حكمتهم يوماً ما، وسوف يهلكون ويفتضحون عند هلاك العالم.

^١ أي أن فضيلة الصبر هي فضيلة أساسية تُبنى عليها كل الأمور الروحية. {المترجم}

^٢ أي مدارس الفلسفة.

الفصل الثاني

الله نفسه هو نموذج للصبر.

أما بالنسبة لنا نحن المسيحيون، فإننا لم نَتَلَقَ أمر ممارسة الصبر من إنسانٍ يتظاهر بالتحكم الشكلي في النفس، لكن التدبير الإلهي للتعليم الحي والكنسي قد أظهر أمامنا الله نفسه كنموذج للصبر من المرتبة الأولى. فهو الذي يشرق بهاء نوره على البار والشرير بالتساوي،^١ والذي يسمح لمنافع فصول السنة، والمواد الطبيعية، وعطايا الطبيعة كلها، بأن تحدث في نفس الوقت للمستحق وغير المستحق، وهو المُحْتَمِلُ لأسوأ الشعوب ناكرة الجميل، والتي تعبد المصنوعات الفنية والأعمال اليدوية - هؤلاء الذين يضطهدون اسمه وخاصته معًا. وهو الذي يحتمل الفاسقين والطَّمَّاعين والخبثاء والمتغطرسين كل يوم. لذلك، فبسبب إنكار الرب لذاته بصبره، لا يؤمن به الكثيرون، لأنهم مازالوا لا يعرفون أنه سوف يدين العالم.

الفصل الثالث

تجسد وعمل يسوع المسيح هو أكثر نموذجًا يُقْتَدَى به.

وهذه المرتبة من الصبر الإلهي تبدو في الحقيقة كما لو كانت بعيدة جدًا، وربما تعتبر من بين العجائب التي هي أعلى مِنَّا.^٢ لكن ماذا عن هذا الصبر الذي لمسته الأيدي علانيةً بالفعل،^٣ على الأرض وبين الناس؟ لقد ارتضى الرب نفسه أن يُحْبَلَ به في رحم أم، وانتظر مدة الحَبْلِ به،

^١ (مت ٥: ٤٥)

^٢ (مز ١٣١: ١)

^٣ (١ يو ١: ١) وهو يقصد تجسد السيد المسيح، وصبره على الآلام الإنسانية كإنسانٍ كاملٍ.

{المترجم}

وعندما وُلد احتمال أن ينمو تدريجيًا، وحينما كبر لم يتلَهف أن يصير معروفًا، بل أكثر من ذلك أنه احتمال التحقير، واعتمد من خادمه، ورد وحده على هجوم المُجرب بالكلمات المكتوبة، ولما أصبح الرب مُعلِّمًا يَعْلَم الإنسان كيف يهرب من الموت، تدرّب على الاختبار الصعب للصبر باحتمال تام.^١

لم يُخطئ النبي "إشعيا"² في كلامه، بل الله نفسه قد صدّق على هذا الكلام، واضعًا روحه في ابنه، ومانحًا إياه الصبر الكامل حينما قال: "لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبَةٌ مرضوضَةٌ لا يقصف، وفتيلةٌ مدخنةٌ لا يطفئ"³.

إنه لم يرفض أحدًا ممن رغبوا في أن يلتصقوا به، ولم يحتقر مائدة أو بيت أحدٍ، فلقد خدم تلاميذه وغسل أقدامهم، ولم يزد خاطئًا أو عشارًا، ولم يتحامل على المدينة التي رفضت استقباله،⁴ بينما أراد تلاميذه أن تنزل فورًا نار من السماء على هذه المدينة الحقيرة.

اهتم بالجاحدين وخضع لمتصيديه، بل وأكثر من ذلك أبقى برفقته مَنْ خانته، وامتنع بثباتٍ عن أن يكشفه. حينما اقتنيد لم يفتح فاه "كشاةً تساق إلى الذبح وكنعجةً صامتةً أمام جازيها"،⁵ وهو الذي يمكنه إن أراد بكلمةٍ واحدةٍ أن يستدعي جيوش الملائكة من السماء،⁶ ومع ذلك، فقد رفض حتى أن ينتقم واحدًا من تلاميذه

¹ (عب ٥ : ٨)

² (اش ٤٢ : ٣، ٢)

³ (مت ١٢ : ١٩، ٢٠)

⁴ (لو ٩ : ٥١ - ٥٦)

⁵ (اش ٥٣ : ٧)

⁶ (مت ٢٦ : ٥٣)

الصبر

بالسيف^١، وانجرح صبر الرب بجرح ملخس^٢، وهو بهذا قد لعن أعمال السيف، وفي نفس الوقت شعر أيضًا بالرضى لشفاء "ملخس" - الذي لم يؤذِه هو بنفسه - بسبب فضيلة الصبر التي هي أم الرحمة.

نقد أغفلت ذكر حقيقة صلبه دون أن يتكلم، فهذا هو الهدف الذي أتى لأجله.^٣

لكن هل كان من الضروري أن يكون الموت الذي توجب عليه أن يحتمله مُهينًا بهذا الشكل؟! كلا، لكنه لمَّا كان في طريقه للموت، انتهى أن ينال ما يكفي من الصبر - على الألم - بكل سرور! فلقد بُصق عليه، وجُلِد، وأستُهزئ به، وارْتدى ثوب العار. بل وأكثر من ذلك، قد كُلل بإكليل العار، فما أعجب ثبات إيمانه! إن الذي كان يريد أن يُخفي نفسه في صورة إنسان، اعتبره الإنسان كلا شيء بسبب عدم الصبر.

فمن ثَمَّ، وأكثر من أي شيء آخر، كان يجب عليكم أيها الفريسيون أن تعترفوا بالرب، لأن هذا النوع من الصبر لا يقدر أن يحتمله إنسان.

إن الكثير والكثير من البراهين الواضحة^٤ - والتي هي سبب رفض الإيمان بين الشعوب، لكنها بالنسبة لنا سببًا للإيمان والتهديب - تؤكد علانيةً بما فيه الكفاية لهؤلاء الذين أُعطي لهم أن يؤمنوا، تأثير وفضل هذه الصفة الملزمة لله، ليس بالمواعظ فقط الموجودة في الوصايا، بل وأيضًا بما عاناه الرب باحتمالٍ، لأن الصبر هو طبيعة الله.

^١ (مت ٢٦: ٥٢، ٥١)

^٢ (يو ١٨: ١٠)

^٣ أي أنه جعل الكلام عن احتمال الصليب آخر المطاف لأنه هو نهاية احتمال المسيح للألام البشرية. {المترجم}

^٤ التي تؤكد احتماله للألام بصبر شديد، وهو ما يعتبره الهالكين جهالة. (١ كو ١: ١٨).

الفصل الرابع

١- الواجب علينا الافتداء بما علّمنا الرب مُعلّمنا، أن نتمثل بالعبيد، أو حتى بالبهاائم.

٢- التمثّل بالطاعة هو أساس الصبر.

بناءً على ذلك، فإن كنا نرى أن كل من يخدمون بأمانة ويمشاعر حقيقة، كيفون سلوكهم بما يتناسب مع طبع سيدهم. وإن كان قانون الطاعة التي تستحق التكریم هو التسليم بخضوع، فكّم يتعين علينا بالأكثر أن نتصف بالصفة التي تتناسب مع تبعيتنا لله. فإننا خدام لله الحي الذي لا يتسلط على خدامه بقيد أو غطاءً للحرية، بل بحياة أبدية، سواء للعقاب أو للخلاص.

إن تجنب من هو قاسٍ، أو استعطاف من هو كريم، يحتاج إلى مثابة في الطاعة، بما يتناسب مع هول التهديدات التي نطق بها القاسي، أو عظمة الوعود التي وعد بها الكريم علانيةً.

وبالرغم من ذلك، فإننا لسنا نتعلم الطاعة فقط من الناس المقيدين من رقابهم بقيود عبوديتهم، ومن المدينين بالخضوع بأي شكلٍ قانوني، بل نتعلمها من الحيوانات الأليفة - أو حتى الشرسة - عالمين أن الرب قد خلقها ومنحها لاستخداماتنا. لكن هل ستخضع لنا المخلوقات التي صنعها الله أفضل من خضوعنا لوصية الطاعة؟ في النهاية، إن المخلوقات المطيعة تعرف ساداتها^١.

فهل سنتردد في أن نجتهد لأجل طاعة الرب الذي نخضع له وحده؟ لكن كم هو من الظلم، بل كم هو من الجحود أيضًا أن لا تسدد بنفسك نفس الشيء الذي تطلبه من الآخرين^٢ - لمن قد أخذت الدين منه - بأن تسامح قريبك^٣!

^١ (اش ١: ٣)

^٢ أي المغفرة.

^٣ المقصود بالجملة أنه يجب على الانسان المدين بالمغفرة لله أن يغفر لأخيه. (مت ١٨: ٢٣-٣٥)

الصبر

فلا يوجد احتياج لكلمات أخرى لأجل توضيح ضرورة طاعتنا للرب الإله، لأن الإنسان حينما يعرف الرب، فإنه يفهم ما يجب عليه فعله، كي لا نكون كمن أبدى ملاحظات على الطاعة كأنها شيء غير مقبول. دعونا نتذكر أن الطاعة نفسها ناتجة عن الصبر، فلا يقتنيها إنسانٌ عديم الصبر، ولا يوجد إنسانٌ صبورٌ يفشل في التلذذ بها.

فَمَنْ إِذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ عَنْ عِظَمَةِ صَبْرِ الرَّبِّ إِلَهِ - الَّذِي طَبَقَ وَتَقَبَّلَ كُلَّ شَيْءٍ جَيِّدٍ - الَّذِي أَظْهَرَ بِنَفْسِهِ؟ وَمَنْ هُوَ أَيْضًا الَّذِي يَشْكُ فِي أَنْ كُلَّ شَيْءٍ جَيِّدٍ، لَكُونَهُ يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ، يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ الْمُنْتَمُونَ لِلَّهِ بِاجْتِهَادٍ عَقْلِيٍّ تَامٍ؟ وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ قَدِمْنَا بِاخْتِصَارِ التَّوَصِيَّاتِ وَالتَّحْذِيرَاتِ الَّتِي تَخَصُّ مَوْضِعَ الصَّبْرِ، فِي شَكْلِ مُلَخَّصٍ لِهَذَا الْقَانُونِ الْوَاجِبِ.

الفصل الخامس

بما أن الله هو أصل الصبر، فالشيطان إذاً هو أصل عدم الصبر.

إن النقاش حول أسس الإيمان ليس بالأمر التافه على الإطلاق، لأنه لن يكون بغير نفع، فإنه لا يوجد أي خطأ في كثرة الكلام لأجل التهذيب، حتى لو كانت كثرة الكلام في أي وقت آخر هي أمرٌ خاطئ. لذلك، فإن كان الحديث يتعلق بأمرٍ معينٍ جيدٍ، فالأمر يتطلب منا أن نفحص عكس هذا الأمر الجيد أيضًا، لأنك بتلخيصك لما يجب تجنبه، تُسلط الضوء على ما يجب أن يُجَدَّ في طلبه.

أما بخصوص عدم الصبر، فدعونا نعتبر أنه إن كان الصبر أمرًا إلهيًا، فالصفة المعاكسة للصبر إذاً قد نشأت ووُجِدَتْ في عدونا، مما يبين لنا كيف أن عدم الصبر هو العدو الأول للإيمان. لأن مَنْ يُعْتَبَرُ عَدُوَّ اللَّهِ، فهو بالتأكيد غير

مُحب لأمر الله، لأن اختلافه مع أمور الله هو نتيجة لاختلافه مع الله. فضلاً عن ذلك، بما أن الله هو أفضل كائن، فالشيطان في المقابل هو أسوأ كائن، وهما بذلك يشهدان بأن أحدهما لا يعمل من أجل الآخر نتيجة للفارق الشديد بينهما، وهكذا لن يبدو لنا أن أي خير يحدث لنا هو بسبب الشرير، ولا أي شر بسبب الخير.^١

لذلك، فقد اكتشفتُ أن بداية القنوط كانت في الشيطان نفسه، واتضح ذلك بالأكثر حينما تضايق بغير صبرٍ من أن الرب الإله قد أخضع مخلوقات العالم التي صنعها لصورته، أي الإنسان.^٢ لأنه لو كان قد احتمل هذا الأمر لما كان قد حزن، ولا كان قد حسد الإنسان بسبب هذا الحزن. وبناءً عليه، فقد خدعه بسبب حسده. لكنه حسده لأنه حزن، وسبب حزنه بالطبع كان عدم احتماله بصبر.

إنني أتساءل باستخفافٍ، كيف كان ملاك الهلاك الأبدي في البداية؟ أكان حقوداً، أم عديم الصبر؟ لأنه من الواضح أنه إن كان عدم الصبر والحق قد بدءا معاً، أو كان الحق قد جاء نتيجة لعدم الصبر، فإنهما قد اتفقا فيما بينهما بالتبعية، ونميا معاً بلا انقسام في حضن أب واحد.

على العموم، فإن ما شعر به أولاً^٣ هو الذي ساعد على الخطية، ويسببه بدأ طريق الانحراف، واستخدام نفس الطريقة لدفع الإنسان إلى الإثم. وبدون تهور، أستطيع أن أقول إنه بمجرد أن التقت المرأة به، نفخ فيها روحاً ملوثاً بعدم الصبر من خلال حوارها معها بالذات. ولذلك، فهي لم تكن لتخطئ أبداً بكل تأكيد لو كانت قد أكرمت الوصية الإلهية، واحتفظت بصبرها إلى النهاية.

^١ أي الله.

^٢ (مز ٨: ٤-٦)

^٣ أي عدم احتماله لأن يكون خادم لله مثل باقي الملائكة. {المترجم}.

الصبر

وماذا عن كونها لم تحتمل أن تقابله وحدها؟ لكنها بحضور آدم - الذي لم يكن قد عرفها بعد، ولا كان مضطراً لأن يصغى لها بعد - لم تصبر على البقاء صامتة، ونقلت إليه ما قد أصابها^١ من الشرير، وهكذا قد فسد إنسان آخر بسبب عدم صبر الأول^٢، وصار هو نفسه أيضاً فاسداً في الحال بسبب اقترافه لعدم الصبر من جهتين: التحذير الإلهي السابق من جهة، وغش الشيطان من جهة أخرى، لأنه لم يستطع أن يراعي الأول^٣، ولا أن ينقض الأخير^٤.

لذلك، فالذي صدر عنه الإثم تسبب في أول نشأة للدينونة، والذي أغوى الإنسان للخطية قد تسبب في غضب الرب، وابتدأ أول صبر إلهي مع من تسبب في أول غضب له^٥، حيث اكتفى الله في ذلك الوقت باللعنة فقط، وامتنع عن مجازاة الشيطان بالعقاب الفوري^٦.

فما هي الجريمة التي أتهم بها الإنسان قبل خطية عدم الصبر؟^٧ لقد كان بريئاً، وفي صداقة حميمة مع الله، وكان فلاح الجنة. لكن بمجرد ما استسلم لعدم الصبر، لم يعد الإنسان مستساغاً لله، ولم يعد الإنسان نفسه قادراً على احتمال الأمور السماوية. ومنذ ذلك الحين فصاعداً، أُعطي الإنسان للأرض، ولُفظ من

^١ باعتبار عدم الصبر مرض معد.

^٢ أي حواء.

^٣ أي التحذير الإلهي.

^٤ أي غش الشيطان.

^٥ أي الشيطان.

^٦ أي بالهلاك.

^٧ اختلف الآباء في رأيهم عن سبب سقوط الإنسان، فالمعظم يعتقد أن سبب ذلك هو الكبرياء، والبعض يرى أن ذلك نتيجة كسر آدم للصوم (أي الصوم عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر)، والبعض يرى أنه نتيجة التساهل مع الفكر الشرير. أما ترتليان فيرى أن سبب السقوط هو عدم احتمال الإنسان للوصية. {المترجم}

عشرة الله، وبدأ يتجه إلى كل ما يُغضب الله بسبب عدم الصبر. وبمجرد ما نبت القنوط من بذرة الشيطان، وُلد الغضب كابن له نتيجة لتلقيح الحقد. ولما وُلد الغضب، أدبه عدم الصبر بفنونه الخاصة. إن هذا الأمر بالذات هو الذي أغرق آدم وحواء في الموت، وعلم ابنهما أيضًا أول جريمة. لا حاجة لي أن أعزي هذا إلى عدم الصبر، فلو كان قايين أول قاتل لنفسه، وأول قاتل لأخيه، قد احتل رفض الله لقربانه باتزانٍ وبلا ضجرٍ حتي النهاية، ولم يغضب من أخيه، لما أنهى حياة أحدٍ. لأنه ما كان ليقتل لو لم يغضب، ولا كان ليغضب لو لم يكن عديم الصبر، فقد أظهر أن ما فعله نتيجة الغضب لا بد وأن يُنسب إلى الشيء الذي أوعز بالغضب، الذي هو عدم الصبر في مهده وطفولته.^١ لكنه حاليًا قد تعاضم جدًا، ولا عجب. فإن كان عدم الصبر هو أول إثم، فنتيجة لكونه الأول، فهو كذلك الرحم الوحيد لكل إثم، ومنه تتدفق مجاري متعددة من الجرائم.

لقد تكلمنا عن القتل، لكن لأنه من البداية كان نتيجة للعنف، فمهما كانت الأسباب الأخرى المؤدية له، فعدم الصبر هو أساس جميعها. إن أي إنسان يرتكب هذا الشر، سواء نتيجة لعداوات شخصية، أو لأجل النهب، ستكون الخطوة الأولى لذلك هي عدم قدرته على احتمال الكراهية، أو حبه للمال. مهما كانت دوافع الإنسان، فلا يمكن أن تكمل بدون عدم الصبر. فمن هو الإنسان الذي ارتكب خطيئة الزنا إلا الذي لم يحتمل الشهوة؟ وبالتأكيد بسبب عدم احتمال الريح القليل^٢، تضطر بعض النساء أن يبعن عفتهم بسبب العوز. إنني أذكر تلك الأمثلة، والتي هي الآثام الأساسية في نظر الله، حتى أقول

^١ أي في بداياته.

^٢ وهو يقصد النساء اللواتي لا يحتملن الفقر، فيلجأن للزنى. {المترجم}

الصبر

باختصارٍ إن كل خطيئة سببها هو عدم الصبر. فالشر هو عدم الصبر على فعل الخير، وكل فجور هو عدم احتمال للحياء، وكل خيانة هي عدم احتمال للأمانة، وكل عدم تقوى هو عدم احتمال للتقوى، وكل قلق هو عدم صبر على الهدوء، فكل شخصٍ يصبح شريكاً لن يستطيع أن يستمر في عمل الخير، وكيف يفشل أفعوان^١ الأثام هذا في أن يخطئ إلى الرب الراض للشرور؟

أليس واضحاً أن بنى إسرائيل كانوا دائماً يفشلون في الالتزام بوصايا الله بسبب عدم الصبر، وهذا واضح منذ وقت أن نسوا يد الله التي بها نجوا من محنة مصر، وطلبوا من هارون قائلين: "اصنع لنا آلهة تسير أمامنا"^٢، فسكبوا التبرعات الذهبية لأجل صنع تمثالٍ، ولم يحتملوا بصبر تأخر موسى - الذي كان ضرورياً - حينما التقى الله. فبعد هطول المن كطعام، وبعد أن نبعت لهم الصخرة التي تابعتهم،^٣ فقدوا الأمل في الرب غير محتملين عدم وجود الماء لمدة ثلاثة أيام.^٤ لأن اتهامهم لله كان بسبب عدم الصبر.

ولكيلا أطوف خلال الأسباب الفردية أكثر من ذلك، أقول إنه لم تكن هناك فرصة للهلاك لو لم يخفقوا في طاعة الوصايا بسبب عدم الصبر. فكيف رفعوا أيديهم على الأنبياء إلا بسبب عدم احتمال سماعهم؟ وكذلك كيف رفعوا أيديهم على الرب نفسه إلا بسبب عدم احتمالهم لرؤيته؟ فلو صبروا لخلصوا.

^١ Hydra، وهو حيوانٌ خرافيٌ قد هزمه هرقل، له رؤوس كثيرة إذا قُطع رأس تنبت اثنين. وهي قصةٌ خرافيةٌ من التراث الوثني، والمقصود هنا هو عدم الصبر. {المترجم}

^٢ (خر ٣٢: ١)

^٣ (١كو ١٠: ٤)

^٤ (خر ١٥: ٢٢، ٢٣)

الفصل السادس

الصبر هو السابق واللاحق للإيمان.

وهكذا، فإن الصبر هو السابق واللاحق للإيمان، وباختصار "آمن إبراهيم بالله فحسبه له برًا"^١، فالصبر هو الذي برهن على إيمانه عندما أمر بأن يُقدّم ابنه ذبيحة لكي يُثبت إيمانه النموذجي، ولن أقول لكي يجربه، لأن الله يعرف من هو الذي حَسَب له البر. فلقد أصغى إبراهيم بصبرٍ إلى الوصية الثقيلة جدًا - والتي لم يكن إتمام تنفيذها أمرًا يسيرًا بالنسبة له، ولا حتى بالنسبة لله - وكان سينفذها لو أراد الله. إذًا، فقد كان مباركًا بالحقيقة لأنه كان مؤمنًا، ولقد كان مؤمنًا بالحقيقة بسبب صبره. وهكذا، فإن الإيمان قد استتار بالصبر منذ انتشر بين الأمم من خلال نسل "إبراهيم" - "الذي هو المسيح"^٢ - الذي أضاف نعمة فوق نعمة للناموس،^٣ وجعل الصبر رفيقه المفضل في تعظيم وإتمام الناموس، لأن هذا فقط هو ما كان يفتقر إليه تعليم البر.

لقد اعتاد الناس فيما مضى على طلب "عين بعينٍ وسن بسنٍ"،^٤ وأن يُجازوا عن "شرٍ بشرٍ"،^٥ فحتى ذلك الوقت لم يكن الصبر موجودًا على الأرض لأن الإيمان لم يكن كذلك موجودًا،^٦ ومن المؤكد أن عدم الصبر قد اعتاد على الاستمتاع بالفرص التي منحها له الناموس أثناء ذلك، فلقد كان هذا سهلاً قبل

^١ (تك ١٠: ٦)، (رو ٤: ٣، ٩، ٢٢)، (غل ٣: ٦)، (يع ٢: ٢٣).

^٢ (غل ٣: ١٦)

^٣ (يو ١: ١٧)، (رو ٦: ١٤، ١٥).

^٤ (مت ٥: ٣٨)، (خر ٢١: ٢٤)، (لا ٢٤: ٢٠)، (ث ١٩: ٢١).

^٥ (رو ١٢: ١٧)

^٦ أي الإيمان المسيحي الكامل الذي علمه لنا المسيح بمجيئه على الأرض، وأكمّله بناموس الفضيلة. {المرّجم}

الصبر

مجيء رب ومعلم الصبر، لكنه بعد مجيئه ألف بين نعمة الإيمان والصبر. فلم يعد الآن مصرحاً بأن نعتدي على أحد، لا بكلمة ولا حتى بقول: "يا أحمق"،^١ بدون خطر الدينونة. لقد حُرِّم الغضب، وضُبطت المشاعر، وقُيدت اليد المشاكسة، وانتُزع سُمُّ اللسان.

إن الناموس قد جنى أكثر مما فقد حينما قال المسيح: "أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم،... صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات".^٢

أترون كيف يجعلنا الصبر أبناء الله؟ إن ممارسة الصبر عمومًا قد شملتها هذه الوصية الأساسية بإيجاز، لأن الأعمال الشريرة لم تعد مقبولة، حتى ولو كان الأمر يستحق ذلك.

الفصل السابع

مُسببات عدم الصبر، والوصايا الملائمة لها.

والآن، بينما نحن نفحص مسببات عدم الصبر، سنجد الحلول موجودة عند كل الوصايا الأخرى بما يتناسب مع كل سبب.

فإن كانت الروح تتزعج بسبب خسارة المال، فهناك أمرٌ عامٌ موجودٌ تقريباً في كل الأسفار المقدسة التي للرب، وهو أن نزدري بالعالم، وهل يوجد أي تنبيه لأجل ازدياد التوكل على المال، أكثر من أن الرب نفسه لم يكن من بين الأغنياء؟ إنه دائماً يركى الفقير ويدين الغني. لذا، فقد سبق وقُدِّم المساعدة على احتمال الخسارة،

^١ (مت ٥: ٢٢)

^٢ (مت ٥: ٤٤، ٤٥)

وأعطى الغني^١ نصيب الخزي، مظهرًا برفضه للأغنياء أن الخسائر المادية التي تصيبهم هي أمور لا ينبغي الالتفات إليها. —

لذا، لسنا في أدنى احتياج للسعي وراء المال، لأن الرب أيضًا لم يسع وراءه، بل يجب علينا أن نحتمل نقصانه أو سرقة بدون حزن، ولقد نطق روح الرب على لسان الرسول قائلاً: "محبة المال أصل كل الشرور".^٢

يجب علينا ألا نفهم أن محبة المال هي اشتهاؤ ما للغير فقط، لأن ما يبدو وكأنه لنا هو في الحقيقة لغيرنا. إننا لا نملك شيئًا، لأن كل الأشياء هي لله، ونحن أنفسنا أيضًا ملكًا له، فإن كنا نشعر بعدم صبر عندما نعاني من خسارة، متأسفين على ما قد ضاع مما لا نملكه، فحينئذ سنكون قريبين من محبة المال. عندما لا نستطيع احتمال خسارة ما للغير، فذلك لأننا نشتهي ما لا يخلصنا. لذلك، فالإنسان الذي يغضب بشدة لعدم احتماله للخسارة، إنما يخطئ إلى الله مباشرة بإعطائه الأولوية للأمور الأرضية أكثر من الأمور السماوية، فإنه يصيب الروح القدس الذي منحه إياه الرب بصدمة، لأجل اهتمامه بأمرٍ عالمي.

فلنخسر إذا الأشياء الأرضية بإرادتنا ونحتفظ بما هو سماوي، وليهلك العالم مادمت أملك الصبر على احتمال هلاكه.

في الحقيقة، أنا لست أدري إن كان من لا يعتزم بثباتٍ على احتمال خسارة شيء ما مما له - سواء بالسرقة أو بالغصب أو حتى بسبب الإهمال - سيستطيع أن يعطى ماله صدقةً برضاه ورجبته؟! لأن من لم يحتمل أن يخضع لعملية جراحية على يد أحدٍ قط، كيف يستل السكين ويفتح جرحه بنفسه؟! إن الصبر في حالات الخسارة هو اختبارٌ للعطاء والتواصل، فمن لا يخشى الخسارة لن يجد في العطاء

^١ الذي يتكل على أمواله.

^٢ بولس (١ تي ٦: ١٠).

الصبر

أمرًا شاقًا. كذلك، كيف يمكن لمن له ثوبان أن يعطى أحدهما للعرعان، إلا إذا كان هذا الإنسان يستطيع أن يقدم رداءه أيضًا لمن يسلب منه ثوبه؟^١ وكيف نقدر أن نصنع لنا أصدقاء بالمال،^٢ إن كنا نحبه بشدة لدرجة أننا لا نطيق خسارته؟! إننا سوف نفنى، نحن والمال المفقود معًا، فلماذا نريد أن نجد هنا ما يجب أن نضيعه؟^٣ إن إظهار عدم الصبر على كل أنواع الخسائر هو من صفات الوثنيين، الذين يعطون المال الأولوية، ربما حتى قبل أرواحهم. لأن هذا هو ما يفعلونه حينما يواجهون المخاطر التجارية المربحة في البحر لأجل الريح الجشع، وهذا هو ما يفعلونه حينما لا يترددون أن يواجهوا في الميدان لأجل المال،^٤ ما قد يخشاه الجحيم نفسه! حينما يؤجّرون أنفسهم لأجل الرياضة والخدمة العسكرية، وأيضًا حينما يمارسون قُطع الطرق بطريقة الوحوش المفترسة.

لكننا بسبب الاختلاف الذي نتميز به عنهم، يليق بنا ألا نقدم أرواحنا لأجل المال، بل المال لأجل أرواحنا، سواء بشكل تلقائي بغرض العطاء، أو بصبر وقت فقدان المال.

الفصل الثامن

احتمال العنف والسب.

هل سنتألم نحن الذين نُعرض أرواحنا وأجسادنا لكل أشكال الأذى الموجودة في هذا العالم، ونُظهر صبرًا على هذا الأذى، لأجل خسارة الأشياء قليلة

^١ (مت ٥ : ٤٠)، (لو ٦ : ٢٩).

^٢ (لو ١٦ : ٩).

^٣ (مت ١٠ : ٣٩).

^٤ أي ميدان المباراة، حيث كان الفرسان يتبارون ويقدمون عروضًا خطيرة لأجل الريح، مع أن الهزيمة معناها الموت مقتولاً. {المترجم}.

الأهمية؟!^١ ما أبعد هذا العار عن خادم المسيح، أن يتخلى عن الصبر الذي سبق وأظهره في تجارب أشد قوة، لأجل تجاربٍ تافهة! فإذا ما حاول أحدٌ أن يستثيرك لأجل الاقتتال، فتذكر أن الرب قد نبهنا قائلًا: "من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضًا"^٢، واجعل الاعتداء يذوب بصبرك، فأَيَّ كان الألم والعار المصاحب لهذه اللطمة، فإن صاحبها سيتلقى من يد الرب لطمة أشد. إنك باحتمالك تجرح هذا المعتدي بشكل أكبر، لأنه سوف ينال الضربة ممن تحتمل لأجله.

فإن انطلق لسانٌ غاضبٌ بالشتيمة أو التعبير، فتذكر قول الرب: "إذا عيروكم... افرحوا"^٣ فإن الرب نفسه قد صار لعنةً من وجهة نظر الناموس،^٤ مع أنه هو وحده المبارك.

لأجل هذا أيها الخدام، فلنتبع ربنا بتدقيق، ونحتمل الشتيمة بصبرٍ لكي ما نصير مباركين، فإن كنت لا أحتمل سماع كلمة طائشة أو شريرة قد قيلت في حقّي، فمن المؤكد أنني سوف أثار لنفسي، أو أصمت شاعرًا بعذاب لعدم احتمالي. إن كنت أشتم فأرُد، فكيف إذا أكون تابعًا لتعليم الرب؟!^٥

فلأجل هذا قيل: "ليس شيءٌ من خارج الإنسان إذا دخل يقدر أن ينجسه، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان"،^٦ وقيل أيضًا: "إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، سوف يُعطون عنها حسابًا"،^٧ فالمحصلة إذاً أن الرب ينبهنا لكي نحتمل ما يفعله الآخرون بصبرٍ، وفي نفس الوقت، يمنعنا من أن نفعل نفس هذه

^١ (مت ٦: ٢٥)

^٢ (مت ٥: ٣٩)

^٣ (مت ٥: ١١، ١٢)، (لو ٦: ٢٢، ٢٣)

^٤ (مت ٢١: ٢٣)، (غل ٣: ٣)

^٥ (مر ٧: ١٥)

^٦ (مت ١٢: ٣٦)

الأفعال.

والآن سوف أنتقل إلى الكلام عن السعادة التي تنتظر الصابرين. إن أي جرح يحدث - سواء بالكلام أو باليد - سوف ينتهي بمجرد ظهور الصبر، مثلما ينتهي سلاحٌ قد استُخدم ضد أشد الصخور صلابةً وثباتًا. إنه سيصبح ضعيفًا، لأنه سوف يسقط بالتمام بغير نفعٍ أو نتيجة، بل وسوف يرتد في بعض الأحيان ويصيب من أطلقه، ويرد الإهانة بشكلٍ شديدٍ على من استخدمه. فلا شك أن الدافع وراء جرح أحدٍ لك هو أن يجعلك تتألم، لأن سعادة من يجرح هي في إيلاام المجرّوح. إذاً، فأنت حينما تُفسد سعادته - بعدم شعورك بالألم - فلا بد أنه سيتألم لفقدان بهجته. فإنك لن تذهب فقط دون أذى - حتى وإن كان هذا كافيًا لك - لكنك ستمضي فرحًا بالأكثر لخيبة أمل عدوك، آخذًا بثأرك نتيجة شعوره بالألم،^١ وهذه هي فائدة الصبر وما يسببه من بهجة.

الفصل التاسع

الصبر على فقدان الأحباء.

وحتى هذا النوع من عدم الصبر، والذي يظهر عند فقدان الأحباء، هو أيضًا بلا عُذر رغم وجود بعض التصريحات التي تدافع عن الحق في هذا الحزن، فإننا يجب أن نضع التأمل في تصريح الرسول^٢ دائمًا أمام أعيننا حينما قال: "لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين، لكيلا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم"، لأن هذه هي الحقيقة. إننا بإيماننا بقيامة المسيح نؤمن أيضًا بقيامتنا نحن الذين قد مات

^١ ولو أن هذا بالتأكيد ليس هو الهدف من فضيلة الصبر، لأن الرب قد قال: "لي النعمة" (رو ١٢:

١٩). (المترجم)

^٢ بولس (١ تس ٤: ١٣).

المسيح ثم قام لأجلنا.

إذًا، فلأن قيامة الأموات هي أمرٌ محققٌ، فالحزن على الموت يكون بلا فائدة، وكذلك عدم احتمال الحزن على الموت يكون أيضًا بلا فائدة، فلماذا تحزن إن كنت تؤمن بأن من تحبه لم يهلك؟! ولماذا تُظهِر عدم احتمالك لانسحابه المؤقت، رغم أنك تؤمن بأنه سوف يعود؟! فإن ما تظنه موتًا هو في الحقيقة انتقال،^١ والذي رحل قبلنا لا يجب أن نبكي عليه بالرغم من اشتياقنا إليه طبعًا. وحتى هذا الاشتياق لا بد أن يُعالج أيضًا بالصبر، فلماذا تبدو غير هادئ،^٢ رغم أنك في الحقيقة سوف تلحق به عن قريب؟!

إلى جانب ذلك، فإن عدم الصبر على أشياء من هذا القبيل يُنذر بشرٌ قد يصيب رجاءنا، ويجعل الإيمان كاذبًا، فإننا نجرح المسيح حينما لا نوافق على استدعائه لأي شخصٍ من هذا العالم، وكأن هذا الشخص يتحسر على ذلك!^٣ "لي اشتها أن انطلق وأكون مع المسيح"،^٤ هكذا قال الرسول، فما رأيكم؟ ليست رغبته هذه أفضل بكثير؟! فإن كان عدم احتمالنا للحزن أكبر من رغبتنا في نوال ما يريده المسيحيون، فإننا بهذا نبين عدم رغبتنا في نوال ذلك.

الفصل العاشر

الانتقام

يوجد أيضًا دافعٌ كبيرٌ آخر لعدم الصبر، ألا وهو الرغبة في الانتقام، سواء

^١ أوشيه الراقدين.

^٢ أي غير متعزٍ.

^٣ أي أننا نتصرف كما لو كان من انتقل حزين على فراقه للأرض. {المترجم}

^٤ (في ١: ٢٣).

الصبر

كانت بدافعٍ من العجب، أو بغرض الأذى. إن كان بدافع العجب، فهو على كل الأحوال باطل. وإن كان بدافع الأذى، فهو مكروه دائماً من الرب، وخصوصاً حينما تغضب بسبب أديةٍ أخيك لك، لأن هذا الدافع يصبح هو المسيطر عليك لأجل إتمام الانتقام، فيكون رد الأذية مضاعفاً على من ابتدأ بها.

إن الانتقام من وجهة النظر الخاطئة يبدو كتهينة للألم، أما من جهة الحقيقة فعلى العكس، إنه يُدان كأمرٍ شريرٍ، فما هو الفرق بين المثير والمُثار، إلا أن الأول هو من وُجد مبتدئاً بالشر قبل الآخر؟ على أن كليهما يكون متهماً في نظر الله بإيذاء إنسانٍ، لأنه نهي عن كل إيذاءٍ، وأدانه.

ففي عمل الشر لا يوجد مراعاة لرأي رجل دينٍ، ولا تستطيع رتبةً كهنوتيةً أن تميز أسباب عمل الشر عن بعضها،^١ فالوصية واضحة أن الشر لا يجب أن يقاوم بالشر.^٢ إن الأعمال المتشابهة تستحق مجازاة متشابهة، وإلا فكيف نكون حافظين للوصية إن كنا لا نمتنع - فيما نمتنع - عن الانتقام؟! وأية كرامة نعطيها للرب إن كنا ندعي لأنفسنا الحق في الأخذ بالثأر؟

فإن كنا نحن الفاسدون، الأواني الخزفية،^٣ نستاء بشدةٍ من عبيدنا الذين يُعطون لأنفسهم الحق في الانتقام من العبيد رفقاتهم، ونتفق معهم عندما يُظهرون الصبر - ليس لأجل خضوعهم كعبيدٍ، أو لأجل الغيرة على كرامتنا كأسيادٍ - بل ونعطيهم كذلك مكافأة أكبر مما كانوا سيأخذونه لأنفسهم، فهل هناك أي ضررٍ من أي نوعٍ في ترك الأمر للرب العادل جداً في حكمه، والمقتدر جداً في فعله؟ فلماذا إذاً نؤمن بأنه الديان، ولا نؤمن بأنه المنتقم أيضاً؟ فلقد وعد أنه سينتقم

^١ فلا يقدر كاهن أن يعطي الحل بالانتقام، حتى لو كان المُنتقم منه يستحق، أو كان المُنتقم

مظلوماً. {المترجم}

^٢ (رو ١٢: ١٧).

^٣ (٢ كو ٤: ٧).



عوضًا عنا حينما قال: "لي النعمة أنا أجازي"،^١ أي: "أصبروا عليَّ وأنا سوف أكافئ صبركم". فإنه حينما قال "لا تدينوا لكي لا تدانوا"،^٢ ألم يكن يطلب منا الصبر؟ فمن هو الذي يمتنع عن إدانة الآخر، إلا من كان صابرًا على الانتقام لنفسه؟ وهل هناك من يدين لأجل الغفران؟! حتى وإن غفر، فسيظل متحفظًا في غفرانه على ما فعله الآخر بسبب عدم صبره، مغتصبًا لنفسه كرامة الديان الوحيد الذي هو الله.

كم من مصائبٍ اعتادت أن تحدث نتيجة لهذه النوعية من عدم الصبر! وكم مرة نُدم على الانتقام؟! وكم مرة فعلت المصائب بسبب حدثها، ما هو أسوأ من الأسباب التي أدت إليها؟! فكما أنه لا يوجد شيء سببه عدم الصبر يمكن أن يتم بدون تهور، هكذا لا يوجد شيء يتم بتهور إلا ويؤدي إلى التعثر، أو السقوط التام، وقد يؤدي أيضًا إلى الفناء.

علاوة على ذلك، فإنك إن انتقمتم لنفسك انتقامًا ضعيفًا فسُعتبر مجنونًا، وإن انتقمتم أكثر من اللازم فسوف تتال العقاب، فلماذا أهتم إذا بالانتقام إن كنت لا أستطيع أن أضبط مقداره بسبب عدم احتمالي للألم، فطالما أمكنني أن أصبر بهدوء، فلن أشعر بالألم، وإن لم أشعر بالألم، فلن أرغب إذا في الانتقام لنفسي.

الفصل الحادي عشر

الأسباب الأخرى لممارسة الصبر، وعلاقتها بالتطويات.

أما الآن، وبعد أن بذلنا قصارى جهدنا في تسجيل الأسباب الرئيسية لعدم الصبر، فلماذا ننشغل ببقايا الأسباب التي قد تقابلنا، سواء في البيت أو في الخارج؟

^١ (رو ١٢: ١٩)، (عب ١٠: ٣٠)، (تث ٣٢: ٣٥).

^٢ (مت ٧: ١)، (لو ٦: ٣٧).

الصبر

إن أعمال الشرير التي تُقَدَّف بها أرواحنا بواسطة العديد من المحرضات، هي واسعة ومنتشرة. بعضها يكون خفيفاً، وبعضها شديد جداً. البعض يزدري بالخفيفة لضعفها، والبعض يستسلم للشديدة بسبب قوّتها الموهلة. فكلما كان الجرح صغيراً، كلما قلَّ الضرر. لكن حينما يكون الجرح كبيراً، فلا بد من علاج هذا الجرح بالصبر. فلنجاهد إذًا في احتمال عثرات الشرير، فإن ثباتنا الهادئ سوف يجعلنا نسخر من تحمس العدو.

فإن كنا بأنفسنا نجلب المصائب على أنفسنا، بتهورنا أو بمحض إرادتنا، فعلياً كذلك أن نحتمل بنفس الصبر ما يجب أن نلوم أنفسنا بسببه،^١ إن كنا نؤمن أن بعض الابتلاءات قد تأتينا من قبل الرب، لكننا لا نُظهر صبرنا أمام الرب، فلمن يجب أن نُظهر صبرنا إذًا؟! بل يليق بنا أن نشكر ونفرح أكثر وأكثر حينما نستحق التأديب الإلهي، لأنه قال: "إني كل من أحبه أؤيخه وأؤدبه".^٢ فطوبى للعبد الذي يصمم الرب على تهذيبه، ويتنازل ويغضب منه.^٣ طوبى لمن يويخه الرب بالحقيقة. نحن إذًا في جميع الأحوال ملزمين بضرورة ممارسة الصبر على جميع المصائب، سواء كنا نتعرض لتوبيخ الرب نتيجة لأخطائنا الإرادية، أو نتيجة للأخطاء التي تقع فيها بسبب فحاح الشرير. إن مكافأة هذا الصبر عظيمة، ألا وهي السعادة.

ولمن أعطى الرب التطويب إلا للصابر؟! فلقد قال: "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات".^٤ ويكل تأكيد لا يوجد من هو مسكين بالروح إلا من

^١ أي إن كنا نعاقب لأجل أخطائنا، فلا بد أن نحتمل بصبر.

^٢ (رو ٣: ١٩).

^٣ أي أن الرب بغضبه من أحد، ورغبته في تصحيح مساره، إنما يتنازل باهتمامه بهذا

الإنسان. {المترجم}

^٤ (مت ٥: ٣).

كان متضعضاً، وهل يوجد من هو متضعضٌ إلا الصابر؟ فإنه لا يستطيع أحد أن ينكر ذاته بدون أن يكون أولاً صابراً على إنكاره لذاته.

قال أيضاً: "طوبى للحزاني"^١ و"طوبى للباكين"^٢، فمن هو الذي يستطيع أن يتحمل الحزن بدون صبر؟ لذا فقد وعدهم الرب بالعزاء والضحك.

وقال: "طوبى للودعاء"^٣ ولا يمكن بالتأكيد أن يُعطى هذا اللقب لعديمي الصبر. كذلك حينما أعطى نفس التطويب لـ "صانعي السلام"^٤ ودعاهم "أبناء الله"، فقولوا لي أرجوكم، هل توجد أي علاقة بين العديم الصبر، والسلام؟! لن يظن ذلك إلا الأحمق!

وحينما قال: "إذا طردوكم وعيروكم"^٥، وقال: "افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات"^٦ فهو بالتأكيد لم يعد بهذا التهليل لعديمي الصبر. فإنه لن يتהל أحد في الضيقات إلا إذا تعلم أولاً أن يستهزئ بها، ولن يستهزئ بها إلا من تعلم ممارسة الصبر.

الفصل الثاني عشر

١ - بعض الوصايا الإلهية الأخرى.

٢ - تعريف الرسول للمحبة وعلاقتها بالصبر.

أمّا بالنسبة لممارسة السلام الذي يُسعد الله كثيراً، فهل يوجد في هذا العالم

^١ (مت ٥: ٤).

^٢ (لو ٦: ٢١).

^٣ (مت ٥: ٥).

^٤ (مت ٥: ٩).

^٥ (مت ٥: ١١).

^٦ (مت ٥: ١٢).

الصبر

الذي يميل لعدم الصبر، مَنْ يسامح أخاه ولو لمرة واحدة فقط، ولن أقول لسبع مرات أو سبعين مرة سبع مرات؟^١ ومَنْ هو الذي يقاضي خصمه ثم يحل المسألة بالتراخي،^٢ إلا إذا قطع أولاً الحزن وقسوة القلب والمرارة، الأمور التي هي في الحقيقة سموً ناتجة عن عدم الصبر؟ ومن هو الذي يطيع الوصية القائلة: "اغفروا يُغفر لكم"^٣ إن كان يتمسك بالخطأ في غياب الصبر؟

فلا يوجد من يمكنه أن يقدم قربانه قدام المذبح وهو على خلاف مع أخيه، إلا إذا رجع إلى الصبر وصالح أخاه. إننا سنكون في خطرٍ إذا ما غربت الشمس على غيظنا،^٤ فنحن غير مصرح لنا بأن نمكث يوماً واحداً بدون الصبر.

وبما أن الصبر يسبق كل أنواع التعليم السليم، فما هو العجب إذاً في أنه يساعد على توبة مَنْ انفصل عن زوجته، وينتظر توبته إن أراد أن يخلص، ويتوق إلى هذه التوبة ويقنع بتضرعاتها.^٥ فيا لها من بركة عظيمة يمنحها الصبر للرجل بأن يحميه من الزنا، وللمرأة بأن يقومها،^٦ كما أن الصبر هو من يجعل الأرملة أو الأرملة يُصرون على البقاء بدون زواج، بالرغم من كونه أمراً مُصرحاً به.

الصبر موجودٌ أيضاً في النماذج التي قدمها الرب عن التوبة، في الأمثلة التي

^١ (مت ١٨: ٢١، ٢٢).

^٢ (مت ٥: ٢٥).

^٣ (لو ٦: ٣٧).

^٤ (مت ٥: ٢٣، ٢٤).

^٥ (أف ٤: ٢٦).

^٦ المقصود بالذي ينتظر ويتوق ويقنع هنا هو الصبر.

^٧ أعتقد أنه يقصد هنا الزوج الذي يطلق امرأته بسبب خطأ قد ارتكبتها، فيجب عليه أن يعيدها ولا يزني عليها، كما يجب عليها أن تندم على خطأها، وكلا الأمرين سيحتاج للصبر. {المترجم}.

قالها. فإن صبر الراعي يجعله يبحث حتى يجد الخروف الضال،^١ لأن عديم الصبر لن يبالي بخروف واحد، أما الصابر فسوف يحتمل تعب البحث. الصبور المحتمل سوف يحمل الخاطئ المنبوذ على منكبيه ويعود به إلى البيت، والأب الصابر يستقبل الابن الضال، ويُلْبِسه ويُطْعمه، ويلتمس له العذر لدى أخيه الذي يغضب بسبب عدم احتماله^٢. إن الذي كان ميئاً عاش لأنه مضى في طريق التوبة، فالتوبة لن تفشل لأنها دائماً تجد الصبر مُرحباً بها.

وكيف يمكن أن يتعلم أحد المحبة - التي هي قدس أقداس الإيمان، وكنز المسيحية، كما تكلم عنها الرسول^٣ بقوة الروح القدس - إلا بممارسة الصبر؟ لقد قال: "المحبة تتأني"، وهذه الأناة مستمدة من الصبر، "وترفق" لأن الصبر ليس فيه أي شر. "المحبة لا تحسد"، وهنا إشارة خاصة للصبر بكل تأكيد. "لا تتفاخر" إذا جعلت نفسها صامدة بفعل الصبر. "لا تنتفخ ولا تقبح" لأن هذا لا يلائم الصبر. "ولا تطلب ما لنفسها" بل تقدمه لغيرها إذا كان نافعاً لهم. "لا تحتد" لأنها لو احتدت، فماذا تركت لعدم الصبر؟ لذا، فقد قال إن المحبة "تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء" ليس لشيء إلا لأنها صابرة. فذلك، "المحبة لا تسقط أبداً".

إن كل شيء آخر سوف يبطل وينتهي، "وأما النبوءات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل"، "وأما الآن، فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة"، الإيمان الذي قدمه لنا صبر المسيح، والرجاء الذي ينتظره صبر الإنسان، والمحبة التي ترافق الصبر - كما علّمنا الرب.

^١ (لو ١٥: ٣، ٦).

^٢ (لو ١٥: ١١، ٣٢).

^٣ (١ كو ١٣).

الفصل الثالث عشر

صبر الجسد

لقد تحدثنا حتى الآن عن الصبر ببساطةٍ وتنظيمٍ على أنه أمر يتعلق بالروح فقط. لكنني سوف أذكر صوره الأخرى المتعلقة بالجسد، لكي ما نريح الرب^١ في النهاية. فبقدر ما أظهره الرب بنفسه كفضيلة تخص الروح، بقدر ما قد مارسه كصفة تخص الجسد أيضاً، لأن العقل الواعي يستطيع أن يربط بسهولة بين عطايا الروح وأماكن استقبالها وسكنائها في الجسد. والسؤال الآن، ما هو عمل الصبر في الجسد؟

أولاً: إِمَاتة الجسد - وهو ما يُعتبر قربان يصرف غضب الرب، عن طريق تقديم ذبيحة الانسحاق^٢ - بتقديم ذبيحة للرب في صورة لبس الثياب الحقيرة والأكل الشحيح، إلى جانب الصيام، ثم الاكتفاء بأكلٍ بسيطٍ وبشرب الماء فقط، مع الاعتناء على المسوح والرماد. إن صبراً مثل هذا يعطي نعمة لصلواتنا، ويمنحها قوةً ضد الشر، ويُميل أذن المسيح إلينا، ويصرف غضبه، ويمنحنا رحمته. لقد عاش ملك بابل^٣ لمدة سبع سنوات محروماً من آدميته في قذارة وتهميش لأنه أساء إلى الرب، لكن حينما قدّم ذبيحة صبره الجسدي، لم يسترد فقط مملكته، بل وأرضى الرب كذلك - وهو أقصى ما يتمناه أي إنسان.

وإذا ما تعمقنا في التأمل في درجات الصبر الجسدي، والتي هي أعلى وأكثر بهجةً، فسوف نجد أن صبر الجسد هو الذي يساعد على ضبطه لأجل الوصول

^١ (في ٣: ٨).

^٢ (مز ٥١: ١٧).

^٣ نبوخذ نصر (دا ٤: ٣٣، ٣٧).

للقداسة، وهو من يحفظ الأرملة،^١ ويختم على عفة العذراء،^٢ ويدفع الذين خَصُّوا أنفسهم إلى ملكوت السماوات.^٣ لأن ما يبدأه الروح القوى، يكمله الجسد.

ثانيًا: إن صبر الجسد هو مَن يحارب في وقت الاضطهاد، فإذا ما ضغط فكر الهروب بشدة، يتصدى له الجسد. وإذا ما وُضِعنا في السجن، فإن الجسد المربوط والمقيّد بسلاسل، والموضوع في حبس انفرادي، والمحتاج إلى النور، هو من يحتاج إلى صبر العالم كله حتى يحتمل. فإن الإنسان لن يحتاج لشيء حينما يصل إلى النهاية السعيدة^٤ أكثر من صبر الجسد، أي وقت معمودية الدم^٥، حينما يصعد إلى عرش الله.

فإن كان "الروح نشيط" وأما الجسد فضعيف،^٦ فذلك بسبب افتقاره للصبر، ولكن هل من الممكن أن تخلص الروح، بل وحتى الجسد نفسه، بدون الصبر؟! إن الرب حينما قال ذلك عن الجسد وأعلن أنه "ضعيف"، قد أوضح أن الذي يحتاجه الجسد لكي يقوى، هو الصبر. والذي به يمكن مواجهة أية محاولة لهدم الإيمان، أو للعقاب من أجل الإيمان، حتى يستطيع الجسد أن يحتمل ما احتمله الأنبياء والرسل بكل ثبات، سواء الجَلَد أو الحرق أو الصلب أو الوحوش أو السيف، وغلبوا باحتمالهم.

^١ (١ تي ٥: ٣، ٩، ١٠)، (١ كو ٧: ٣٩، ٤٠).

^٢ (١ كو ٧: ٣٤، ٣٥).

^٣ (مت ١٩: ١٢).

^٤ التي هي الاستشهاد.

^٥ (لو ١٢: ٥٠).

^٦ (مت ٢٦: ٤١).

الفصل الرابع عشر

قوة هذا الصبر المزبوج - أي صبر الروح وصبر الجسد - قد تجلّت في قديسي العهد القديم.

بقوة هذا الصبر نُشر "إشعيا"، ولم يكف عن الكلام فيما للرب. رُجم "استفانوس" وهو يصلي لأجل الغفران لأعدائه.^١ أيضًا هذا المغبوط،^٢ الذي جاهد في مواجهة كل هجمات الشيطان، والذي لم تبعده سرقة أبقاره، ولا احتراق ثروته من الأغنام، ولا مقتل أولاده بسقوط البيت عليهم مرة واحدة، ولا حتى إصابة جسده كله بجروح مؤلمة، عن الصبر والإيمان الذي عاهد به الله، فضاعت كل ضربات الشيطان التي وجهها له هباء.

رغم كل آلامه لم يفقد احترامه للرب، بل صار مثالاً يُحتذى به، وشاهدًا لنا على إتمام الصبر بإتقان، سواء على مستوى الروح أو الجسد، لكي لا نستسلم أمام دمار حوائجنا الأرضية، أو فقدان شخصٍ عزيز، أو حتى أمام أية محنة جسدية.^٣ فياله من نصر قد حققه الله على الشيطان في شخص هذا البطل، ويا لها من راية انتصار، هذه التي رُفعت لمجد الله ضد هذا العدو، حينما قابل هذا الرجل كل رسالة مُرّة دون أن ينطق بكلمة سوى كلمات الشكر لله، وحينما انتهر زوجته التي اتعبته أكثر من بلاياه، عندما حنّته على اللجوء لأدوية مغشوشة.^٤

كم كانت مسرة الله، وكم كان الشيطان هائجًا كمن قُطع إربًا، حينما استمر أيوب بثباتٍ وقدرٍ يحك التقيحات التي تخرج من قروجه،^٥ ويرجع الديدان الخارجة

^١ (أع ٧: ٥٩، ٦٠).

^٢ أيوب البار (أي ١، ٢).

^٣ أي المرض.

^٤ أي الابتعاد عن ذكر الله حينما قالت له "بارك الله ومث" (أي ٢: ٩).

^٥ (أي ٢: ٨).

من جروحه الغائرة - والتي هي أماكن غذائها في جسده المملوء بالحفر - إلى أماكنها بروحٍ مرجح^١.

وهكذا، حينما ضعفت كل سهام التجارب أمام درع وترس صبر أيوب - الذي هو أداة انتصار الله - لم يرد له الله سلامة جسده فقط، بل أعطاه ضعف ما فقدته، ولو طلب أن يسترد أولاده ثانية لكان قد سمعهم يقولون له: "يا أبي"^٢. لكنه فضل أن يستردهم "في ذلك اليوم"^٣، وأجل هذه البهجة - المضمونة تمامًا من قبل الله - واحتمل الثكل اختياريًا، لأنه لا يمكنه أن يعيش بدون أية ممارسة للصبر^٤.

الفصل الخامس عشر

ملخص عام لفضائل وتأثيرات الصبر.

إننا نأتمن الله تمامًا على وديعة صبرنا، فإن كنت تأتمنه على احتمالك للظلم، فإنه سينتقم لك. وإن كنت تأتمنه على خسارة، فهو سوف يردها لك. إن كان ألمًا فهو الشافي، وإن كان موتًا فهو المحيي.

فيا لها من كرامةٍ عظيمةٍ للصبر أن يكون الرب كمن هو مديون له! لأن الصبر هو الحافظ لكل أوامره، والمنفذ لكل مأمورياته. إنه يقوي الإيمان، ويقود للسلام، ويعضد الخير، ويؤسس التواصل، ويتأنى لأجل التوبة، ويختم على

^١ تأمل وتخيّل لمنظر أيوب وهو يحتك بالشققة، وهو هنا يريد أن يبين كم كان الله سعيًا بصبر أيوب، وكما صار الشيطان مخزيًا {المترجم}.

^٢ أي إنه لو طلب من الرب أن يعودوا أحياء، لكان الرب قد أعادهم إليه.

^٣ (٢ تي ٤: ٨).

^٤ من الواضح أن أسلوب العلامة ترنتليان كان تسخير كل تأمل وتفسير لأجل تأكيد رأيه، أو لخدمة الموضوع. {المترجم}

الصبر

الاعتراف، ويضبط الجسد، ويحفظ الروح، ويلجم اللسان، ويكبح عنف الأيدي، ويدوس التجارب تحت الأقدام، ويبعد الوشايات، ويُكَلِّل الاستشهاد، ويعزى الفقير، ويعلم الغنى الاعتدال، ولا يجهد الضعيف فوق طاقته، ولا يُضني القوي.

إنه فرح المؤمن، وهو مَنْ يدعو الوثني للإيمان. يوصي العبد بخدمة سيده، ويوصي سيده بخدمة الله. يُزِين المرأة، ويؤهل الرجل. محبوب في الطفولة، وممدوح في الشبيبة، ومحترم في الشيخوخة. هو لطيفٌ لكلا الجنسين في كل مراحل العمر. والآن، دعونا نأخذ فكرة عامة عن ملامحه وسماته.^١ إن ملامحه هادئة وكلها سلام، جبهته ناصعة غير منكشحة بتجاعيد الحزن والغضب، حاجبيه مرتخيان برصانةٍ وحكمةٍ مفرجةٍ، عيناه منكسرتين بتواضعٍ وليس بحزنٍ، فمه مختوم بعلامة الصمت المُكْرَم، هيئته مثل هيئة من هُم بلا هَمٍّ ولا خطية. يُحرك رأسه مُزديرا بالشیطان، ويضحك مهدداً إياه. ثيابه بيضاء تليق بشخصه، وليست مهلهلة ولا منزعة من الرياح.^٢

إن الصبر يجلس على عرش مملكة الروح الهادئ الوديع،^٣ الغير موجود في الزوبعة ولا في صورة الضباب. بل في الصوت المنخفض الخفيف،^٤ الواضح والبسيط، كما رآه "إيليا" في ثالث رسالة.^٥

فحيثما يوجد الله يوجد أيضاً ابنه الذي رياه - الذي هو الصبر. ومتى حُلَّ روح الله، يصبح الصبر بلا افتراق، فهل سيظل الروح معنا دائماً إذا لم نقبل

^١ وهو هنا يتصور الصبر كإنسان له صفات تحمل القوة والاتضاع في نفس الوقت. {المترجم}

^٢ أي رياح التجارب.

^٣ أي روح الله.

^٤ (١ مل ١٩: ١١، ١٢).

^٥ (١ مل ١٩: ١٠، ١٣). بعد أن سأله الرب مرتين قائلاً "ما لك ههنا يا "إيليا"، تكلم معه في المرة

الثالثة من هذا الصوت الخفيف. {المترجم}.

الصبر عند قبولنا للروح؟ كلا، أنا متأكد أنه لن يبقى معنا، فإنه سوف يتضايق في كل مكان وفي أي وقت بدون رفيقه وخادمه، ولن يمكنه تحمل ضربات عدوه الواقعة عليه وحده، بدون الأدوات التي تساعد على الاحتمال!^١

الفصل السادس عشر

صبر الوثنيين يختلف تمامًا عن صبر المسيحيين.

صبرهم محكوم عليه بالهلاك، وأما صبرنا فيؤدي إلى الخلاص.

هذه هي الوصية، وهذا هو التعليم. هذه هي أعمال الصبر السماوية السليمة. هذا هو الصبر المسيحي. ليس باطلاً، ولا يوجد به عيبٌ مثل صبر شعوب الأرض.

لأجل هذا علّم الشيطان أيضًا صبره الخاص لأتباعه، تمامًا مثلما علّم الرب صبره لتلاميذه، لكي ما ينافس الرب أيضًا في هذا الأمر. فالشر والخير متساويان في المقدار، ولكن متضادان في الاتجاه بفرق شاسع.^٢

أنا أعني هذا الصبر الذي يجعل الرجال خاضعين لزوجاتهم اللواتي يشترين رجالهن بالمال، ويعلمنهم أن يكونوا قوادين.^٣ الصبر الذي يجعل النساء يحتملن كل عناء الملاحظات الإجبارية بعواطف مصطنعة، كيما يتصيدن الرجال الأرامل الذين ليس لهم أولاد، ويحصلن على الميراث. الصبر الذي يجعل عبيد البطون^٤

^١ أي أن الروح القدس لن يساعد من لا يريد الاحتمال، بل سيتركه إلى أن يحتمل، وهو هنا يريد أن يوضح مدى ارتباط الروح القدس بفضيلة طول الأناء، التي هي من ثمر الروح. (غل ٥: ٢٢).

{المترجم}

^٢ كالفرق بين الموجب والسالب في الرياضيات. {المترجم}

^٣ وهي رذيلة كانت منتشرة بين الوثنيين في تلك الأيام. {المترجم}

^٤ (في ٣: ١٩).

الصبر

يستسلمون لعبودية حقيرة، ويُخضعون حريتهم لحناجرهم.
هذه هي أهداف الصبر التي يعرفها الوثنيون، وتجعلهم يلتجئون إليه بلهفة
لأجل هذه الممارسات الدنيئة. يصبرون لأجل المنافسات والثروة ودعوات الحفلات،
لكنهم لا يحتملون الصبر لأجل الرب.
فليُنظر صبرهم وصبر رؤسائهم إلى نفسه، لأن صبرهم تنتظره نار الهاوية.
أما نحن فلتحب صبر المسيح، ولنغوضه عن الصبر الذي قدمه لأجلنا.
دعونا نقدم له صبر الروح وصبر الجسد، كمن يؤمنون بقيامة الجسد والروح.

التوبة

للعلامة ترثليان

مقدمة

كتب هذا النص حوالي سنة ٢٠٣م قبل أن ينحرف "ترتليان"، وهو يعتبر من النصوص المهمة تاريخيًا، والتي بينت طبيعة قوانين التوبة الكنسية، وكيف كانت تتم في العصور الأولى للمسيحية.

واضح من النص أن الهدف منه كان تعريف الموعوظين بأن التوبة لا بد وأن تسبق المعمودية - بالنسبة للكبار - حتى ينال الإنسان غفران خطاياہ السالفة، وألا يظن أحد أن المعمودية وحدها كافية لنوال المغفرة بدون توبة حقيقية، لأن الله لا يمكن خداعه، فهو فاحص القلوب والكلى (رؤ ٢: ٢٣).

من الواضح أيضًا أن بعض الموعوظين في هذه الفترة كانوا يستعجلون نوال المعمودية بدون اهتمام بالاعتراف والتوبة الكاملة، مما دفع الكثيرين للتهاون، وجعلهم يخطئون بإرادتهم بعد المعمودية، وهو ما لا ينبغي التهاون فيه.

لذلك، فهو يبين أن الكنيسة ستسامح من يخطئ بعد المعمودية بسبب الجهل أو السهو، وأما هؤلاء الذين يعتبرون محبة الله وغفرانه فرصة لهم أن يتهاونوا في السلوك بحياة التوبة، فإن الكنيسة ستسمح لهم بالاعتراف والتوبة لأول مرة بعد المعمودية، مع قانون توبة شديد. أمّا إذا تكرر الأمر، فستكون هناك وقفة شديدة.

ليس الغرض من النص هو التخويف من الهلاك، لكن الهدف هو إظهار الجدية والإخلاص في حياة التوبة. "ترتليان" يدعو الخاطئ لعدم اليأس من إمكانية التوبة مرة أخرى، ويحثه على إظهار خجله أمام الله، بإذلال الذات، والصوم والميطانيات، ولبس المسوح، والبعد عن الميزات، كتعبير عن حب الإنسان لله وشعوره بالخجل لأنه أحزن قلب الله، وليس للتكفير عن ذنبه.

والنص يؤكد ضرورة الاعتراف على الكهنة، وعدم الخوف من أن يفشي الكاهن أسرار المعتبر وخطاياہ، وعدم الخجل من الاعتراف، لأن الفائدة التي

سيحصل عليها المُعترف سوف تكون أكثر بكثير.

في هذا النص يؤكد لنا العلامة "تريليان" أن:

١- استنارة العقل نعمةً يعطيها الله لأولاده، أما الذين يفتقدون لنور العقل فلن يجدوا الخلاص. "فإن هم أخروا في خسر العالم طوال الحياة بدون دقة العقل، فلن يعرفوا كيف تجشوا الزوبعة المزمعة أن تأتي على العالم." (الفصل الأول)

٢- ضرورة ممارسة سرّ التوبة والاعتراف قبل معمودية الكبار، لأن فاعلية التطهير من الخطايا في المعمودية لن تتم إلا حينما يكون الإنسان راغباً في حياة التوبة.

"فأية جاسة مسنعية، وأي دنس يظهر في قلب الإنسان بسبب الجهل، تكتسه النوبة وتفسحه وتطرحه خارجاً، مما يجعل القلب بيتاً نظيفاً معداً لحضور الروح القدس." (الفصل الثاني)، "نحن لا نعتمد لكي نكف عن الخطية، بل لأننا قد أفلعنا عنها بالفعل منذ أن اغسلت قلوبنا." (الفصل السادس)

٣- مجرد الرغبة في عمل الشر هي خطية، حتى لو لم يتم عمل الشر. "يجب الهروب والنظر بالنوبة، ليس فقط من خطايا الفعل، بل ومن خطايا الإرادة

أيضاً. " (الفصل الثالث)

٤- التوبة هي طوق النجاة للخطيئ. "فيا مَنْ أنت خاطئ مثلي، هل سنسارع بكل قوة إلى هذه النوبة، ونخضعها بشدة، مثلما نخضع من تخضعت سفينته بالواح الحشب الطافية؟ إن هذا سوف يسحبك حينما تغرق في أمواج الخطايا، وتغمر صوب ميناء الرحمة الإلهية. " (الفصل الرابع)

٥- التزامنا بتنفيذ وصايا الرب نابع من طاعتنا له لثقتنا فيه، وليس لكوننا فكرنا ووجدنا أن الوصية جيدة. "لكن بالتأكيد أن ما تجعلنا نلتزم بطاعة الوصية ليس هو حقيقة ألها جيدة، بل حقيقة أن الله قد أمر بها. " (الفصل الرابع)

٦- المؤمن لا يجب أن يتهاون في تكرار الخطايا التي سبق وأن قدم عنها توبة، لأن ذلك معناه أن مخافة الله قد توقفت في قلبه.

"فليس لك أن تخج الآن بعد أن تعرفت على الرب وقبلت وصاياه - أي بعد أن تعهدت بالنوبة عن الخطايا السابقة - فنعود ثانية للخطايا نخجة الجهل. إنك كلما عرفت أكثر، كلما لصقت بك خطية العصيان أكثر. فإن كان سبب توبتك عن خطاياك هو أنك بدأت في مخافة الله، فلماذا نقصت ما قد بدأت به مخافتك، إلا لكونك قد توقفت عن المخافة؟ لا يوجد شيء يفسد

المخافة سوى العصيان. " (الفصل الخامس)

٧- الله ليس بحاجة لأن يُظهر نفسه، لأن وجوده واضحٌ تمامًا من

خلال عطاياه. (وهي رسالة يقدمها تريليان للملحدين في كل

العصور، وبالأكثر في عصرنا هذا).

"لأن الجهل بوجود الله مسخيلٌ، فهو واضحٌ علانيةً أمام الناس، ويمكن

إدراكه من خلال عطاياء السماء. " (الفصل الخامس)

٨- التوبة والاعتراف هما علاج الخطية المتكررة. "لا تدعوا أحدًا يتجمل،

لأن المرض المنكسر يحتاج لنكسار الدواء. " (الفصل السابع)

٩- يشترك الجسد والروح معًا في ممارسات التوبة بعد الاعتراف بالخطية

على الكاهن. "فإنك بتغذيتك لصلاتك بالصوم، وبأثنيك ونوحك وصراخك إلى

الرب إلهك، وبأخنائك عند أقدام الكهنة وجثوك أمام أحبائك، توجّه كل

الأخوة لأن يكونوا سفراء يحملون توصلات استرحاماتك إلى الله. إن كل هذه

الأعمال المصاحبة للاعتراف تتم لأجل كمال التوبة. " (الفصل التاسع)

١٠- الله يجازي الإنسان على قدر تعبته من أجل محبته لله، والتي جعلته

يحزن لأنه أحزن قلب الله. "صدقني، كلما قلّت شفقتك على نفسك، كلما أشفق

الله عليك. " (الفصل التاسع)

النوبة

١١- الاعتراف قد يكون مُحرجًا للإنسان، لكن مَنْ يريد العلاج لا يجب أن ينظر لمرارة الدواء. "لكنك تقول إنه أُمُّ مُعَبٌّ أن نذهب للاعتراف. نعم، لأن السُّيُودِي إلى الشقاء. لكنك حينما تضع النوبة يطل النعب، لأنه ينحول إلى منفعة."،

"لكن، ما هي المكافأة التي بَعِدْنَاهَا الحجل حينما خُفِي أخطأنا؟!
... هل من الأفضل أن نُدان في السُّ، عن أن نال الحِل في العلن؟!"
(الفصل العاش)

المترجم

التوبة

الفصل الأول

توبة الوثنيين

يعتقد الناس بحسب فهمهم أن التوبة هي انفعالٌ عقلي، ينتج عن استياء من مشاعر حدثت في الماضي وتكررت بشكل أسوأ. أنا أقصد هذه النوعية من الناس التي كُنّا على شاكلتها في الماضي، عميانًا بدون نور الرب، وهم بعيدون تمامًا عن فهم التوبة قدر بعدهم عن مبدع العقل نفسه.

العقل في الحقيقة هو شيء يخص الله، لأن الله خالق الكل لم يهيئ أو يدبر أو يرتب شيئًا بدون العقل. لذلك، لا شك أن كل من يجهل الله يجهل أيضًا ما يخصه، ولا يمكن أن توضع خزانة الكنز في متناول يد الغرياء، فإن هم أبحروا في بحر العالم طوال الحياة بدون دفة العقل، فلن يعرفوا كيف يجتنبوا الزوبعة المزمعة أن تأتي على العالم.

علاوة على ذلك، فإن طريقة تصرفهم بلا عقل في ممارسة التوبة لكافية لتوضيح هذه الحقيقة. إنهم يمارسونها حتى حينما يعملون الأمور الصالحة، فإنهم يتوبون عن الإيمان السليم، وعن المحبة، وعن نقاوة القلب، وعن الصبر والرحمة. بالضبط مثلما يتوبون عن أي سقوط في مشاعر جحود! إنهم يلعنون أنفسهم عندما يصنعون الخير، وهذا النوع من التوبة بالذات، والذي يقدمونه عن أفضل أعمال قلوبهم، يجعلهم يتذكرون باهتمام ألا يفعلوا هذه الأمور الجيدة مرة أخرى! وفي المقابل، حينما يتوبوا عن الأعمال الشريرة، نجدهم يضعون أحمالاً أخف!

باختصار، إنهم يجعلون الفضيلة نفسها وسيلة للخطية أكثر من كونها وسيلة

الفصل الثاني

التوبة السليمة هي أمر إلهي أوجده الله، ويخضع لشرائعه.

لو كان هؤلاء يتصرفون كمن لهم علاقة بالله - وبالتالي سيصبح لهم علاقة بالعقل - لتأملوا أولاً في أهمية التوبة بشكل جيد، وما كانوا يطبقوها بهذه الطريقة الفاسدة لتأديب أنفسهم، والتي بواسطتها يجعلون التوبة سبب لإدانة أنفسهم. باختصار، علاقتهم بالله كانت ستجعلهم يضعون حدًا لتوبتهم، لأنهم كانوا سيصلون أيضًا إلى حدٍ للخطية، بمخافتهم لله.

لكن إن لم توجد المخافة، فلن يكون هناك تقويم،^١ وإن لم يوجد التقويم ستكون التوبة باطلة بكل تأكيد، لأنها سوف تفتقر لوجود الثمرة التي لأجلها غرس الله التوبة، وهذه الثمرة هي خلاص الإنسان.

فبعد أن كثرت وتعاضمت خطايا تهور الإنسان، والتي بدأت بآدم الإنسان الأول، وبعد إدانة الإنسان والعالم الذي وُهب له، وبعد طرده من الجنة وخضوعه للموت، تعهد الله بمنح الغفران لمخلوقه وصورته^٢ حينما عاد إلى رحمته سريعًا، ودشن التوبة بنفسه منذ ذلك الحين بإبطال حكم غضبه الأول. وهو بهذا قد جمع البشر معًا لنفسه، وأمدهم بالكثير مما فرّقهم عليهم بكرمه،^٣ ولما وجدهم جاحدين في أغلب الأوقات، حضهم دائمًا على التوبة، وأرسل لهم أصوات الأنبياء جميعًا كي يبتبأوا لهم، ثم وعد بالنعمة المجانية التي عزم أن يسكبها في آخر الأيام، كفيض من النور على العالم بواسطة روحه. لقد أمر معمودية التوبة أن تتقدم الطريق لأجل

^١ أي للنفس.

^٢ أي الإنسان (تك ١: ٢٦، ٢٧)

^٣ (مز ١١٢: ٩)

الإعداد أولاً، بواسطة علامة وختم التوبة، لهؤلاء الذين قد دعاهم^١ بنعمته ليرثوا الوعد الأكيد الذي مُنح "لإبراهيم".

إن يوحنا لم يصمت، بل قال: "توبوا، لأنه قد اقترب الخلاص من الشعوب"،^٢ فالتوبة هي التي تأتي بالخلاص حسب وعد الرب. لقد وجّه يوحنا "السابق" التوبة التي كرز بها، إلى الله الذي يقوم بدوره بتطهير عقول البشر. فأية نجاسة مستعصية، وأي دنس يظهر في قلب الإنسان بسبب الجهل، تكنسه التوبة وتمسحه وتطرحه خارجاً. مما يجعل القلب بيتاً نظيفاً مُعدّاً لحضور الروح القدس، الذي سوف يأتي في الحال بما يحمله من عطايا سماوية، ويدخل إلى القلب بسعادة. باختصار، عنوان هذه العطايا هو خلاص الإنسان، والخطوة الأولى ستكون بمحو الخطايا السابقة. هذا هو عمل التوبة والداعي إليها، أن تأخذ على عاتقها عمل الرحمة الإلهية، لأن كل ما يفيد الإنسان يخدم الله بكل تأكيد.

إن قانون التوبة الذي تعلمناه حينما عرفنا الرب، له شكلٌ محدد، ولا يوجد فيه أي حديث عن قانونٍ قاسٍ، للتوبة عن الأفعال والأفكار الصالحة. الله لم يفرض أية عقوبة لأجل نبذ الأعمال الصالحة لأنها تنتمي إليه. فيما أنه هو الذي أوجدها، فلا بد له أن يدافع عنها أيضاً. وبما أنه هو الذي يقبلها، فهو إذاً الذي يكافئ عنها.^٣ وبما أن الله هو القاضي الذي يُشرف على تحقيق العدل والحفاظ عليه، والذي هو أعلى شيء عنده، وبما أنه قد رَتَّب كل تعاليمه بما يراعى العدل - مثلاً في أمورنا العامة، كذلك بالنسبة للتوبة - فهل يوجد هناك أي شك في أن الله سوف

^١ (رو ٨: ٣٠)

^٢ وهذه الآية هي خليط بين ما ورد في (مت ٣: ٢) وما ورد في (لو ٣: ٦)، وهذا لأن ترنتليان كان يكتب أو يقول الآيات معتمداً على الذاكرة. {المترجم}

^٣ أي أن الأعمال الصالحة تتم لأجل إرضائه، فلذلك هو من يكافئ عنها. {المترجم}

التوبة

يحكم بالعدل؟! إن هذا العدل سوف يتحقق فقط في حالة التوبة عن الخطايا^١ بكل تأكيد. بالإضافة إلى أنه لا يوجد أي عمل آخر يستحق أن يطلق عليه اسم "خطية" سوى العمل الشرير. فلا يُخطئ أحدًا لأنه عمل شيئًا صالحًا، لكنه إن لم يكن قد أخطأ، فما هو الداعي لأن يقتحم منطقة التوبة كمن فعل أمر خاطئ؟! لماذا نفرض أمرًا يتعلق بالشر على الخير الذي فعله؟! إن هذا هو ما سوف يحدث حينما يُطلب من أحد أن يقوم بأمر لا يلزم أن يفعله،^٢ لأنه حينما يأتي الوقت الذي يجب فيه أن يفعله، فسوف يغفله.

الفصل الثالث

يمكن تقسيم الخطايا إلى جسدية وروحية، وكلاهما سيخضع للفحص والعقاب الإلهي بنفس الدرجة، حتى لو كانا غير متساويان في نظر الناس.

إن كان يبدو شيئًا غير مهم، إلا أن المناسبة تتطلب مني بكل تأكيد أن أكتب عن هذه الأشياء التي من الواجب تقديم التوبة عنها، وهي الأمور التي تتدرج تحت اسم "الخطية".

فإننا بمجرد أن نعرف الرب،^٣ "يُلْتَفَت"^٤ إلى أرواحنا من قبل خالقها، فتخرج إلى معرفة الحق طوعًا، وتدخل إلى معرفة الوصايا الإلهية، التي عن طريقها تتعلم أن الخطية هي أي شيء يأمرنا الرب أن نمتنع عنه. وبما أن الجميع يتفق على أن الله هو جوهر الخير، فبال تأكيد لا شيء يكدر صانع الخيرات سوى الشر، لأنه لا

^١ وليس التوبة عن فعل الخير والشر معًا، مثلما يفعل الوثنيون. {المترجم}

^٢ أي التوبة.

^٣ بالمعمودية والميرون.

^٤ (لو ٢٢: ٦١)

توجد أيّة مودة بين المتناقضات.

باختصار، وبدون أدنى مشقة، يمكن أن نقول إن هناك خطايا شهوانية - أي جسدية - وأخرى روحية، وبما أن الإنسان يتكون من اتحاد اثنين،^١ فخطايا لاد وأن تكون تابعة من أصل تكوينه.

ليس صحيحًا أن الجسد والروح يتفان على الخطأ بشكلٍ مختلفٍ^٢ - وإلا سيكون كلاهما واحد، لأنهما يفعلان شيئًا واحدًا^٣ - لئلا يميز أحد بين خطايا كليهما بما يتناسب مع اختلاف طبيعتهما، ويعتبر أن أحدهما أخف أو أثقل من الآخر، رغم أن الجسد والروح كليهما بالفعل خليفة الله. الأول صنعة يديه والأخرى كملت بنفخته. وبما أن كليهما من صنع يدي الرب، فإن خطيئة أيّا منهما سوف تُغضب الرب.

هل يمكنك أن تميز بين أعمال الجسد والروح، للذين يتحدان ويشتركان في الحياة والموت والقيامة بتآلف تام؟ إن كليهما سيقوم "في ذلك اليوم"^٤ إما للحياة وإما للدينونة،^٥ لأنهما سيكونان قد أذنبنا معًا، أو عاشا غير مذنبين معًا.

إن هذا هو ما نريد الوصول إليه في النهاية، حتى يمكننا أن نفهم أن التوبة عن خطية أي من عنصرَي تكوين الإنسان ليست أقل أهمية من ضرورة التوبة في حالة أن يكون كلاهما قد أخطأ، لأن جريمتها واحدة، وديان كليهما واحد، ألا وهو

^١ أي الجسد والروح.

^٢ لأن الروح قد تخطئ بدون الجسد.

^٣ وهو هنا يريد أن يفرق بين دور الجسد ودور الروح في اقتراف الخطأ، فقد تخطئ الروح دون أن يُخطئ الجسد بإتمامه للخطيئة. ينبغي إذا التوبة عن هذه الخطايا حتى ولو كانت غير ظاهرة للناس، لأن خطأ أيّا منهما متساوي في نظر الله، بغض النظر عن طبيعة أو قدرة كليهما. {المرجع}

^٤ (مت ٢٢: ٢٢)، (لو ١٠: ١٢)، (لو ١٧: ٣١)، (يو ١٤: ٢٠)، (٢٢: ١: ١٨)، (٢٢: ٤: ٨)

^٥ (يو ٥: ٢٩)

التوبة

الله. بناءً على ذلك، فإن الدواء الشافي لكليهما واحد، وهو التوبة. إن سبب تسمية الخطايا بالروحانية أو الجسدية يتوقف على نوعية الخطية، أهي خطية فعل أم خطيئة فكر؟ فخطيئة الفعل هي خطيئة جسدية لأن الفعل يمكن رؤيته ولمسه مثل الجسد، أما خطيئة الفكر فهي خطيئة روحية لأن الروح لا تُرى ولا تُمسك. بناءً عليه، يجب الهروب والتطهر بالتوبة، ليس فقط من خطايا الفعل، بل ومن خطايا الإرادة أيضًا. فحتى لو كان العقل البشري المحدود يحكم فقط على خطايا الفعل لكونه لا يستطيع اختراق مخابئ خطايا الإرادة أيضًا، فلن يجعلنا هذا نستخف بجرائم الإرادة التي يراها الله، فإنه قادر على كل شيء. لا يمكن أن يبتعد أي مصدر للخطية عن عينيه مهما كان، فهو لا يجهل هذا المصدر، ولن يقلت من إدانته، لأنه لا يخادع بصره، ولا يكيل الأمور بمكيالين.

أما عن حقيقة أن الإرادة هي أصل الفعل، فإنه باستثناء الخطايا الناتجة عن الصدفة^١ أو العوز^٢ أو الجهل، فإن بقية الخطايا مرتبطة بالإرادة، وبما أن الإرادة هي أصل الفعل، ألا نعتبرها بالحري هي المسئول الذي يجب أن يُعاقب على الجُرم؟ أم أنها ستكون مبررة إن كانت هناك أية صعوبة في إتمامها؟ بالطبع لا، لأنها سوف تكون متهمة أمام نفسها، فهل لها العذر إن فعلت ما في وسعها لأجل إتمام الخطية ثم خاب أملها؟ ألم يعلن الرب أنه يُكمل الناموس حينما حرّم خطايا الإرادة مثل باقي الخطايا، حين عرّف الزاني بأنه ليس فقط من يعتدى على امرأة غيره، بل هو أيضًا من دنس امرأة بشهوة نظره؟^٣ بالتالي سيكون أمرًا خطرًا بما فيه الكفاية على العقل أن يفكر فيما هو مُحَرَّم، وأن يتهور وينفّذ بإرادته ما هو مُحَرَّم.

^١ يقصد الهفوات.

^٢ هذا التبرير غير سليم، لأن العوز ليس مبرر للخطية، وإلا فأين الإيمان؟ {المترجم}

^٣ (مت ٥: ٢٨، ٢٧)

فإن كانت إرادة الإنسان قوية هكذا، فإنها حتى ولو لم تُرضِ نفسها بإشباع رغبتها، فإنها ستُعامل معاملة مَنْ أتم الفعل، وبالتالي ستُعاقب. مِنَ العبث أن يقول أحد: "لقد أردت أن أفعل، ولكنني لم أفعل حتى الآن"، لأنك إما ستكون قد أتممت الفعل بكونك أردته، أو لن تتمه لكونك لم تُرده، لكنك باعترافك بشعورك - أي بأنك أردت - تحكم على نفسك بالإدانة، لأنك إن اشتقت أن تعمل عملاً صالحاً فإنك ستكون قلقاً إلى أن تتمه. كذلك إن لم تعمل ما هو شرير، فذلك لأنك لم تشناق إلى إتمامه. بمجرد أن تحدد موقفك، سواء بإرادتك للشر، أو بعدم إرادتك للخير، سوف تكون مذنباً.

الفصل الرابع

التوبة تناسب جميع أنواع الخطايا،

ويجب ممارستها، ليس فقط لأجل فوائدها، لكن لأن الله قد أمر بذلك.

إن الله الذي حدد عقوبة للحكم على أية خطيئة قد ارتكبت - سواء بالجسد أو بالروح - بالفعل أو بالنية، هو نفسه قد تعهد بأن يمنح الغفران بواسطة التوبة قائلاً: "توبوا... وأحيوا"،^١ وقال أيضاً: "حيّ أنا يقول الرب، إني لا أسر بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا".^٢ التوبة إذا هي الحياة، لكونها أفضل من الموت.

فيا مَنْ أنت خاطئ مثلي - كلا بل أنت أقل مني في الخطأ، لأنني أعترف بتفوقي في الخطايا - هل ستسارع بكل قوة إلى هذه التوبة، وتحتضنها بشدة مثلاً

^١ (جز ٣٠: ١٨، ٣٢)

^٢ (جز ٣٣: ١١)

النسوية

يحتمي مَنْ تحطمت سفينته بألواح الخشب الطافية؟^١ إن هذا سوف يسحبك حينما تغرق في أمواج الخطايا، ويحكمك صَوْب ميناء الرحمة الإلهية.

تمسك بفرصة السعادة غير المتوقَّعة، يا مَنْ لم تكن يوماً سوى "نقطة دلو"^٢ و"عصافاة البيدر"^٣، و"إناء خزف"^٤ في عيني الرب، فقد تصبح من ذلك الوقت^٥ فصاعداً "شجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل"^٦، ولا "ترى الحر"،^٧ ولا "الفأس".^٨

تُب عن المعاصي، تُب عن محبة ما يكرهه الله لكي تجد "الحق".^٩ إننا أنفسنا أنفسنا لا نسمح لعبيدنا من الغلمان بأن يحبوا الأشياء التي نكرها نحن، لأن الطاعة الاختيارية للوصية يلزمها توافق للعقول.^{١٠}

إن أردنا أن نفحص فوائد التوبة، فإن موضوع البحث سوف يكون غزيراً ويحتاج لفصاحة شديدة، لكن دعونا نتأكد من ثبات نقطة واحدة حسب إمكانياتنا الضعيفة، ألا وهي أن وصية الرب لا بد وأن تكون هي الأحسن والأفضل. إنني أعتبرها وقاحة مني أن أدافع عن صلاح وصية إلهية، لكن بالتأكيد ما يجعلنا نلتزم بطاعتها ليس هو حقيقة أنها جيدة، بل حقيقة أن الله قد أمر بها. لأن عظمة القدرة

^١ تأمل لطيف.

^٢ (أش ٤٠ : ١٥)

^٣ (دا ٢ : ٣٥)

^٤ (مز ٢ : ٩) (رو ٢ : ٢٧)

^٥ وقت البدء في حياة التوبة.

^٦ (مز ١ : ٣)

^٧ (أر ١٧ : ٨)

^٨ (مت ٣ : ١٠)

^٩ (يو ١٤ : ٦)

^{١٠} وهو يقصد توافق عقل الإنسان مع عقل الله. {المترجم}

الإلهية لها الحق الأول في فرض حكم الطاعة. وسلطان من يُعطى الأمر له الأولوية عن مصلحة الخادم.^١

والآن: "هل هو جيد أن تتوب أم لا؟" لماذا تتوانى والرب قد أمر بها، بل وحذر أيضًا؟^٢ فلقد قدّم دعوة للخلاص كمكافأة، قائلاً بقَسَمٍ: "حيّ أنا"،^٣ رغبةً منه بأن نتق به.

فيا لها من بركة قد أخذناها نحن الذين أقسم لنا الرب، وباله من خزي لنا إن لم نؤمن بالرب، حتى بعد أن أقسم لنا. لذلك، فأَي شيء يأمر به الرب القدير، وأي شيء يؤكد به قسم، سنكون مُلزمين بالطبع بأن ننفذه ونحفظه بأقصى جدية. فباستمرارنا بثباتٍ في الإيمان بالعهد المقدس الذي للنعمة الإلهية،^٤ يمكننا بنفس الطريقة أن نحافظ على ثمار هذه النعمة وفوائدها.

الفصل الخامس

لا يجب العودة إلى الخطيئة^٥ بعد التوبة عنها^٦.

هذا هو ما أريد أن أقوله: إن التوبة التي سبق أن أظهرناها، والتي أوصت بها

^١ هذا طبقاً من وجهة نظر السيد. لكن الأمر مختلف في حالة التوبة، لأنها ستكون مفيدة للإنسان، حتى لو شعر بصعوبتها في البداية. {المترجم}

^٢ من عدم التوبة.

^٣ {آخر ٣: ١١}.

^٤ أي نعمة التوبة.

^٥ وهو يقصد الفعل الإرادي للخطيئة. {المترجم}

^٦ {١يو ٣: ٩}، {١يو ٥: ١٨} وقد قال الوحي الإلهي هذا الكلام على لسان يوحنا حتى لا يتهاون أحد ويرتكب نفس الخطايا، متكللاً على أن الله رحيم يغفر الخطايا. {المترجم}

النسوة

نعمة الله، هي التي ستعيدنا إلى نعمة الوجود مع الله.^١ فمتى تعلمنا التوبة وتعهدها بها مرةً، وجب علينا ألا ننقض هذا العهد بعد ذلك بتكرار الخطايا.

ليس لك أن تحتج الآن بعد أن تعرفت على الرب وقبلت وصاياه، أي بعد أن تعهدت بالتوبة عن الخطايا السابقة، فتعود ثانية للخطايا بحجة الجهل. فكلما عرفت أكثر، كلما لصقت بك خطية العصيان أكثر. إن كان سبب توبتك عن خطاياك هو أنك بدأت في مخافة الله، فلماذا نقضت ما قد بدأت بمخافتك، إلا لكونك قد توقفت عن المخافة؟ فإنه لا يوجد شيء يُفسد المخافة سوى العصيان.

وبما أن من أخطأ بسبب الجهل بالرب لا يُستثنى من التعرض للعقاب أيضًا - لأن الجهل بوجود الله مستحيل، فهو واضح علانية أمام الناس، ويمكن إدراكه من خلال عطاياه السماوية - فكم هو أكثر خطورة لمن يعلم بوجود الله ويستخف بذلك؟

فإن هذا الإنسان الذي يستخف الآن بالله، ويسيء إلى عطية الله التي هي فهم الخير والشر، والتي قد حصل عليها بمعونته، فهو إنما يسيء إلى هذه العطية بالرجوع إلى ما قد سبق وعرف أنه ينبغي أن يجتنبه، والذي هو من المفروض أن يكون قد اجتنبه فعلاً.^٢ إنه يرفض المعطي بترك العطية، ويُنكر المحسن بعدم إكرامه للإحسان. فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يقبل من يرفض عطيته؟ فهو لذلك يبدو، ليس فقط كمتنمرٍ على الرب، بل كجاحدٍ بالأكثر.

علاوة على ذلك، إن هذا الإنسان لم يرتكب خطيئة هيئة ضد الله. فإنه بعد أن جحد الشيطان عدو الله بالتوبة^٣ - وبذلك يكون قد أخضع الشيطان للرب - عاد

^١ أي العودة للصورة الأولى التي كان عليها الإنسان قبل السقوط، بالوجود الدائم في حضرة الله.

{المترجم}

^٢ حينما قدّم توبة عن هذا الفعل.

^٣ التي تسبق المعمودية.

وأقامه ثانية بعودته إليه، وجعل نفسه سبباً لابتهاج الشيطان، فتهلل الشرير ثانية أمام الله باسترداده لفريسته.

إن هذا أخطر ما يمكن أن يُقال، لكنه من الضروري أن يُوضَّح لأجل الإصلاح. أليس هو بفعله هذا يُقيم الشيطان مكان الله؟ فمن الواضح أنه قد صنع مقارنة بين اثنين يعرفهم، ثم جعل الشيطان بشكلٍ رسمي هو الأفضل، وفضَّل أن يكون له خادماً مرة أخرى. وبذلك، فإن هذا الذي قد ابتدأ أولاً بإرضاء الرب بتوبته عن الخطايا، سوف يُرضي الشيطان بتوبته ثانية عن التوبة الأولى، وسيكون أكثر رفضاً من الرب بمقدار ما سيكون أكثر قبولاً من عدوه.¹

لكن البعض يقول إنه "يمكن إرضاء الله بالتوكل عليه بالقلب والعقل، حتى ولو لم يحدث هذا في الأفعال الظاهرة. فهؤلاء يخطئون دون أن يحدث أي ضرر لمخافتهم لله أو لإيمانهم به!"²

فلنعتبر إذاً أنهم يندسون الزواج دون ضرر لعفتهم! ويمزجون السم لوالديهم دون أي ضرر لواجباتهم كأبناء! ولذلك يدفعون أنفسهم إلى أسفل الجحيم دون أي ضرر لغفران خطاياهم، لأنهم يخطئون دون أن يفسدوا مخافتهم!³ إن هذا أيضاً مثال أولي للضلال، ألا وهو القول بأنهم يخطئون بسبب الخوف.⁴ إذاً، فلنعتبر أنهم قد أخطأوا بسبب خوفهم! ولنعتبر إذاً مَنْ لم يخطئ إلى الله أنه لا يهابه نهائياً، إذا

¹ عدو الرب، الذي هو الشيطان.

² وهو ما يقوله البعض الآن: "ربك رب قلوب". {المترجم}

³ من الواضح جداً أسلوب "تريليان" في السخرية من الأسئلة المستفزة. {المترجم}

⁴ وقد ذكرها "تريليان" "الخوف"، وليس "المخافة" التي كان يذكرها في العبارات السابقة. وهو هنا يتكلم عن حجة أخرى للخطيئة عند البعض، ألا وهي الخوف (الذي يؤدي إلى الارتباك) مثلما يخطئ أحد وهو يتعلم شيئاً جديداً بسبب خوفه المفرط. لكنها حجة فارغة من وجهة نظره، لأن هذا معناه أن من لا يخطئ لا حاجة له بأن يهاب الله. {المترجم}

كان الخوف هو عُذر الخطية!

إن هذه النزعات تثبت عادةً من بذرة المنافقين، الذين صداقتهم للشيطان لا تنقطع، وتوبتهم لم تكن عن إيمان.

الفصل السادس

يجب ألا نتهاون عند نوال المعمودية،

فإنها تحتاج أن يسبقها توبة ظاهرة بتعديل نمط الحياة.

أي شيء إذاً قد سعت لاقتراحه بإمكانياتي المتواضعة بخصوص التمسك بالتوبة من أول مرة، والحفاظ عليها على الدوام، إنما هو يتعلق بالتأكيد بكل من سلّموا أنفسهم للرب، وصاروا كلهم يتنافسون لأجل الخلاص ونوال معونة الرب.^١ لكنه أمرٌ ضروريٌّ بالأخص بالنسبة للمبتدئين الصغار، الذين بدأت آذانهم تشعر بندى الأحاديث الإلهية،^٢ والذين هم مثل الأشبال الرضيعة التي تحبوا ولم تتفتح أعينها بعد، وهم مع ذلك يؤكدون أنهم قد أقلعوا عن أفعالهم السابقة، ويعتبرون أنفسهم تائبين رغم أنهم يهملون إتمام توبتهم.^٣ إن شهواتهم الأخيرة تلح عليهم أن يشتها شيئاً من أفعالهم السابقة،^٤ بالضبط مثل الفاكهة التي بدأت في التحول للحموضة أو لمرارة الشيوخة، وهي مع ذلك تتفاخر بجمال بعض أجزائها. إن نقتهم بأنهم سوف ينالون المعمودية بكل تكبر، سوف تجلب عليهم كل أنواع التآجيل الباطلة، والارتداد عن التوبة. فشعورهم بالمغفرة الأكيدة لخطاياهم يتسلل

^١ أي المعمودية.

^٢ قبل أن تهطل عليهم أمطار النعمة. {المترجم}

^٣ بالمعمودية.

^٤ أي آخر شهوة فعلوها قبل المعمودية.

أثناء فترة انتظارهم للمعمودية،^١ ويجعل هذه الفترة بالنسبة لهم بمثابة عطلة لعمل الخطية، عوض أن تكون فترة للتعليم. فكم هو متناقض توقع مغفرة الخطايا دون إتمام للتوبة! بالضبط مثلما تأخذ سلعة ولا تدفع ثمنها.

التوبة هي الثمن الذي حدده الرب لنوال المغفرة، فقد ارتأى أن يكون رد الدين لأجل التحرر من العقوبة، بهذه المقايضة المكافئة،^٢ والتي هي التوبة. فإن كان الباعة يفحصون العملة التي يعقدون بها صفقاتهم أولاً، لبروا إذا ما كانت مقطوعة أو ممسوحة أو مزيفة، فنحن أيضاً نؤمن أن الرب يختبر توبتنا أولاً قبل أن يهبنا هذه السلعة الثمينة.

قد يقول أحد: "أعتقد أنه حينما يُغفر لنا في المعمودية، سيكون التغيير واضحاً علينا. فلنؤجل إذاً توبتنا الحقيقية بشكل مؤقت إلى ما بعد نوال الغفران!" كلا على الإطلاق، فلا بد أن يظهر علينا التغيير أولاً، لأن بيان العقوبة سوف يظل موجوداً إلى أن ننال الغفران،^٣ وسيظل طالب المغفرة غير مستحق للعنق، وسيظل الله مهدياً بالعقاب، ولن يكون غافراً.

ولماذا يربط العبد نفسه بسرقات وخيانات الماضي، بعد أن تغير وضعه بنوال الحرية؟ وهل يوجد جندي يُكفر عن تقصيراته السابقة بعد أن أخلى سبيله؟ لا بد للخاطئ أن يبكي على نفسه قبل أن ينال الغفران، لأن وقت التوبة

^١ أي الفترة الواقعة بين توبة واعتراف الموعوظين، وبين موعد معمديتهم كمؤمنين.

^٢ بكل تأكيد، إن قيمة مغفرة الخطايا لا تضاهيها أية توبة، لكن الله يقبلها لأنها أقصى ما يمكن أن يفعله الإنسان تعبيراً عن اشتياقه للرجوع إلى الله. لكن من الواضح أن "تريليان" كان يقصد أن التوبة هي القيمة الوحيدة التي ينتظرها الله من الإنسان للتعبير عن رغبته في الرجوع إليه. {المترجم}

^٣ أي أنه لا بد من التوبة للحصول على الغفران، لأن فاعلية سر التطهير لن تتم إلا بتوبة حقيقية، وإلا ستكون ظاهرة فقط وغير مؤثرة. {المترجم}

النسوية

يتزامن مع وقت الخطر والخوف.^١ أنا لا أنكر أن المنفعة الإلهية - أي محور الخطايا - مضمونة لكل من سيدخل جرن المعمودية في جميع الأحوال، لكننا يجب أن نتعب لأجل نعمة الحصول على هذه البركة. فمن هو الذي سيمنحك المعمودية يا مَنْ لا تؤمن بالتوبة؟

وإن كان من السهل أن تحصل عليها خلسة، وأن تصل للكاهن المؤكل بهذه المهمة وتخدعه بتأكيداتك، فتذكر أن عين الله على كنزه، ولن يسمح لغير المستحق بأن يتقدم إليه. لقد قال في الحقيقة: "ليس مكتومًا لن يُستعلن".^٢ اسبل ستار الظلام على كل ما يسرُّك من أفعال، لأن "الله نور!"^٣

لكن البعض يعتقدون أن الله مضطر لأن يُغدق، حتى على غير المستحق، بما قد وعد بأن يعطيه، فيحوّلون كرمه إلى ما يشبه الاستعباد!^٤ لكنه إن كان واجب عليه أن يمنحنا رسم الموت،^٥ فهل هذا معناه أنه يفعل ذلك بغير إرادته؟! وهل يوجد من يسمح باستمرار عطية قد أعطاهها، بغير إرادته؟! أليس لأجل هذا يفقد الكثيرون هذه المرتبة؟ ألا تُنزع هذه النعمة من كثيرين؟ بالتأكيد هؤلاء هم الذين يتقدمون لنوال هذا الكنز، وبعد أن يقتربوا من الإيمان بتوبتهم، يبنون بيتًا على الرمل سيتحطم إلى أنقاض.

فلا تدعوا أحدًا يتباهى بتعيينه في صفوف جيش الموعوظين،^٦ ويشعر كما لو

^١ من الديونة.

^٢ (لو ١٢: ٢)

^٣ (يو ١: ٥)

^٤ كأن وعد الله بأنه يريد خلاص الجميع، يجعله مضطرًا للوفاء به كما لو كان مستعبدًا لوعده. {المترجم}

^٥ الذي هو المعمودية (رو ٦: ٣، ٤، ٨)، (كو ٢: ١٢، ٢٠)

^٦ وهو اللقب الذي كان يُطلق على من يريد أن يصير مسيحيًا قبل المعمودية. {المترجم}

كان قد حصل بذلك على رخصة فورية للخطيئة. فبمجرد أن تعرف الرب،^١ يجدر بك أن تهابه. وبمجرد أن تنتظر إليه، يجب عليك أن تحترمه.

فما هو الذي غيّرته معرفتك له، بينما أنت ما زلت تمارس عاداتك السابقة التي كنت تفعلها وأنت لا تعرفه؟ ما الذي يميزك عن خادم الرب الذي كمل؟ هل هناك مسيحيّ للمعتدين وآخر للموعوظين؟ هل لهم رجاء آخر أو مكافأة أخرى؟ هل لهم مخاوف أخرى من الدينونة؟ هل لهم احتياجات أخرى إلى التوبة؟

إن غسل المعمودية هو ختم الإيمان، وهذا الإيمان قد بدأ وأوصى بإيمان التوبة. نحن لا نعتمد لكي نكف عن الخطيئة، بل لأننا قد أقلعنا عنها بالفعل منذ أن اغتسلت قلوبنا.

إن أول معمودية للموعوظ هي "المخافة الكاملة"، فمذ ذلك الوقت وإلى أن تترك الرب، لا بد أن يكون إيمانك سليم، ولا بد أن يحتضن ضميرك التوبة من أول مرة.

وبالعكس، إن كنا نُقلع فقط عن الخطأ بعد المعمودية، فمن الضروري وليس بمحض إرادتنا أن نتظاهر بالبراءة! لكن من هو الفائق الجودة إذاً، الغير مُصرح له بعمل الشر، أم الذي يُحزنه الشر؟! الذي أمر، أم الذي مسرته هي في عدم اقتفاف الخطأ؟!

فإن كان الذين سلّموا أنفسهم للرب لا يمتنعون عن الخطيئة إلا بعد المعمودية، فدعونا لا نمتنع عن السرقة إذاً إلا بسبب قسوة القيود! ولا نمنع أعيننا عن اشتهاؤ الزنا إلا عندما يجذبنا المسؤولون عنا! إن قَبِلَ أحدُ هذا الفكر، فلست أدري هل هو سيشعر بالسعادة لهروبه منه، أم سيحزن بالأكثر لأنه أُلْعِقَ عنه؟! فمن اللائق إذاً أن يرغب الموعوظون في المعمودية، لكن ليس بعجلة. لأن

^١ (أر ٣١: ٣٤)، (عب ٨: ١١)

التوبة

من يرغب فيها يُكرمها، لكن من يقبلها بعجلة يزدري بها. الأول يبدو عليه التواضع، والثاني الغرور. الأول سوف يُفرح معموديته، والثاني سوف يهملها. الأول يشتهي أن يستحقها، لكن الثاني ينتظر أن يحصل عليها ليسترد دينه. الأول ينالها، والثاني يغتصبها لنفسه.

فَمَنْ هو الذي ستَحكمُ باستحقاقه أكثر، إلا الذي قد تَغَيَّرَ بالأكثر؟ ومن هو الذي تَغَيَّرَ بالأكثر، إلا من هو أكثر خجلاً، والذي قد أتم واجب التوبة الحقيقية؟ فإنه خاف أن يستمر في الخطية خشية ألا يستحق قبول المعمودية.

أما بالنسبة لِمَنْ يقبل المعمودية بعجلة، فيقدر ما يتوقع الحصول عليها بثقة كما لو كانت حقه، وبقدر ما يشعر بضمان الحصول عليها بكل تأكيد، بقدر ما هو لا يشعر بالمخافة. لذلك، فهو لن يكمل توبته، لأنه يفقد العامل المساعد على التوبة، ألا وهو المخافة. إن استعجال الحصول عليها هو نوع من عدم الاحترام، فإنه ينفخ الطالب ويستخف بالمعطي. لذلك، فهي تخدع في بعض الأحيان لأنها تتوقع النعمة لنفسها قبل أن تستحقها، فيتضايق الذي يُعد لها دائماً.^٢

الفصل السابع

التوبة في حالة من أخطأ بعد المعمودية.

أيها المسيح الرب: "ليتك تبارك ما يتعلمه ويسمعه عبيدك الموعظون عن التوبة كما ينبغي، حتى لا يخطئوا". أو بمعنى آخر، "ليتهم لا يعرفون التوبة، ولا

^١ أنت.

^٢ أي الله.

يحتاجون إليها فيما بعد".^١ إنه أمر مزعج أن نهتم بالرجاء في التوبة الثانية - ويا ليتك تعتبر أنها ستكون الأخيرة^٢ - لئلا بحديثنا عن وجود شفاء بتوبة محفوظة لوقت الحاجة، نبدو وكأننا نشير إلى وجود مجال للخطأ مرة أخرى.

حاشا لأحد أن يفهم أن هذا هو غرضنا، وكأننا نقول إنه مادامت هناك فرصة للتوبة، فهناك فرصة الآن لنخطئ. كأن الرحمة الكنسية الزائدة تأذن للإنسان بالتهور. لا تجعلوا أحدًا يقلل من صلاحه لكون الرب أكثر صلاحًا، فيكرر خطيئته مادام الرب سيغفرها له. وبالعكس، تأكدوا أنه سوف ينجو إن لم يخطئ.

لقد نجونا مرة، فلا تدعونا نورط أنفسنا في المخاطر ثانية، حتى لو بدا لنا إمكانية النجاة مرة أخرى. إن الناس عامة بعد أن ينجوا من غرق السفينة، يقررون مفارقة السفينة والبحر من ذلك الوقت فصاعدًا، ويمجدون النعمة التي أنعم بها الله عليهم - أي نجاتهم - كلما تذكروا الخطر.

إنني أمتدح خوفهم، وأحب تبجيلهم. إنهم لا يريدون أن يتقلوا ثانية على الرحمة الإلهية، ويخشون أن يظهروا كمن يدوسون على النعمة التي حصلوا عليها. إنهم يخشون - بقلق جيد على كل حال - أن يجربوا ثانية ما قد تعلموا أن يخشوه

^١ وهو لا يقصد ألا يعيشوا حياة التوبة، بل يتمنى ألا يعودوا فيخطئوا ثانية، فيضطرون لتقديم مشاعر حزنهم عن خطيئتهم مرة أخرى، ويقضون عمرهم دون الشعور بفرحة الحياة مع المسيح. {المترجم}

^٢ يحاول "تريليان" أن يُحذّر التائب المعتمد من تكرار الخطأ لئلا يقع في التهاون، مما جعله يُحذّر بأن الله قد يقبل التوبة عن الخطية بعد المعمودية إذا ما حدثت مرة واحدة، لكن إن تكررت، فسيكون هناك خطر على خلاص الإنسان، لأن الكنيسة في بداية المسيحية كانت حازمة مع من يزدري بالخطية، وهو ما حدث مع "حنانيا وسفيرة". وفي الحقيقة، إن باب التوبة مفتوح دائمًا، لكن ليس معنى هذا أن يتهاون الإنسان لئلا يطفئ الروح. لذلك يُحذّر "تريليان" من التهاون، وسيحذّر بعد ذلك من اليأس من إمكانية التوبة لمن يريد التوبة الحقيقية. {المترجم}

السموة

قبل ذلك. إن ما يُثبت مخافتهم هو وضعهم حدود للمجازفة، وهكذا أيضًا مخافة الإنسان لله ستكون إكرامًا له.

ومع ذلك، فإن خصمنا العنيد لا يكف عن خبثه، بل إنه في الحقيقة يكون أكثر شراسة حينما يشعر بأن الإنسان قد تحرر تمامًا من مخالفه، ويشتعل شراسة بسرعة حينما يُخمد نيرانه أحد.

من الطبيعي أن يحزن ويئن بسبب حقيقة أن أعمالاً كثيرة مميتة في الإنسان قد انتهت، وأثارًا كثيرة لعقوباته السابقة قد مُحيت بنوال الغفران. إنه يحزن لأن ذاك الخاطئ الذي أصبح الآن خادمًا للمسيح سوف يدينه هو وملائكته.^١ لذلك، فإنه يراقبه ويهاجمه ويحاصره، على أمل أنه قد يستطيع بطريقة ما أن يلفت انتباهه إلى شهوة الجسد، أو يوقع عقله في شباك إغراءات العالم، أو يُفسد إيمانه بالخوف من قوة أرضية، أو يجعله ينحرف عن طريق الحق بالتقاليد الفاسدة. إنه لن يعجز عن وضع العثرات والتجارب.

لكن الله يدرك سمومه هذه، فبالرغم من أن باب الغفران قد أُغلق وأُوصد بقضيب المعمودية، إلا أنه مازال يسمح ببقائه مفتوحًا بشكل ما، فلقد أقام التوبة الثانية في الدهليز كي تسمح بفتح الباب لمن يطرقه في المرة الثانية، لكنها قد لا تفتح ثانية إذا ما كانت المرة السابقة قد ضاعت هباءً.

ألم تكن هذه المرة كافية لك؟ إنك الآن تطلب ما لا تستحقه، لأنك فقدت ما قد نلت. فإن كان تسامح الله يقدم لك وسيلة استرجاع لما قد فقدته، فكن شاكراً على النعمة التي قد تجددت، ولا تكرر الأمر ثانية. فإنه مثلما يكون فقدان الشيء أسوأ من عدم الحصول عليه من الأساس، هكذا استرجاع الشيء سيكون أصعب بكثير

^١ (١كو ٦: ٣)

يحتاجون إليها فيما بعد".^١ إنه أمرٌ مزعجٌ أن نهتم بالرجاء في التوبة الثانية - ويا ليتك تعتبر أنها ستكون الأخيرة^٢ - لنلّا بحديثنا عن وجود شفاء بتوبة محفوظة لوقت الحاجة، نبدو وكأننا نشير إلى وجود مجال للخطأ مرة أخرى.

حاشا لأحدٍ أن يفهم أن هذا هو غرضنا، وكأننا نقول إنه مادامت هناك فرصة للتوبة، فهناك فرصة الآن لنخطئ. كأن الرحمة الكنسية الزائدة تأذن للإنسان بالتهور. لا تجعلوا أحدًا يقلل من صلاحه لكون الرب أكثر صلاحًا، فيكرر خطيئته مادام الرب سيغفرها له. وبالعكس، تأكدوا أنه سوف ينجو إن لم يخطئ.

لقد نجونا مرة، فلا تدعونا نورط أنفسنا في المخاطر ثانية، حتى لو بدا لنا إمكانية النجاة مرة أخرى. إن الناس عامةً بعد أن ينجوا من غرق السفينة، يقررون مفارقة السفينة والبحر من ذلك الوقت فصاعدًا، ويمجدون النعمة التي أنعم بها الله عليهم - أي نجاتهم - كلما تذكروا الخطر.

إنني أمتدح خوفهم، وأحب تبجيلهم. إنهم لا يريدون أن يثقلوا ثانية على الرحمة الإلهية، ويخشون أن يظهروا كمن يدوسون على النعمة التي حصلوا عليها. إنهم يخشون - بقلبي جيدٍ على كل حال - أن يجربوا ثانية ما قد تعلموا أن يخشوه

^١ وهو لا يقصد ألا يعيشوا حياة التوبة، بل يتمنى ألا يعودوا فيخطئوا ثانية، فيضطرون لتقديم مشاعر حزنهم عن خطيئتهم مرة أخرى، ويقضون عمرهم دون الشعور بفرحة الحياة مع المسيح. {المترجم}

^٢ يحاول "تريليان" أن يحذّر النائب المعتمد من تكرار الخطأ لنلّا يقع في التهاون، مما جعله يحذّر بأن الله قد يقبل التوبة عن الخطية بعد المعمودية إذا ما حدثت مرة واحدة، لكن إن تكررت، فسيكون هناك خطر على خلاص الإنسان، لأن الكنيسة في بداية المسيحية كانت حازمة مع من يزدري بالخطيئة، وهو ما حدث مع "حنانيا وسفيرة". وفي الحقيقة، إن باب التوبة مفتوح دائمًا، لكن ليس معنى هذا أن يتهاون الإنسان لنلّا يطفئ الروح. لذلك يحذّر "تريليان" من التهاون، وسيحذّر بعد ذلك من اليأس من إمكانية التوبة لمن يريد التوبة الحقيقية. {المترجم}

التوبة

قبل ذلك. إن ما يُثبت مخافتهم هو وضعهم حدود للمجازفة، وهكذا أيضًا مخافة الإنسان لله ستكون إكرامًا له.

ومع ذلك، فإن خصمنا العنيد لا يكف عن خبثه، بل إنه في الحقيقة يكون أكثر شراسة حينما يشعر بأن الإنسان قد تحرر تمامًا من مخالفه، ويشتعل شراسة بسرعة حينما يُحمد نيرانه أحد.

من الطبيعي أن يحزن ويئن بسبب حقيقة أن أعمالاً كثيرة مميتة في الإنسان قد انتهت، وأثارًا كثيرة لعقوباته السابقة قد مُحيت بنوال الغفران. إنه يحزن لأن ذاك الخاطئ الذي أصبح الآن خادمًا للمسيح سوف يدينه هو وملائكته.^١ لذلك، فإنه يراقبه ويهاجمه ويحاصره، على أمل أنه قد يستطيع بطريقة ما أن يلفت انتباهه إلى شهوة الجسد، أو يوقع عقله في شباك إغراءات العالم، أو يُفسد إيمانه بالخوف من قوة أرضية، أو يجعله ينحرف عن طريق الحق بالتقاليد الفاسدة. إنه لن يعجز عن وضع العثرات والتجارب.

لكن الله يدرك سموه هذه، فبالرغم من أن باب الغفران قد أُغلق وأُوصد بقضيب المعمودية، إلا أنه مازال يسمح ببقائه مفتوحًا بشكل ما، فلقد أقام التوبة الثانية في الدهليز كي تسمح بفتح الباب لمن يطرقه في المرة الثانية، لكنها قد لا تفتح ثانية إذا ما كانت المرة السابقة قد ضاعت هباءً.

ألم تكن هذه المرة كافية لك؟ إنك الآن تطلب ما لا تستحقه، لأنك فقدت ما قد نلتَه. فإن كان تسامح الله يقدم لك وسيلة استرجاع لما قد فقدته، فكن شاكراً على النعمة التي قد تجددت، ولا تكرر الأمر ثانية. فإنه مثلما يكون فقدان الشيء أسوأ من عدم الحصول عليه من الأساس، هكذا استرجاع الشيء سيكون أصعب بكثير

^١ (١كو٦: ٣)



من الحصول عليه.^١

ومع ذلك، إذا عرّض أحد نفسه لمديونية التوبة الثانية، فلا يجب أن تصغر روحه وتهلك سريعاً بسبب اليأس. فإن اعتبرنا أن الخطأ ثانية شيء متعب بكل المقاييس، فدعونا نعتبر أن التوبة الثانية ليست بالأمر العسير. إن كان أمراً متعباً أن تُعرّض نفسك للخطر ثانية، لكنه ليس عسيراً أن تتحرر ثانية. لا تدعوا أحداً يخل، لأن المرض المتكرر يحتاج لتكرار الدواء.

إنك بعدم رفضك لما منحك الرب، تُظهر له عرفانك بالجميل. فإن أسأت إليه، فأنت مازلت تستطيع أن تتصالح معه. يمكنك أن ترضيه، وهو سوف يقبل منك.

الفصل الثامن

أمثلة من الكتاب المقدس تؤكد أن الرب يريد المغفرة.

فإن كنت تشك، فاقراً "ما يقوله الروح للكنائس".^٢ لقد نسب لملاك كنيسة "أفسس" ترك المحبة،^٣ وبكّت ملاك كنيسة "ثياتيرا" على الزنا وأكل ما ذُبح للأوثان،^٤ واتهم ملاك كنيسة "ساردس" بعدم كمال أعماله،^٥ وويخ ملاك كنيسة "برغامس" على التمسك بالتعاليم الخاطئة،^٦ وعنف ملاك كنيسة "لاودكية" لاتكاله على الغنى،^٧

^١ أي يجب أن يقدر الإنسان قيمة ما يفعله الله معه حينما يخطئ ثانية ويتوب. {المترجم}

^٢ (رؤ: ٢: ٧، ١١، ١٧، ٢٩)، (رؤ: ٣: ٦، ١٣، ٢١)

^٣ (رؤ: ٢: ٤)

^٤ (رؤ: ٢: ٢٠)

^٥ (رؤ: ٣: ٢)

^٦ (رؤ: ٢: ١٤، ١٥)

^٧ (رؤ: ٣: ١٧)



التوبة

وأعطاهم كل التحذيرات العامة لأجل التوبة - تحت التهديد الفعلي. لكنه لم يكن لينطق بالتهديدات لغير التائب لو لم يكن غافراً للتائب، فلو لم يكن قد أظهر رحمته في موضع آخر لأصبح الأمر شائكاً. ألم يقل: "هل يسقطون ولا يقومون، أو يرتد أحد ولا يرجع"؟^١ فإنه بالتأكيد "يريد رحمة لا ذبيحة".^٢

السماء والملائكة الموجودون فيها يفرحون بتوبة إنسان.^٣ ابتهج أيها الإنسان، وأنظر أي موضع هذا الذي يفرح برجوعك! فما معنى هذه الكلمات التي ذكرها الرب في أمثاله بالنسبة لنا؟ أليس مثل المرأة التي أضاعت درهماً، وبحثت عنه ووجدته، ودعت صديقاتها ليشاركنها فرحتها، هو بالحقيقة مثال لرجوع الخاطئ؟^٤

وللضالين كذلك، لم يكن القطيع أعز من شاة صغيرة للراعي. هذه الواحدة قد بحث عنها باجتهد، واشتاق إليها أكثر من الباقين، وفي النهاية وُجِدَتْ وَحُمِلَتْ ثانية على ذراع الراعي نفسه، لأنها عانت كثيراً بسبب الضلال.^٥

ولن أَمُرَّ مرور الكرام على هذا الأب الحنون الذي دَعَا ابنه الضال للبيت، واستقبله تائباً عن طيب خاطرٍ بعد عوزه، وذبح أفضل عجلٍ مسمّنٍ لديه، وأظهر فرحته بعمل وليمة.^٦ ولِمَا لا؟! فلقد وجد الابن الذي فقدته، وشعر ثانياً بأنه أفضل مخلوقٍ عنده.

فَمَنْ هو هذا الأب يا تُرى؟ إنه الرب بكل تأكيد، فليس هناك أب حقيقي أكثر

^١ (أر ٨: ٤)

^٢ (هو ٦: ٦)، (مت ٩: ١٣)

^٣ (لو ١٥: ٧، ١٠)

^٤ (لو ١٥: ٨ - ١٠)

^٥ (لو ١٥: ٣ - ٧)

^٦ (لو ١٥: ١١ - ٣٢)



منه،^١ وليس هناك من هو أغنى منه في الحب الأبوي. إنه سوف يستقبلك كابنه ويردك حتى لو بددت ما قد أخذته منه، وحتى لو رجعت عرياناً وقارنت بين جوعك وبين طعام أجراء أبيك الكثيرين - إن تركت الخنازير والقطيع القذر - وطلبت طعام أبيك ثانيةً بعدما أجزنته، وقلت: "أخطأت... ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابنًا". إن مجرد رجوعك سوف يفرحه أكثر من فرحته بوعي الباقيين، لكن فقط إن ثبت من كل قلبك.

إن الاعتراف بالخطايا يخفف الأحمال، وإخفاءها يزيدّها. فإن الرغبة في الرضى ستقودك للاعتراف، وأما التمرد فسيقودك إلى الإخفاء.

الفصل التاسع

بخصوص المظاهر الخارجية التي ينبغي أن ترافق هذه التوبة الثانية.

إذًا، كلما زادت مشقات اختبار هذه التوبة الثانية - والوحيدة المتبقية^٢ - كلما ضاق محيط عملها. فإنها لن تكون توبة ضميرية فقط، بل ستنتم بعمل ظاهري أيضًا، وهذا العمل يُعبّر عنه في الغالب بكلمة (ἐξομολόγησις)^٣ في اليونانية، والذي فيه نعتزف أمام الرب بخطايانا، ليس لأنه كان يجهلها، بل لأنه بمقدار ما يحدث الرضا نتيجة الاعتراف، هكذا تولد التوبة بالاعتراف، ويهدأ الرب بالاعتراف. لذلك، فالاعتراف هو ممارسة تتم لأجل انطراح الإنسان وتواضعه،

^١ (مت ٢٣: ٩) وجملته "أب حقيقي" تُذكر في القداش الغريغوري. {المترجم}

^٢ كما سبق وأشرنا تأكيد "تريليان" لمن يتهاون بإرادته، ولمن يتلاعب بالكنيسة من الوثنيين الذين يطلبون المعمودية، أن الكنيسة سوف تعطي فرصة ثانية لهم كي يصلحون من أنفسهم، لكنها لن تتهاون معهم مرة أخرى. {المترجم}

^٣ Exomologesis أي الاعتراف التام العلني.



التوبة

وتَقْرَضُ عليه سلوكًا معيَّنًا طلبًا للرحمة.

أما بخصوص الملابس والطعام، فإن الاعتراف يوصي النائب بأن يرقد في المسوح والرماد، وأن يغطي جسده بثوب الحداد، ويخفف من روحه بالأحزان، ويستبدل خطاياها التي اقترفها، بعلاجٍ شديد، بل وأيضًا يوصيه بالأكل ويشرب إلا ما هو بسيط - ليس لأجل معدته بالطبع، بل لأجل روحه.^١

فإنك بتغذيتك لصلاتك بالصوم، وبأنينك ونوحك وصراخك إلى الرب إلهك، وبانحنائك عند أقدام الكهنة وجثوك أمام أحبائه الله، توجه كل الأخوة أن يكونوا سفراء^٢ يحملون توسلات استرحامك إلى الله.

كل هذه الأعمال المصاحبة للاعتراف تتم لأجل كمال التوبة. إنها تكرم الله

^١ كان هذا هو المتبع، وبالأخص في كنيسة روما، حيث كانت قوانين التوبة شديدة بهذا الشكل، وكانت تتم علانية أمام الكل، ثم بدأت تتغير بسبب الفضائح التي كانت تلاحق هؤلاء المعترفين. ففي حوالي سنة ٢٥٠م تقرر أن يكون الاعتراف على يد كاهن وقور تم تعيينه من قبل الكنيسة لفحص التائبين بإرادتهم تبعًا للقوانين الكنسية، وكان له سلطان حلهم وريطهم بموجب قوانين توبة تُقرض عليهم. ثم حوالي سنة ٤٠٠م ألغي هذا النظام في الشرق بسبب صعوبته على الناس، تبعًا لتعاليم ق. يوحنا ذهبي الفم، والذي أكد كثيرًا استعداد الله الدائم للمغفرة كما جاء في (مت ٦: ٦)، وأصبح الاعتراف اختياري وسري، والجل يكون بقول الكاهن للمعترف "الله يحالك" واستمر هذا الوضع في الكنائس الشرقية حتى الآن. أما في الغرب فاستمر هكذا إلى أن عُقد مجمع Lateran سنة ١٢١٥م، حيث وُضعت قوانين وأنظمة فاسدة للاعتراف - وهي العصور المظلمة للغرب - تعتبر الخطية أمرًا سهل، ويمكن أن تُغفر بتعويضات تكفيرية، كما صار الجل بقول الكاهن "أنا أحالك"، وكانت التعويضات في بعض الأحيان مخيفة، لأنهم رأوا أن الخوف من العقاب هو ما يدفع إلى التوبة. أما في الشرق، فالتعاليم مختلفة تمامًا، ومستمدة من تعاليم المسيح والرسل التي تؤكد أن الكفارة عن الخطايا قد قدمها السيد المسيح بنفسه مرة واحدة، وأن سبب التوبة ليس هو الخوف من العقاب، بل الشعور بأن الخطية تحزن قلب الله، وأن الإنسان لا بد أن يكره الخطية من كل قلبه. {هذا التعليق ذكره الناشرون في الترجمة الإنجليزية}.

^٢ (٢٠ : ٥)

بالخوف من التعرض للخطر، وتتقف ضد الخاطئ. إنها تقاوم غضب الله، وتشطب اسم - ولن أقول تلغي - العقاب الأبدي، بالإماتة المؤقتة. لذلك، فإنها فيما هي تذلل الإنسان، فإنها في الحقيقة ترفعه. وفيما هي تغطيه بالرماد، فإنها تعيده أكثر نظافةً. وحينما تنتهم، فإنها تصفح. وبينما تدين، فإنها تعطي الحل. صدقني، كلما قلّلت شفقتك على نفسك، كلما أشفق الله عليك.

الفصل العاشر

تهرب الناس من التوبة الثانية ومن الاعتراف، وعدم منطقية هذا التهرب معظم الناس الآن إما يتهربون من هذا العمل لأنه يكشفهم أمام الناس، أو يؤجلونه من يوم إلى يوم. أعتقد أنهم يهتمون بالخلج أكثر من اهتمامهم بالخلاص، بالضبط مثل من يصاب بمرض ما في الأماكن الأكثر خصوصية في الجسم، ويرفض الكشف عنها أمام الأطباء، فيهلك بسبب خجله. إن إرضاء الرب المستاء هو أمر لا يحتمله خلجهم بكل تأكيد! وخلجهم لن يحتمل العودة إلى الخلاص المفقود كذلك!، فهل أنت حقًا تكرم خلجك، يا من تحتمل جرح جبينك بالخطيئة^١ ولست تحتمل جرح جبينك بالاستغفار؟!^٢ أنا شخصيًا لا أعطي مكانًا للخلج حينما أريح بخسارته، فإنه ينهني بنفسه بطريقة ما قائلاً: "لا تهتم بي، من الأفضل أن أهلك لأجلك من أن تهلك لأجلي". على كل حال، ليس هناك خطورة في الاعتراف - إن وجدت - إلا إذا كان الهدف منه هو الاستهزاء بك من قبل أناس شتامين، فينهض أحد لأجل تدمير أخيه، ويقف فوق من هو منطرح!

^١ تشبيه لمن يخلج من الخطيئة كمن يخلج من جرح في وجهه. {المترجم}

^٢ قد يكون قصده جرح الجبين من كثرة الميطنات. {المترجم}

النسوية

لكن لماذا تعتبر الإخوة^١ والعبيد شركاءنا كأنهم أشخاص غيرك، مع أن لهم نفس الرجاء والخوف والفرح والحزن والمعاناة، لأن لنا روح واحد ولرب واحد، وأب واحد؟ ولماذا تهرب ممن يشاركوك مصيبتك، وكأنهم سيستهزئون منك بسخرية؟ إن الجسد لا يمكنه أن يفرح حينما تكون هناك مشكلة ما عند أي عضو،^٢ فإنه لابد وأن يشارك هذا العضو أحزانه، ويشارك معه في الاجتهاد من أجل العلاج، فحينما اجتمع اثنان وُجد المسيح،^٣ والكنيسة هي المسيح.^٤ إذًا، فأنت حينما تطرح نفسك عند رُكب الإخوة، فإنك تتعامل مع المسيح، وتترجاه هو. وبنفس الوضع حينما يكون عليك، يكون المسيح هو من يتألم ويطلب لك الرحمة من الآب،^٥ فإن ما يطلبه الابن يكون من السهل الحصول عليه.^٦

لكن، ما هي المكافأة التي يَعدنا بها الخجل حينما نخفي أخطاءنا؟! بديهيًا، هل إن أخفينا شيء ما عن علم الناس، سيمكننا أن نخفيه عن الله أيضًا؟! هل يتساوى حكم الناس مع معرفة الله بنفس المقدار؟! هل من الأفضل أن نُدان في السر، عن أن ننال الجِل في العلن؟!

لكنك تقول إنه أمر متعب أن نذهب للاعتراف. نعم، لأن الشر يؤدي إلى الشقاء، لكنك حينما تضع التوبة يبطل التعب، لأنه يتحول إلى منفعة. إنه أمر متعب أن تُجرح وتُكوى وتتعب بطعم مسحوق الدواء اللاذع، لكنك مع ذلك تلتمس

^١ من الواضح أن الاعتراف كان يتم في البداية أمام مجموعة من الكهنة والخدام بشكل علني وليس على كاهن واحد، لكن الأمور تغيرت بعد ذلك كما أشرنا في تعليق سابق. {المترجم}

^٢ (اكو ١٢: ٢٦)

^٣ (مت ١٨: ٢٠)

^٤ لأنها جسده.

^٥ (١يو ٢: ١)

^٦ (١يو ١١: ٤١، ٤٢)

العذر للأشياء التي تعالج بأساليب كريهة من أجل الشفاء، وتحتمل التي تُحدث جرحاً مؤقتاً لأجل المنفعة المستقبلية.

الفصل الحادي عشر

انتقادات أخرى للاعتراف.

إلى جانب الخجل الذي يهتمون به كثيراً، قد يقول البعض: "ماذا لو خاف الناس كذلك من أتعاب الجسد، سواء من عدم الاغتسال، أو من لبس ثياب الحداد، أو البعد عن الفرح، أو خافوا من ضرورة قضاء وقتهم في احتمال خشونة المسوح، وفظاعة الرماد، والوجه الغائر بسبب الصوم؟".

قولوا لي، هل يليق إذًا أن نتضرع إلى الله لأجل خطايانا ونحن لابسون القرمز والأرجوان؟! فلنُحْضِر بسرعة المشط لفرق الشعر، والمسحوق لتلميع الأسنان، وأحضِر أيّة أداة معدنية أو نحاسية بها أفرع لتنظيف الأظافر. أحضر أي لمعان كاذب، وأي لون أحمر مصطنع تجده، وضّعه بعناية على شفّته^١ وخديه. بل دعه يبحث بالأكثر عن الحمامات ذات الحرارة اللطيفة في الحدائق أو الشواطئ المنعزلة. دعه يزيد مصاريفه، ويبحث باهتمام عن الطيور النادرة السمينة لذينة الطعم. دعه يُصقّي خمره العتيق، وحينما يسأله أحد قائلاً: "لمن تُبذّر كل هذا؟" فيُجِب قائلاً: "لقد أخطأت في حق الرب، وأنا مُعرّض للهلاك الأبدي، ولذلك أنا الآن أنحني وأتلف نفسي وأهذبها كي أصالحها على الله الذي أحرزته بخطيتي!"

لماذا لا يشعر هؤلاء الذين يطوفون يجمعون الأصوات لأجل الحصول على المناصب المدنية، بأنه أمر مهين ومتعب أن يجاهدوا بمضايقات نفسية وجسدية، لأجل الحصول على رغباتهم. ليس فقط المضايقات، بل وأيضاً كل أنواع

^١ ضمير الغائب هنا عائد على من يدّعي الخوف من أتعاب الجسد اللازمة للتوبة. {المترجم}

النسوية

الاستهزاء، فأية حقارة لا تصيب ثيابهم؟ وأي منزل لم يقلقوه بزياراتهم، سواء في أوقات مبكرة أو متأخرة؟ إنهم يحنون أينما قابلوا أي شخصية مهمة. هم لا يذهبون إلى الولائم ولا يشتركون في الملاهي، لكن بإرادتهم يبتعدون عن سعادة الحرية والابتهاج، وكل هذا لأجل الحصول على سعادة زائلة لمدة عام واحد!^١

فهل سنتردد نحن عندما تكون أبديتنا في خطر، ولا نحتمل ما ينصبه أماننا من ينافسنا^٢ على منصب الولاية^٣ أو القضاء؟^٤ وهل سنمتلك في تقديم تأديتنا لذواتنا لأجل الرب عن طريق الطعام، والملبس الذي يرتديه الوثنيون لعدم شعورهم بالحزن على أحد؟

إن هؤلاء هم الذين قال عنهم الكتاب: "ويلٌ للجاذبين الإثم بحبال البطل والخطيئة، كأنه يربط العجلة".^٥

الفصل الثاني عشر

تأملات أخرى للحث على الاعتراف.

فإن كنت تهرب من الاعتراف، فاجعل قلبك يتأمل في جهنم، وكيف أن الاعتراف سيطفئها لك. تخيل أولاً حجم العقاب، فلن نتردد في أن تختار العلاج. ما الذي يمكن أن نتخيله عن مكان النار الأبدية؟ إنها تُخرج من فوهتها

^١ يريد "ترتليان" أن يشبه أبديتنا التي نسعى للحصول عليها، بهذه المناصب التي يسعى إليها من بينغيا، ولا يبالي بالآلام والأتعاب لأجل الحصول عليها. {المترجم}

^٢ وهو يقصد الشيطان الذي يريدنا أن نفقد أبديتنا، وينافسنا على التحكم في دفة حياتنا. {المترجم}

^٣ Consulship وهو أعلى منصب للحكم في الإمبراطورية الرومانية، حيث كان يمنح للوالي الجديد صلاحيات الملك لمدة عام واحد. {المترجم}

^٤ Praetorship وهو منصب القاضي في الإمبراطورية الرومانية. {المترجم}

^٥ (أش ٥: ١٨)

الصغيرة لفحات من اللهب تبديد المدن المجاورة لها، وحتى إن تبقت إحدى المدن، فإن مصيرها سيكون كذلك يوماً ما.^١ فعند طلاقات ولادة جنينها الناري، تبدأ أعالي الجبال في الانشقاق، ومتى بدأ الانشقاق والانهييار، فلن ينتهي أبداً - وهو ما يؤكد لنا أن الحكم سيكون أبدي. أليست هذه العقوبات الموسمية التي تقع على الجبال هي أمثلة للدينونة التي تهدد غير التائب؟ ألا ترى أن مثل هذا الشر لا يمثل إلا القليل من قذائف وسهام خارجة من مركز نار ضخمة لا يمكن تقديرها؟

فالآن، بما أنك تعلم أنه بعد متاريس المعمودية، مازال لك عون آخر محفوظ لأجلك ضد الجحيم - ألا وهو الاعتراف. فلماذا إذاً تتخلى عن خلاص نفسك؟ ولماذا تتوانى في الحصول على ما تعلم أنه سيفيدك؟ فحتى الحيوانات البكماء غير العاقلة تعرف وقت احتياجها للأدوية التي حددها لها الله. فالآيل المطعون بسهم، يعرف أنه لكي يُخرج الحديد من جسمه عنوة، ويحتمل آلامه التي لا تطاق لفترة طويلة، يجب عليه أن يعالج نفسه بعشب "الديتان".^٢ والسنونة إذا تسببت في إصابة فراخها بالعمى، تعرف كيف تجعلهم يرون مرة أخرى بواسطة عشب "السنونو".^٣

فهل يغض الخاطئ - الذي يعرف أن الرب قد أقام الاعتراف لأجل تجديده - الطرف عن ما قد أعاد ملك بابل إلى مملكته؟^٤ لقد قدم توبته للرب لمدة طويلة، وبلغت مدة اعترافه سبع سنوات بائسة، وكانت أظافره تطول مثل الطيور، وشعره أشعث كشعر الأسد. إنه أمر يفوق العقل أن الذي كانت الناس ترتعد منه، قد عاد إلى الله. لكن ما فعله ملك مصر - الذي بعد أن طارد شعب الله المتضايق، واستمر في إنكاره لإلههم، واندفع للقائهم - كان على النقيض. فبعد ضربات

^١ تشبيهه لجهنم بالبركان الثائر الذي يدمر كل ما حوله. {المترجم}

^٢ نوع من الأعشاب التي تستخدم للعلاج، وهو مازال موجوداً حالياً في غرب أمريكا. {المترجم}

^٣ من الواضح أنه كان نوعاً من الأعشاب العلاجية الموجودة في ذلك الزمان.

^٤ (دا : ٤ : ٢٥)

التوبة

تحذيرية كثيرة، هلك في البحر المشقوق، الذي كان مصرح فقط لشعب الله أن يعبره - بعد أن ارتدت الأمواج وانطوت،^١ لأنه طرح عنه التوبة، ووصيفتها "الاعتراف".
والآن، ما هو الداعي لأن أضيف وأكتب أكثر مما يمليه عليّ ضميري، عن لوعي الخشب الطافيين^٢ لأجل خلاص الإنسان الغارق؟ فأنا الخاطئ بكافة الشرور، والذي لم يولد إلا لأجل التوبة، لا يمكنني أن أكف عما لم يغفله أيضاً رأس وأصل جنس البشر، وأصل ذنوب البشرية، "آدم" الذي عاد إلى فردوسه بالاعتراف.^٣

^١ (خر ١٤: ١٥-٣١)

^٢ أي التوبة والاعتراف اللذان هما طوقا النجاة للخطيئ. {المترجم}

^٣ وهو بالتأكيد ما فعله أبونا "آدم" من ندم وتوبة واعتراف طوال حياته على الأرض. {المترجم}

الصلاة

للعامة ترليان

مقدمة

إن هذا النص الذي كُتب حوالي (١٩٨م - ٢٠٠م) يعتبر أقدم نصٍ كُتب عن تحليل الصلاة الربانية، كما أنه يناقش بعض العادات السيئة التي كانت تمارس من بعض المؤمنين قبل أو أثناء أو بعد الصلاة، وكيفية معالجتها، والرد الكتابي على من يتمسك بها. ويشتمل النص على العديد من التقاليد المسيحية الأولى، والتي تعتبر مرجعاً لما تمارسه الكنيسة الآن من طقوس خاصة بصلوات السواعي والميطانيات والتناول أيام الأصوام وغير ذلك، مثل:

١- أن كل الأمور الكنسية الحالية هي مستلمة من التقاليد الآبائي منذ بداية المسيحية، كصلوات السواعي، والامتناع عن الميطانيات أيام الآحاد، والقبلة المقدسة بين المصلين، والامتناع عنها في الجمعة العظيمة (حاليًا من ليلة الأربعاء إلى قداس العيد). كما أنه يؤكد إمكانية التناول في أيام الصيام، ويرى أنه لا يكسر الصوم، بل يجعله أكثر روحانية (وهناك الكثير من الآراء حول هذا الموضوع).

- ٢- أن الميعاد المناسب لعمل الميطانيات يكون وقت صلاة باكر.
- ٣- استخدام المزامير المرتلة في الصلوات، وخاصة في التسبحة، مما يبين قدم تسبحة نصف الليل في الكنيسة، وبالأخص الهوس الرابع.
- ٤- الالتزام بإتمام قانون الصلوات المحفوظة، إلى جانب الارتجالية.
- ٥- الاهتمام بالروح في كل الطقوس.
- ٦- مراعاة الخشوع في الصلاة بالوقوف وبسط اليدين والاحتشام والانسحاق.
- ٧- التزام العذارى المكرسات لله بثياب خاصة تتميز بالحشمة، ووجود غطاء للشعر.

٨- الفهم السليم لحقيقة المعجزة في المسيحية.

في هذا النص يؤكد لنا العلامة "تريليان" أن:

١- عبارة "لتكن مشيئتك، كما في السماء، كذلك على الأرض" يمكن أن تفهم بمعنى آخر: "إننا نصلي لأجل أن تكون مشيئته في الكل، كي يكون جسدنا وروحنا هما الأرض والسماء (بشرح رمزي)". (الفصل الرابع)

٢- الكرازة في العصور الأولى للمسيحية كانت قوية جدًا. "نحن الآن مدفوعون بقوة للكرازة والعمل والاحتمال، وحنى إلى الموت". (الفصل الرابع)

٣- أذنا الرب قريبان جدًا من أفواهنا. "إننا قد لانكون بعيدين عن أذني الرب، بنفس مقدار بعدنا عن وصاياه". (الفصل العاشر)

٤- الغضب يُعيق الصلاة.

"لماذا فقد صلاتك بنمسكك بالغضب؟" (الفصل الحادي عشر)

٥- الصلاة بصوت هادئ تكون أكثر قبولاً وأكثر روحانية.

"وبالمثل نبرات أصواتنا يجب أن تنخفض، فلو كان سماع صلواتنا يكون بضجيجنا، فكم يجب أن يكون حجم قصبنا الهوائية؟! لكن الله سامع، ليس للصوت، بل للقلب". (الفصل السابع عشر)

الصلاة

٦- التمسك بتعاليم من سبقونا، وعدم الانصياع وراء التطور بدون تروٍ وخص، هو أمرٌ ضروري. "لكن لا ينبغي أن يظن أي فرد أن النظام الذي سار عليه سلفه يجب أن يستط." (الفصل الثاني والعشرون)

٧- صلوات السواعي هي الأكثر تقديسًا في الكتاب المقدس. "إن الالتزام بالصلوات الظاهرة في المواعيد المعينة - أي الساعات العامة التي ترمز لفترات النهار، وهي الثالثة والسادسة والتاسعة - لن يكون بلا نفع، هذه التي قد جدد أنها أكثر تقديسًا في الكتاب المقدس من باقي الأوقات." (الفصل الخامس والعشرون)

٨- التسييح بالمزامير هو ذبيحةٌ مختارةٌ نقدمها لله. "أما المجهدون أكثر في الصلاة، فقد اعتادوا على إضافة الـ "هلليلويا" لصلواتهم والتي في نهايتها يردد المجنحون "هلليلويا". وبالطبع كل الاجتماعات تكون رائعة، لأنها بنمجيدها وتكريمها لله، تهدف بالإجماع إلى تقديم صلاةٍ مزخرفةٍ كذبيحةٍ مختارةٍ لله." (الفصل السابع والعشرون)

المترجم

الفصل الأول

مقدمة عامة

ربنا يسوع المسيح، الذي هو كلمة الله، وعقل الله، والذي يعمل بروح الله - فهو نطق الله العاقل، وعقل الله الناطق - قد عين لأجلنا تلاميذ العهد الجديد، ووضع لأجلنا شكلاً جديداً للصلاة. لذلك، كان من الضروري أن توضع الخمر الجديدة في زقاقٍ جديدةٍ، وأن تُخاط الرقعة الجديدة على ثوبٍ جديد.^١ بل وأن يتغير تماماً كل ما كان في الأيام الماضية (مثل الختان)، أو يكمل (مثل باقي الناموس)، أو يتحقق (مثل النبوات)، أو يصير تاماً (مثل الإيمان نفسه).

إن نعمة الله الجديدة قد جددت كل شيءٍ من جسدي إلى روحي، بقدم البشارة الماحية لكل النظام القديم، والتي بها صُدِّقَ على أن ربنا يسوع المسيح هو كلمة الله، وعقل الله، والمؤيد بروح الله. الكلمة (التي بها علِّم)، والعقل (أي الحكمة التي أتى بها)، والروح (الذي به كان مُقْتَدِراً).

لذلك، فالصلاة التي وضعها المسيح - الصلاة الربانية - تألفت من ثلاثة

أجزاء:

١ - الكلمات (التي تنطق بها).

٢ - الروح (الذي يجعلها تقتدر في فعلها).

٣ - العقل (الذي تُفهم من خلاله).^٢

حتى "يوحنا" المعمدان أيضاً قد علِّم تلاميذه الصلاة، لكن كل أعمال "يوحنا" كانت في الحقيقة موضوعاً كأساس للمسيح، حتى متى ازداد المسيح - كما سبق

^١ (مت ٩: ١٦، ١٧)، (مر ٢: ٢١، ٢٢)، (لو ٥: ٣٦، ٣٧)

^٢ لم تُذكر النقطة الثالثة في هذا المكان في النص الأصلي، لكنني وضعتها في هذا المكان للتوضيح، والتسهيل على القارئ. {المترجم}

الصلاة

وأعلن يوحنا ضرورة ذلك في قوله: "ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص"^١ - فحينئذ تنتهي كل أعمال السابق (المعمدان) - وحتى حياته أيضًا - بمجرد ظهور الرب. لذلك، فإن كلمات الصلاة التي علم بها "يوحنا" تلاميذه لم تعد موجودة، لأن الأرضيات قد أعطت مكانًا للسماويات كما قال "يوحنا": "الذي من الأرض... من الأرض يتكلم"،^٢ "والذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد".^٣

فهل يمكن أن يوجد في السيد المسيح شيء غير سماوي؟! لذلك أيها الإخوة المباركون، دعونا أولاً نتأمل في حكمته السماوية المتعلقة بوصية "الصلاة في الخفاء"، والتي قوّم بها إيمان الإنسان بأنه لا بد أن يثق في إمكانية رؤية وسماع الله القدير تحت الأسطح،^٤ بل وحتى في الأماكن البعيدة عن الأنظار. إن تقديم العبادة لله وحده - الذي يؤمن الإنسان برؤيته وسماعه في أي مكان - يحتاج إلى الإيمان المتضع.^٥

ثم نجح أقنوم الحكمة أيضًا بعد ذلك، أن يجعل الوصية التالية، والتي هي عدم الظن بأن الاقتراب من الله يكون بكثرة الكلمات، تتم بنفس الطريقة المتعلقة بالإيمان والتواضع في الإيمان. إننا واثقون بأنه يتخذ الاحتياطات اللازمة لأجل خاصته، دون حتى أن يطلبوا.^٦

^١ (يو ٣: ٣٠)

^٢ (يو ٣: ٣١)

^٣ (يو ٣: ٣١، ٣٢)

^٤ أي في المخادع.

^٥ الاتضاع المقصود هنا هو عدم التظاهر بالصلاة أمام الناس لنوال مديحهم مثل

المرائين. (مت ٦: ٥، ٦)

^٦ (مت ٦: ٨)

وهذا الاختصار الشديد^١ - والذي سوف يقودنا إلى النقطة الثالثة من مكونات الصلاة، والتي هي (العقل)^٢ - مُدْعَمٌ بمادة تفسيرية عظيمة مباركة تفيض بالمعاني المضغوطة في كلماتٍ. إنها تَضُمُّ، ليس فقط الفرائض الخاصة بالصلاة - سواء تكريم اسم الله أو الطلبة لأجل إنسانٍ - بل تضم تقريبًا كل حديثٍ مع الله، وكل تسجيل لتعاليمه، بحيث تكون في الحقيقة خلاصة الإنجيل كله، موجودة في الصلاة الربانية.

الفصل الثاني

الجملة الأولى من الصلاة الربانية

تبدأ الصلاة الربانية بشهادةٍ لله، وبمكافأةٍ لمن يؤمن به، وذلك عندما نقول: "أبانا الذي في السماوات". إننا بقولنا هذا نصلي إلى الله، وفي نفس الوقت نُظهر إيماننا، الذي مكافأته هو هذا اللقب،^٣ كما هو مكتوب: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولادًا لله".^٤

على كل حال، إن ربنا يسوع المسيح قد أعلن لنا مرارًا كثيرة أن الله هو أبونا، بل وأوصى قائلاً: "لا تدعوا لكم أبًا على الأرض، لأن أباكم واحدٌ الذي في السماوات".^٥ وهكذا، فنحن نطبق الوصية بهذه الصلاة.

^١ أي كلمات الصلاة الربانية التي تعتبر (المختصر المفيد). {المترجم}

^٢ وهو ما قد سبق وأشارنا إلى أن ذلك هو الموضع الأنسب لهذه النقطة. والمقصود بالعقل هنا هو الفهم لكلمات الصلاة، والاعتناء بأن الله يرانا في الخفاء، وأن الصلاة بفهم وروح وألفاظ مناسبة، هي الصلاة المقبولة. {المترجم}

^٣ أي أننا بقولنا "أبانا" نشهد أن الله هو الآب والخالق، وفي نفس الوقت فإننا بانتسابنا له كأبناء يخاطبون أباهم، نأخذ منه مكافأة إيماننا، والتي هي أن ندعى أبناءً له. {المترجم}

^٤ (يو: ١٢)

^٥ (مت: ٢٣: ٩)

طوبى لأولئك الذين يعرفون أباهم! لأن هذه هي الملامة التي أُخِذْتُ على شعب إسرائيل، والذين يُشْهَدُ الروح عليهم السماء والأرض قائلاً: "ريبت بنيًا ونشأتهم وأما هم فعصوا على"،^١ وعلاوة على ذلك، فإننا عندما نقول: "أبانا"، فإننا ندعوه كذلك ربنا. هذا اللقب يُشعرنا بواجبات البنوة، ويشعرنا أيضًا بالقوة. إننا عندما نتضرع للآب، فإننا نتضرع للابن أيضًا، فلقد قال: "أنا والآب واحد".^٢ كذلك نحن لا ننسى أيضًا أننا الكنيسة، لأنها ظاهرة في الآب والابن، ومنها يُرفع اسم كليهما. إذًا، ففي مصطلح أو لفظٍ واحدٍ، نمجّد الله ونمجّد خاصته^٣ معه. نراعي الوصية، ونضع حدًا لمثل هؤلاء الذين نسوا أباهم.

الفصل الثالث

الجملة الثانية

لم يُعلن اسم الله الآب لأحدٍ، فحتى موسى الذي استغفم من الله عن هذا الأمر بالذات، قد سمع اسمًا مختلفًا.^٤ أما بالنسبة لنا، فقد أعلن هذا الاسم في الابن، لأن الابن الآن هو الاسم الجديد المُعلن للبشر،^٥ فلقد قال: "أنا قد أتيت باسم أبي ولم تقبلوني"،^٦ وأيضًا قال:

^١ (أش ٢: ١)

^٢ (يو ١٠: ٣٠)

^٣ يقول Dodgson إن خاصته هم (الابن والكنيسة) وهذا رأى المترجم أيضًا، أما Oehler فيقول إنهما (الابن والروح القدس).

^٤ (خر ٣: ١٣ - ١٦)

^٥ "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خير". (يو ١: ١٨)

^٦ (يو ٥: ٤٣)

قال: "أيها الأب مجد اسمك"،^١ وأعلنها أكثر صراحةً في قوله: "أنا أظهرت اسمك للناس".^٢

لذلك نحن نصلي قائلين: "ليقدس" هذا الاسم. ليس هذا معناه أن البشر يتمنون الخير لله، وكأن هناك آخرون^٣ يتمنون له الخير، أو أنه قد يعاني بدون هذه الأمنية، فمن الواضح أنه يليق بالله أن يُبارك من الجميع في كل مكان^٤ وكل وقت، وقت، كي يتذكر الإنسان استحقاق الله للشكر الدائم على عطايه. ومع ذلك، فهذه الطلبة تصلح أيضًا لنوال البركة.

من ناحية أخرى، هل كان هناك وقتًا لم يكن فيه اسم الله مقدسًا، وقدوسًا في ذاته؟ فيما أنه يُقدّس الكل بنفسه، حيث أن دائرة الملائكة المحيطين به لا تكف عن قول: "قدوس، قدوس، قدوس"،^٥ فنحن أيضًا على نفس المنوال نتركى للوصول إلى الصورة الملائكية إذا نجحنا في أن نستحقها، فنبداً هنا على الأرض باجتهاد أن نحفظها عن ظهر قلب، إلى أن نرتفع إلى الله في اليوم الأخير، ونأخذ وظيفة مجد المستقبل. كما أننا نقولها أيضًا في الوقت الحالي لأجل تمجيد الله.

ومن ناحية أخرى، فمع قولنا: "ليقدس اسمك"، فإننا نصلي أن يتقدس اسمه فينا نحن الذين فيه، وكذلك في كل الآخرين الذين تنتظرهم نعمة الله. نصلي أن نطيع الوصية أيضًا في صلاتنا "لأجل جميع الناس"،^٦ بل وحتى لأجل أعدائنا.^٧

^١ (يو ١٢: ٢٨)

^٢ (يو ١٧: ٦)

^٣ قد يكون المقصود بالآخرين هم أي إله آخر. {الترجمة الإنجيلية}

^٤ "باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه، باركي يا نفسي الرب". (مز ١٠٣: ٢٢).

^٥ (أش ٦: ٣)، (رؤ ٤: ٨).

^٦ (١ تي ٢: ١)

^٧ (مت ٥: ٤٤).

لأجل هذا، بطلبتنا القلبية، ولبسانٍ خفي، لا نقول: "ليتقدس فينا"، بل ليتقدس "في الجميع".

الفصل الرابع

الجملة الثالثة^١

بُناءً على هذا الشكل من الصلاة، نضيف قائلين: "لتكن مشيئتك، كما في السماء، كذلك على الأرض". ليس هذا معناه أن هناك قوةً ما تقاوم إتمام مشيئة الله، وكأننا نصلي لأجل نجاح مشيئته. لكن معناه أننا نصلي لأجل أن تكون مشيئته في الكل، كي يكون جسدنا وروحنا هما الأرض والسماء (بمعنى رمزي).

وحتى إذا فهمنا هذه العبارة حرفيًا، فما زال معنى الطلبة هو نفسه، أي أن تتم مشيئة الله فينا على الأرض حتى يمكن أن تتم مشيئته أيضًا في السماء. فما هي مشيئة الله سوى أن نسير حسب تعاليمه، ونتضرع فيعطينا ما يشاء لنا، ويعطينا القدرة على عمل مشيئته حتى نخلص على الأرض وفي السماء؟ إن محصلة مشيئته هي خلاص من صاروا أبناءه.^٢

كذلك هناك مشيئة الله (الآب) التي أتمها (الابن) في الكرازة والعمل والاحتمال، وبما أنه قد أعلن أنه لا يفعل مشيئته بل مشيئة الآب - وبدون شك فإن الأشياء التي اعتاد أن يعملها كانت هي مشيئة الآب^٣ - فعلى هذا النمط، نحن الآن مدفوعون بقوة للكرازة والعمل والاحتمال، وحتى إلى الموت. لذا، فنحن نحتاج

^١ من المفترض أن الجملة الثالثة هي "ليأتي ملكوتك"، ولكن ترتليان قدم الرابعة على الثالثة لتوضيح

معنى معين في تفسيره للصلاة الربانية. {المترجم}

^٢ "لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية". (يو ٣: ١٦).

^٣ (يو ٦: ٣٨)

مشيئة الله، حتى نصبح قادرين على إتمام هذه الواجبات.

وكذلك في قولنا: "لتكن مشيئتك"، فإننا نرجو الخير لأنفسنا أيضًا، لأنه لا يوجد شيء من الشر في مشيئة الله. فحتى لو كانت مشيئته هي التأديب المناسب لكل شخص، أو كانت مشيئته مفروضة علينا، "فلتكن مشيئته". وبهذا التعبير، نحن نهيب أنفسنا للصبر والاحتمال.

إن الرب أيضًا عندما أراد أن يُرينا على أرض الواقع ما هو الأكم قال: "يا أبناؤه فلتعبر عني هذه الكأس"، ثم ذكّر نفسه بـ "لتكن لا إرادتي بل إرادتك".^١ ورغم أنه كانت له مشيئة وقوة الآب، فمع ذلك استسلم لإرادة الآب، لأجل أن يرينا الاحتمال الواجب.

الفصل الخامس

الجملة الرابعة

إن عبارة "ليأتي ملكوتك" تُنسب أيضًا لعبارة "لتكن مشيئتك"، وكلاهما يتم فينا. فكيف لا يكون الله ملكًا، وهو الذي في يده قلوب جميع الملوك؟^٢ إننا معه ننتظر أن نأخذ ما أردنا لأنفسنا مهما كان، وننسب إليه كل ما نحصل عليه. فإن كان استعلان ملكوت الله يتعلق بإرادة الله، وبتوقعاتنا القلقة، فكيف لبعض الصلوات أن تطيل أمد هذا الدهر،^٣ حين يأتي ملكوت الله الذي نصلي لأجل قدومه، ويؤول إلى انقضاء الدهر؟ إن رغبتنا هي التعجيل بأن نملك معه، وليس مدة عبوديتنا، فحتى لو لم تكن الصلاة قد أقرت وجوب طلب مجيء الملكوت، فكان سيتوجب علينا طوعًا أن نرفع صراخنا متعجلين نوال رجائنا.

^١ (لو ٢٢: ٤٢)

^٢ (أم ٢١: ١)

^٣ بشير "تريليان" إلى بعض الناس الذين يُصلُّون لأجل تأجيل مجيء ملكوت الله.

الصلاة

إن أرواح الشهداء تحت المذبح تصرخ بحرارة إلى الرب قائلة: "حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنقم لدمائنا من الساكنين على الأرض"،^١ فمن المؤكد أن ثأرهم مرتب له في نهاية الدهر.

كلا يا رب، بل صلاة المسيحيين هي هذه: "ليأت ملكوتك" بكل سرعة، فإن ملكوتك سوف يجعل الوثنيين يرتكبون، وسوف يجعل الملائكة يتهللون. ليس لأجل ما نعانیه، بل لأجل حدوث الأمر الذي نصلي من أجله.

الفصل السادس

الجملة الخامسة

لكن ما أروع ترتيب الحكمة الإلهية لأمر الصلاة، فبعد ذكر الأشياء السماوية التي هي اسم الله ومشیئة الله وملكوت الله، كان لابد للحكمة الإلهية أن تعطي مكاناً للطلبة من أجل الاحتياجات الأرضية. لذلك، فقد أضاف الرب هذا الأمر قائلاً: "اطلبوا أولاً ملكوت الله ویرّه، وهذه كلها تزداد لكم"،^٢ ولو أننا يجب أن نفهم بالأولى قوله: "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم" فهمًا روحياً.

إن المسيح هو خبزنا لأنه هو الحياة، والخبز هو الحياة كما قال: "أنا هو خبز الحياة"،^٣ وقال قبلها بقليل: "لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم".^٤ إنه يعتبر جسده أيضاً هو الخبز في قوله: "هذا هو جسدي"،^٥ وبذلك فإننا

^١ (رو٦: ١٠)

^٢ (مت٦: ٣٣)

^٣ (يو٦: ٣٥)

^٤ (يو٦: ٣٣)

^٥ (مت٢٦: ٢٦)

في الطلبة لأجل خبزنا كفاف يومنا، نطلب أن نحيا للأبد في المسيح، وأن لا نفترق عن جسده.

ولكن، لأن هذا القول مقبولٌ أيضًا من جهة المعنى الجسدي، فلا يمكن استخدامه بدون إضافة الجانب الديني والتعليم الروحي. إن الرب قد أمر بأن يكون الخبز الذي نصلى من أجل أخذه، هو الغذاء الوحيد الضروري للمؤمنين في قوله: "وهذه كلها تطلبها الأمم"،^١ ونفس الدرس أيضًا ثَبَّتَه في الأذهان بأمثلة، وتناوله مرارًا في أمثال حينما قال: "هل يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب"،^٢ ومرة أخرى قال: "هل يطلب الابن من أبيه خبزًا فيعطيه حجرًا"،^٣ لكي ما يوضح أن ذلك هو ما ينتظره الأبناء من أبيهم.

ليس هذا فقط، بل وكذلك في مثل الطارق ليلاً، والذي طرق الباب لأجل الخبز،^٤ فإنه قد وضع بإحكام هذا القول: "أعطنا اليوم"، لتأكيد ما قاله سابقًا: "لا تهتموا للغد بما تأكلون..."^٥، وأعطى تطبيقًا لنفس الغرض أيضًا في مثل الرجل الذي فكر في توسيع مخازنه لأجل المحاصيل الآتية، ولتأمين طويل المدى للمواسم، ومات في نفس الليلة.

^١ (مت ٦: ٣٢)

^٢ (مت ١٥: ٢٦)، (مر ٢٧: ٧)

^٣ (مت ٧: ٩)، (لو ١١: ١٠)

^٤ (لو ١١: ٥-٩)

^٥ (مت ٤٣: ٦)، (لو ١٢: ٩)

الفصل السابع

الجملة السادسة

لقد كان من المناسب بعد التأمل في كَرَم الله^١ أن نلتمس رحمته بالضرورة، فبماذا ينفعنا الطعام إذا ما استسلمت أنفسنا له مثل الثور المُسَلَّم للتضحية؟ لقد كان الرب عارفاً^٢ أنه الوحيد الذي بلا خطية، ولذلك فهو يُعلِّمنا أن نتضرع قائلين: "وأغفر لنا ذنوبنا".

إن الصلاة لأجل مغفرة الخطايا هي اعترافٌ كاملٌ، لأن من يطلب المغفرة يعترف اعترافاً كاملاً بخطئه، وكذلك التوبة أيضاً تظهر مقبولة أمام الله الذي يريدنا أكثر من موت الخاطيء.

علاوة على ذلك، فإن الخطيئة في الكتاب المقدس هي شكل من أشكال الجريمة، لأنها تساوي حكم المحكمة، والمتهم مطالب بتنفيذه، فلا يمكن الإفلات من العدالة إلا إذا أُعفي الشخص من الحكم. بالضبط مثلما صَفَح الرب عن ذنب العبد في المثل^٣، مع أن نفس العبد بعد تحريره من قِبَل الرب، لم يعف بالمثل عن مدينه. ويكونه متهماً أمام سيده،^٤ فقد سُلِّم إلى المُعْزِب حتى يوفي الفِلس الأخير، أي كل ذنبٍ فُعلَ مهما كان صغيراً. وهذا يتناسب مع مناداتنا: "كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا"، ويوجد بالفعل ما يطابق هذه الصلاة في موضع آخر، حينما قال الرب: "اغفروا، يغفر لكم".^٥

^١ المتمثل في إعطائه لنا خبز الكفاف.

^٢ يعلمه السابق.

^٣ الموجود في (مت ١٨: ٢١ - ٣٥)

^٤ الذي صفح عنه منذ قليل.

^٥ (لو ٦: ٣٧)

وعندما سأل بطرس: "هل تكون المغفرة للأخ سبع مرات"، فلكي يصيغ الرب الناموس للأفضل قال: "كلا، بل إلى سبعين مرة سبع مرات".^١ مثلما في سفر التكوين، حينما حُدد الانتقام لقايين سبع مرات، ولكن للامك كان الانتقام سبع وسبعين.^٢

الفصل الثامن

الجملة السابعة والأخيرة

ولأجل إتمام هذه الصلاة المختصرة جداً، يجب علينا أن نتضرع، ليس فقط لأجل ما يتعلق بالمغفرة، بل لأجل اجتتاب فعل الخطيئة اجتتاباً كاملاً، لأجل هذا أضاف الرب قائلاً: "ولا تدخلنا في تجربة"، بما معناه: "اسمح لنا أن لا نخوض التجربة" عن طريق المجرب بالطبع، لكن حاشا لله أن يكون هو نفسه المجرب،^٣ وكأنه عديم المعرفة بإيمان كل فرد، أو كأنه متلهف لهدم إيمان الإنسان، فالضعف والحقدهما من صفات الشيطان.

إن الله قد أمر إبراهيم أن يضحي بابنه، ليس لأجل التجربة، بل لإثبات إيمانه، ولكي من خلال إيمان إبراهيم يقدم مثلاً لوصيته، التي فيها أوصي الإنسان بعد ذلك بفترة، بآلاً يحمل أي ارتباط عاطفي بأحد أكثر من الله،^٤ وهو نفسه حينما جُرب من إبليس أظهر أنه المتصدر، وأنه خالق التجربة أيضاً،^٥ فلقد أكد هذه

^١ (مت ٢١: ١٨ - ٢٢)، في النص الأصلي ذكرها "تريليان" سبع وسبعين، وقد يكون ذلك لتأكيد

التنبيه، أو بسبب عدم الدقة. {المترجم}

^٢ لأن الرب رحيم في غفرانه، ولكن في نفس الوقت هو عادل في انتقامه.

^٣ (يع ١: ١٣) "لأن الله غير مجرب بالشور، وهو لا يجرب أحداً"

^٤ (مت ١٠: ٣٧)، (لو ١٤: ٢٦)

^٥ (مت ٤: ١٠)، (لو ٤: ٨)

الصلاة

العبارة بعبارة أخرى لاحقة حينما قال: "صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة".^١ ومع ذلك، فقد جُرب التلاميذ لتخليهم عن سيدهم، لأنهم أعطوا مكانًا للنوم بدل الصلاة. لذلك، فإن الجملة الأخيرة "لكن نجنا من الشرير" ثلاثم وتفسر معنى الآية "لا ندخلنا في تجربة".

الفصل التاسع

تلخيص

فكم تكلم الأنبياء والإنجيليون والرسل، وكما قال الرب من أحاديث وأمثلة وأمثال، كلها تشير إلى هذا الموجز المكوّن من كلمات قليلة،^٢ والذي تحققت فيه هذه الفرائض:

- ١- تكريم الله في كلمة "أبانا".^٣
 - ٢- استعلان الإيمان في هذا "الاسم".^٤
 - ٣- تقديم الطاعة "لمشيئته".
 - ٤- التذكرة برجائنا في "الملكوت".
 - ٥- الطلبة من أجل الحياة، متمثلة في صورة "الخبز".
 - ٦- الاعتراف الكامل بالذنوب في الصلاة من أجل "المغفرة".
 - ٧- الخوف والقلق من التجربة في صورة طلب "الحماية".
- وما العجب في هذا؟ فالله وحده هو القادر أن يعلمنا ما يريد منّا في الصلاة

^١ (لو ٢٢: ٤٠)، (مت ٢٦: ٤١)، (مر ١٤: ٣١)

^٢ الذي هو كلمات الصلاة الربانية. {المترجم}

^٣ أي الكرامة التي أعطاها لنا الله كي ندعى أولاده. {المترجم}

^٤ أي إعلاننا أننا نؤمن بأن الله هو الإله وهو أبونا. {المترجم}

المرفوعة إليه. لذلك، فقد رتب بنفسه الطقس الديني للصلاة، وأعطاه الحياة بروحه. حتى أن كلمات الصلاة، في اللحظة التي خرجت فيها من فمه الإلهي، ارتفعت إلى السماء بما تحمله من امتياز،^١ مظهرة للآب ما قد علّمه الابن.^٢

الفصل العاشر

في إمكانية إضافة صلوات خاصة^٣ إلى جانب الصلاة الريانية.

ومع ذلك، فإن الرب العارف^٤ باحتياجات الإنسان^٥ قال - بعدما سلّمهم قانون الصلاة - في موضع آخر: "اسألوا تعطوا"،^٦ وبما أن هناك طلبات تُقام بحسب ظروف كل فرد، إذاً، فإن احتياجاتنا الإضافية لها الأحقية^٧ في أن تقيم لنفسها بناءً خارجيًا من الطلبات،^٨ مع تذكّر وصايا السيد. أي بعد الابتداء بالصلوات القانونية المعتادة كأساس للصلاة كيفما يكون.

إننا لسنا بعيدين عن أدني الرب، بنفس مقدار بعدنا عن وصاياه.^٩

^١ امتياز كونها صلاة إلهية. {المترجم}

^٢ لتلاميذه (أي كيف يصلون الصلاة المقبولة عند الآب). {المترجم}

^٣ أي صلوات فردية ارتجالية.

^٤ بعلمه السابق.

^٥ (مت ٦: ٨)

^٦ (مت ٧: ٧)، (لو ١١: ٩)

^٧ إن جاز التعبير

^٨ أي طلبات ذاتة عن الصلاة الريانية.

^٩ هذا الجزء موجود في ترجمة Oehler كدأية للفصل التالي، ولكن التقسيم الأدق هو أن يوضع في نهاية هذا الفصل.

الفصل الحادي عشر

عندما تصلي "الأبانا" لا يجب أن تكون غاضبًا من أخيك.

إن تذكر وصايا الرب يمهّد لصلواتنا طريقًا إلى السماء، وأهم هذه الوصايا هي ألا نصعد إلى مذبح الله قبل أن نُسوِّي أي خلافٍ بيننا وبين إخوتنا.^١ فما هو نوع العمل الذي يمكن به أن نقترّب من سلام الله^٢ بدون قبلة السلام؟^٣ وكيف تحصل على مغفرة الخطايا بينما أنت تحتفظ بها؟ وكيف يمكن لهذا الغاضب من أخيه أن يهدئ أباه، بينما كل أنواع الغضب مُحَرِّمة علينا منذ البدء؟^٤

إن يوسف عندما صرف إخوته بغرض إحضار أبيهم، وقال لهم: "لا تتغاضبوا في الطريق"،^٥ كان في نفس الوقت يحذرنّا أن نكون متأكدين عندما نبدأ طريق الصلاة، ألا نذهب إلى الآب ونحن غاضبون، لأن المسيحية قد دُعيت بـ (الطريق)^٦ في موضع آخر من الكتاب المقدس. ثم بعد ذلك وسَّع الرب نطاق الناموس،^٧ وأضاف صراحة: إن غضب الإنسان من أخيه محرم كتحريم القتل،^٨ ولم يسمح حتى بنطق كلمة شريرة عليه.^٩ لذلك، عندما نغضب يجب ألا نحفظ

^١ (مت ٥: ٢٢، ٢٣)

^٢ (في ٤: ٦، ٧)

^٣ مع الناس

^٤ (تك ٤: ٦، ٧)

^٥ (تك ٤٥: ٢٤)

^٦ (أع ٩: ٢)، (أع ١٩: ٩، ٢٣)

^٧ (مت ٥: ١٧)

^٨ (مت ٢١: ٥، ٢٢)

^٩ (مت ٢١: ٥، ٢٢)، (١ بط ٣: ٩)

بغضبنا بعد غروب الشمس، كما حذر الرسول.^١
 إذًا، كم هو من التهور أن تسمح بمرور اليوم بدون صلاة، بينما أنت ترفض
 أن تُرضي أخاك؟ وبمعنى آخر، لماذا تفقد صلاتك بتمسكك بالغضب؟

الفصل الثاني عشر

لا بد أن نتحرر كذلك من كل اضطراب عقلي.

يجب علينا ألا نتحفظ فقط من الغضب، بل ينبغي أن نتحفظ تمامًا من كل
 اضطراب للعقل. ينبغي أن تكون ممارسة الصلاة خالية تمامًا من الغضب، منطوقة
 من روح^٢ تشابه ذلك الروح الذي تُرسل إليه الصلاة، لأن الروح القدس لا يعترف
 بالروح النجس،^٣ وروح الفرح لا يعترف بروح الحزن،^٤ والروح الحر لا يعترف
 بالمربوط. لا يوجد أحد يسمح لعدوه بأن يقابله، ولا يوجد أحد يسمح بدخول بيته إلا
 لرفيقه.

الفصل الثالث عشر

غسيل الأيدي

ولكن ما هو الداعي إلى الصلاة، بأيدي مغسولة حقًا، ولكن بروح دنسة؟ إن

^١ (أف: ٢٦: ٤)

^٢ أي روح نقية. {المترجم}

^٣ (أف: ٤: ٣٠)

^٤ (رو: ١٤: ١٧)

الصلاة

أيدينا نفسها تحتاج بالضرورة إلى تنقية روحية، حتى يمكن أن تُرفع وهي طاهرة^١ من الكذب، والقتل، والقسوة، والفساد،^٢ وعبادة الأوثان، ومن كل العيوب الأخرى التي تصوّرها روح الإنسان، والتي تتأثر بمصنوعات الأيدي.

هذه هي النقاوة الحقيقية،^٣ وليست تلك التي يهتمون بها غالبًا بشكل خرافي، باغتسالهم بالماء عند كل صلاة، حتى ولو كانوا خارجين تَوًّا من غسيلٍ كاملٍ لكل الجسم!

عندما كنت أبحث بتدقيق شديد عن هذه الممارسة وعن سببها، تأكدت من أنه عملٌ تذكاريّ، وأنه يشبه تسليم ربنا (للصلب).^٤

على العموم، نحن لا نصلي للرب لأجل أن نسلّمه، بل يجب علينا أن نضع أنفسنا في موضعٍ مختلفٍ عن الذي أسلمه، ولا نغسل أيدينا لنفس السبب. وحتى إذا كان هناك سلوكًا نجسًا في معاملتنا مع الناس، وكان هذا سببًا في تأنيب الضمير بأن نغسلهم، فإنها في الواقع قد تنقّت بقدرٍ كافٍ عندما غُسلت مع كل جسدنا مرةً واحدةً في المسيح.^٥

الفصل الرابع عشر

إضافة

ورغم أن شعب إسرائيل كان يغسل أطرافه كل يوم، فهو مع ذلك لم يتنقّ أبدًا.

^١ (١ تي ٢: ٨)

^٢ أو السحر والعرافة (الترجمة الإنجيلية)

^٣ (مت ١٥: ١٠، ١١، ١٧ - ٢٠)، (مت ٢٣: ٢٥، ٢٦)

^٤ وكأنهم يغسلون أياديهم من الخطايا مثلما فعل "ييلاطس" (مت ٢٧: ٢٤)

^٥ في المعمودية.

أيديهم في كل الأحوال متسخة وملطخة بدماء الأنبياء إلى الأبد، وبدم الرب نفسه. لذلك، ولكونهم مجرمين بالوراثة لعلمهم بجرائم آبائهم،^١ فإنهم لا يجسرون حتى أن يرفعوا أياديهم إلى الرب لثلاث يوبخهم إشعياء بعض التوبيخ،^٢ وخشية أن يرجفهم المسيح بالكلية. وأما نحن فلا نرفع أيادينا فقط، بل نبسطها أيضًا آخذين مثال آلام الرب،^٣ حتى نعترف^٤ للمسيح في الصلاة.

الفصل الخامس عشر

خلع العباءات^٥

والآن، بعد أن أشرنا إلى إحدى النقاط الخاصة بالممارسات العقيمة، لن نألوا جهدًا في أن نسجل بالمِثْل رفضنا الشديد للنقاط الأخرى التي تستحق الملامة لكونها باطلة، لأنها تُتراعى بدون سندٍ من أية وصية، سواء من الرب أو حتى من الرسل. فإن الأمور من هذا القبيل لا تتعلق بالدين، بل بالخرافات التي نتعلمها ونُجبر عليها، وهي أمور غريبة أكثر من كونها عبادة عقلية،^٦ بل وتستحق المنع في كل الأحوال لأنها تضعنا في نفس مستوى الأمم.

فمثلًا، هناك عادة للبعض أن يضعوا عبااتهم جانبًا عندما يُصلُّون، وهكذا أيضًا يتقرب الأمم لأوثانهم. بالتأكيد لو كان من المناسب مراعاة ذلك، لكان الرسل

^١ (مت ٢٣: ٣١)، (لو ١١: ٤٨)

^٢ (اش ١: ١٥)

^٣ الذي بسط يديه على عود الصليب.

^٤ أي نمجد

^٥ أيضًا من عادات اليهود.

^٦ (رو ١٢: ١)

الصلاة

الذين علّموا عن الاهتمام بالزّي المناسب للصلاة،^١ قد اشتملت تعاليمهم مارها، إلا إذا ظنُّ أحدٌ أن بولس ترك عباعته مع "كاريس" أثناء الصلاة!^٢
 بالتأكيد لم يسمع الرب لهؤلاء المصلّين^٣ وهم لابسون عباءاتهم، بل من الواضح أنه استجاب للثلاثة القديسين المصلّين بسرّويلهم وعمائمهم في أتون ملك بابل.^٤

الفصل السادس عشر

الجلوس بعد الصلاة^٥

بالمثل، فيما يتعلّق بعادة البعض في الجلوس بعد انتهاء الصلاة، لا أرى أيّ داعٍ لها إلا التشبيه بالأطفال.^٦
 فهل ينبغي لنا أن نتمسك بما فعله "هرماس"^٧ الذي له كتابات مُسجّلة في كتاب بعنوان "الراعي"، والذي بعدما انتهى من الصلاة، فَعَلَ أشياءً أخرى، ولم يجلس على فراشه. هل هذا أيضًا أمر يجب مُراعاته؟! بالطبع لا.

^١ (١ كو ١١: ٣ - ١٦) عن غطاء الرأس وقت الصلاة بالنسبة للرجل والمرأة.

^٢ (٢ تي ٤: ١١)

^٣ الذين هم حكماء بابل.

^٤ (د ٣١: ٢١)

^٥ وهي أيضًا عادة من عادات يهود ذلك العصر التي ليس لها أي مرجع كتابي أو ديني. {المترجم}
^٦ أي مثلما يفعل الأطفال تعبيرًا عن شعورهم بالتعب بعد وقفة الصلاة، وقد يكون قصده أن اليهود يقدّون الوثنيين مثلما يقدّ الأطفال الكبار.

^٧ يوجد كتاب اسمه كتاب "الراعي" لمؤلفه "هرماس"، وكان يُقرأ في الكنائس حتى القرن الرابع كسفر من أسفار الكتاب المقدس، ولكنه الآن يُعتبر قصةً خياليّةً لشخصٍ غير معروف، ومن ضمن أسفار أبوكريفا العهد القديم. وتُرتليان "يعتبره شخصًا غير معروف، بينما يعتقد "أوسابيوس" و"ق. جيروم" و"أوريغانوس" أنه "هرماس" تلميذ بولس الرسول المذكور في "رومية ١٦". {المترجم}

وإن كان أمرًا يجب مُراعاهه، فلماذا لا نعتبر عبارة "بعدما صليت وجلست على فراشي"^١ أمرًا نموذجيًا للتعليم، وليس مجرد عبارة في سياق الحديث؟! بل وأيضًا سيكون من الواجب علينا ألا نصلي في أي مكانٍ إلا إذا كان هناك فراش! ليس هذا فقط، بل ويكون كل من يجلس على كرسي أو أريكة هو مُخالفٌ للتعليم^٢! علاوة على ذلك، تستحق هذه الممارسة الملامة من داخلنا لأنها تراعى في عبادة الأوثان، حيث أن الأمم يفعلون نفس الشيء، أي الجلوس عند عبادة تماثيلهم الحقيرة. أضف إلى ذلك الوقاحة أيضًا، وهو أمرٌ واضحٌ كذلك بالنسبة للأمم أنفسهم، إن كان عندهم فهم! فمن ناحية، إنه عدم احترام أن تجلس تحت مرأى، وأمام عيني من تَكُن له كل الاحترام والتوقير. ومن ناحية أخرى، فإن هذه الممارسة تكون أكثر وقاحة بكثير لأن فيها عدم تدين تحت مرأى الإله الحي، في الوقت الذي فيه الملائكة يصلون دائمًا وهم واقفون أمامه،^٣ إلا إذا كنا بذلك نريد أن نعاتب الله لأن الصلاة قد أتعبتنا كثيرًا!^٤

الفصل السابع عشر

الأبادي المرفوعة.

أما نحن، فإننا نُقدّر الله أكثر في صلواتنا حينما نُصلي بخضوعٍ وتواضعٍ، حتى دون أن نرفع أيدينا عاليًا، بل باعتدالٍ ولباقةٍ. ولا حتى نرفع وجوهنا بتجاسرٍ شديدٍ، لأن العشار الذي صلى بتواضعٍ وبروحٍ منكسرةٍ - ليس فقط بتضرعه، بل

^١ وهي عبارة كانت تُكتب كثيرًا في القصص في ذلك العهد. {المترجم}

^٢ كلها عبارات سخريّة، حيث كان هذا هو أسلوبه.

^٣ يصلّون لأجل البشر. أنظر (طو ١٢: ١٢)، (لو ٢: ١)، (رو ٨: ٣، ٤).

^٤ أي أن طول مدة الصلاة التي قدمناها قد أتعبتنا كثيرًا، فلماذا لا يستجيب بسرعة. {المترجم}

الصلاة

وأيضًا بوجهه المنخفض - خرج أكثر تَبَرُّراً من الفريسي الوقح.^١
وبالمثل، ينبغي لنا أن نُخفض نبرات أصواتنا، فلو كان سماع صلواتنا يكون
بضجيجنا، فكم يجب أن يكون حجم قصبتنا الهوائية؟! لكن الله سامعٌ، ليس للصوت
بل للقلب، لأنه هو فاحصه بالحقيقة.

وإن كان الوحي الشيطاني للإله "أبلون" يقول: "أنا أفهم الصامت وأسمع
الأبكم بوضوح"،^٢ فهل تنتظر أذنًا الله سماع الأصوات؟ فكيف إذا استطاعت صلاة
يونان أن تجد طريقها للسماء من عمق جوف الحوت، من أحشاء الوحش الضخم،
من الأعماق السفلى، وكيف عبرت خلال كمية مهولة من ماء البحر؟!
فما هي إذا الفائدة العظيمة التي سوف يحصل عليها هؤلاء الذين يُصلُّون
بصوت عالٍ جدًا؟! لا شيء سوى أنهم سوف يُضايقون جيرانهم. فهل صلواتهم
المسموعة ستجعلهم أقل خطأ مما لو كانوا يُصلُّون أمام الناس؟!^٣

الفصل الثامن عشر

قبلة السلام

وهناك عادة أخرى أصبحت تسود الآن، ألا وهي امتناع الصائمين عن قبلة
السلام، التي هي ختام الصلاة مع الإخوة. فهل يوجد وقت ينبغي فيه أن نختتم
الصلاة بالسلام أفضل من وقت الممارسات الدينية؟^٤ ففي هذا الوقت تصعد صلواتنا

^١ (لو ١٨: ١٤، ٩)

^٢ في الكتابات الوثنية.

^٣ أي هل يُعتبر هذا مقبول أكثر من صلاة المرائين في المجمع وزوايا الشوارع، والتي رفضها السيد
المسيح في (مت ٦: ٦، ٥).

^٤ أي وقت الصوم.

بشكل أكثر قبولاً، وشاركنا إخوتنا ممارستنا بأنفسهم، وبذلك تكون الصلاة لطيفة لأنهم يُصلُّون مع أخيهام - الذي هو أي فردٍ منّا - الذي يشعر بسلامهم. فأية صلاة هذه التي تتم بدون القُبلة المقدسة؟^١ ومن هم ممنوعون من السلام وقت خدمة الرب؟ وأي نوع من القربان هذا الذي يقدمه أناسٌ ينصرفون عن السلام؟

مهما كانت صلواتنا، فلن يكون هناك أفضل من حفظ الوصية التي تدعونا لإخفاء أصواتنا.^٢ أمّا الآن، فإن انقطاعنا عن القُبلة سيُظهر أننا صائمون.

وحتى لو كان هناك ثمة سبب ما لهذه الممارسة،^٣ فلكيلا تتعدى الوصية، ربما يمكنك أن توجّل قُبلة السلام في البيت، حيث لا يمكنك أن تخفي صومك بالتمام، ولكن ينبغي لك أن تتذكر الوصية في أي مكان آخر يمكنك فيه أن تخفي أعمالك الروحية، وبذلك يُمكنك أن توفي متطلبات التدريب الروحي خارج البيت، وتُنفذ الوصية في البيت.^٤

وبالمثل أيضاً يوم الجمعة العظيمة، عندما يكون الصوم عامّاً، فيما أنه أمرٌ مُعلنٌ، فنحن نترك القُبلة ولا نُظهر أي اهتمامٍ بإخفاء أي شيءٍ مما نفعله بشكل جماعي مع كل الناس.^٥

^١ التي تعبر عن المحبة المتبادلة، انظر (رو ١٦: ١٦)، (١كو ٢٠: ١٦)، (٢كو ١٢: ١٣)، (١تس ٥: ٢٦)، (١بط ٥: ١٤).

^٢ (مت ٦: ١٦-١٨)

^٣ التي هي الامتناع عن القُبلة المقدسة.

^٤ التي هي الصوم في الخفاء.

^٥ من صوم وصلاة ومبطنات وخلافه. وحاليًا يُمتنع عن التقبيل من ليلة الأربعاء من أسبوع الآلام إلى بداية صلوات قداس العيد. (المترجم)

الفصل التاسع عشر

أيام الاحتراس^١

وبالمثل فيما يتعلق بأيام الاحتراس، فالمعظم يظنون أنه ينبغي لهم ألا يحضروا صلوات القديس فيها، على أساس أن التناول من جسد الرب لابد أن يحل الاحتراس. فهل الإفخارستيا إذاً ستلغى خدمة مخصصة للرب - التي هي الصوم - أم أنها تربطها بالله بالأكثر؟ ألا يكون احتراسك أكثر خشوعاً إذا ما كُنْتَ واقفاً أمام مذبح الله؟ فعند التناول والاحتفاظ داخلياً بجسد الرب فإننا نضمن كلا الغرضين، الشركة في القرايين، والوفاء بالالتزام^٢.

وإن كان الاحتراس (الانضباط) قد اتخذ هذا الاسم من نموذج الحياة العسكرية، حيث أننا أيضاً جيش الله، فبالأكيد لا يوجد فرح ولا حزن مما قد يصادف المعسكر، يُبطل احتراس الجنود. إن الفرح سوف يجعل التدريبات تجري عن طيب خاطر، والحزن سوف يجعل التدريبات أكثر احتراساً.

^١ وتسمى أيضاً أيام الانضباط، وهي أيام البرامون وصوم السيدة العذراء وأيام الجمعة (والأربعاء أيضاً فيما بعد) وفيها كان المسيحيون في روما في هذا العصر يجتمعون في مكان للتجمع يسمى Collecta ويتحركون في موكب واحتفال ديني - في وجود الإكليروس والشعب - لحضور القديس البابوي في كنيسة محددة تسمى Station church، وقد رتب "ق. غريغوريوس الكبير" الكنائس المناسبة لكل يوم من أيام الاحتراس. {المترجم}

^٢ أي بعدم تناول الطعام بغرض الإفطار، وهو ما يؤكد إمكانية مواصلة الصيام بعد التناول، حيث تختلف الآراء حول هذا الأمر في الوقت الحالي. {المترجم}

الفصل العشرون

ملابس النساء

أما بخصوص ملابس النساء، فرغم كوننا رجالاً ضعفاء، إلا أن تنوع المناظر يُجبرنا على أن نُعالج الأمر بتجاسرٍ شديد. فيما أن (بولس) الرسول^١ العظيم القداسة قد عالجه، فلن يكون هناك تجاسرًا إذا عالجت الأمر طيبًا لما قاله الرسول، وكذلك كانت رسالة بطرس (الرسول) واضحة تمامًا فيما يتعلق بالحشمة في الملابس، والزينة، والحد من فخامة الثياب، والتباهي بالذهب، والتصنيف المُبهرج للشعر. فقد تكلم بنفس كلام بولس، لأنهما قد تكلمتا بنفس الروح.

الفصل الحادي والعشرون

العذارى

لكن هناك نقطة عنبًا تُراعى في كل الكنائس، ألا وهي إن كان ينبغي للعذارى أن يغطيها أم لا؟ هذه النقطة يجب البت فيها.

إن هؤلاء الذين يصرّحون للعذارى بالإعفاء من غطاء الرأس، يستندون على أن الرسول (بولس) لم يُحدد للعذراء بالاسم أن "تُغطى رأسها"^٢ بل للمرأة، وليس للجنس كله، وإلا كان قد قال: "الإناث". فيقولون إنه قد حدد فئة من الجنس المؤنث بقوله: "المرأة"، لأنه لو كان قد حدد الجنس عامة بقوله: "الإناث"، لكان قد جعله فرضًا مطلقًا للمرأة، ولكنه بتحديدِه لفئة واحدة قد فصل الفئة الأخرى عن الأمر بسكوته، فيقولون إنه كان يمكنه إما أن يُحدد العذارى بالخصوص، أو يعمم الأمر بأن يقول: "الإناث"!

^١ (١ كو ١١: ١٦-١٧)، (١ تي ٢: ١٠، ٩)

^٢ (١ كو ١١: ٥)

الفصل الثاني والعشرون

الإجابة على المناقشة السابقة.

ينبغي لهؤلاء الذين يعطون هذا التصريح أن يتأملوا في أصل اللفظ ذاته، أي في معنى كلمة "امراة" الموجود في أقدم تدوين للكتابات المقدسة. هنا سيجدون أنه يعني الجنس "الأنثوي" كله، وليس مرحلة من هذا الجنس.

فإن كان الله قد أعطى حواء لقب "امراة"^١ و"أنثى"^٢ في الوقت الذي لم تكن فيه قد عرفت رجلًا بعد- حيث أن الأنثى تعني الجنس كله، والمرأة تعني مرحلة معينة لهذا الجنس كما هو مفهوم. إذًا، من وقت أن دُعيت حواء التي لم تتزوج بعد باسم "امراة"، صار هذا اللقب يُطلق عامةً حتى على العذراء.

لا عجب إذًا أن الرسول- الذي كان بالطبع مُساقًا^٣ بنفس الروح الذي كُتبت به الأسفار المقدسة، والذي كُتب به سفر التكوين- قد استخدم اللفظ عينه "المرأة" في الكتابة، والذي ينطبق أيضًا على العذراء كمثال لحواء غير المتزوجة بعد. وفي الحقيقة، إن كل العبارات الأخرى تتفق مع ذلك، حتى ولو كان واضحًا حقًا أنه لم يحدد العذارى، كما فعل في موضع آخر^٤- حيث كان يُعلم عن الأمور المتعلقة بالزواج- لكنه أعلن بما فيه الكفاية أنه كان يُشير إلى ما يخص كل امرأة، بل والجنس كله، وأنه لا يوجد تمييز بين العذراء وغيرها، رغم أنه لم يذكر اسمها على الإطلاق. لكنه في موضع آخر تذكر أن يُميز بالاسم، حيث كان من الواجب أن

^١ (تك ٢: ٢٣)

^٢ (تك ١: ٢٧)

^٣ (٢ بط ١: ٢١)

^٤ (اكو ٧: ٣٤)

يُفرق، بل وأكثر من ذلك، فقد أشار إلى كل فئة بلقبها المناسب،^١ حيث تمنى ألا يُميز بينهم وألا يصنع فرقًا واضحًا.

وفي الواقع، إن اليونانية التي كتب بها الرسول رسائله تُقال فيها عادةً كلمة "النساء"^٢ أكثر من كلمة "الإناث".^٣ ولذلك، لو كان تفسير معنى كلمة "نساء" يدل على ما تدل عليه كلمة "إناث"، والتي تُستخدم غالبًا للإشارة إلى الجنس، إذًا فالرسول بقوله "نساء" قد حدد الجنس، وهي الكلمة التي مفهومها يتضمن العذارى. علاوة على ذلك، فإن التعبير واضح في قوله: "وأما كل امرأة تصلي أو تتنبا ورأسها غير مُغطى فتشين رأسها"،^٤ ولكن ما هو معنى "كل امرأة" إلا المرأة في كل أعمارها ومراتبها وأحوالها؟ ويقول "كل" لم يستثن أية أنثى، مثلما لم يستثن كذلك أي رجل من ضرورة عدم تغطية الرأس حينما قال: "كل رجل".^٥ ولذلك، كناية عن الجنس الذكوري، أي شخصٍ يندرج تحت مسمى "رجل" غير مسموح له بتغطية رأسه، وحتى (الشاب).^٦ وهكذا أيضًا بالنسبة للجنس الأنثوي، كل من تندرج تحت اسم "امرأة" ملزمة بتغطية رأسها، وحتى "العذراء".

إن الأمر سواءً بالنسبة للجنسين، فينبغي أن يتبع الصغير تعليم الكبير، وإلا كان من الممكن أن يُسمح للرجل "البكر" أن يغطي رأسه أيضًا ما دامت العذراء لا تُغطي رأسها، لأن كليهما لم يُذكر بالاسم! ونكون بذلك قد فرقنا بين الرجل والشاب

^١ (١ كو ٧: ٢٥-٣٤) حيث تحدث عن المرأة إذا تزوجت أو لبثت دون زواج، وفضل غير المتزوجة.

^٢ GUNAIKAS في اللاتينية.

^٣ THELEIAS في اللاتينية.

^٤ (١ كو ١١: ٥)

^٥ (١ كو ١١: ٤)

^٦ أي الرجل غير المتزوج.

الصلاة

مثلاً فرقنا بين المرأة والعذراء!

... وأيضاً في قوله: "أم ليست الطبيعة نفسها تُعلمكم؟!"،^١ فهل الطبيعة التي اعتبرت الشعر غطاءً أو زينةً للمرأة، وتُعلمكم أنه من الواجب على المرأة أن تضع غطاء رأس، هل هي لم تعتبر أن شعر العذراء هو نفس الغطاء والمجد^٢ فوق رأسها؟ فإن كان "قبيح بالمرأة أن تُقص أو تحلق"^٣ فهو كذلك بالنسبة للعذراء أيضاً.^٤ أيضاً.^٥

بناءً على ذلك، فإن أولئك^٥ اللواتي أُعطي لهن نفس ناموس الطبيعة بالنسبة للرأس،^٦ قد فُرض عليهن نفس التعليم بالنسبة للرأس،^٧ ونفس التعليم يشمل حتى أولئك العذارى اللواتي يعفيهن كونهن أطفالاً، لأنهن دُعِينَ منذ البداية^٨ "إناث". وباختصار، فإن هذه العادة كانت تراعى في "إسرائيل"، ولكن حتى لو لم يكن إسرائيل قد راعاها، فإن ناموسنا القوي والكامل سوف يُقر هذا الأمر الإضافي، وهو: "لنسمح بفرض غطاء الرأس للعذارى أيضاً". لكن لنسمح بحلٍ منا لهذه المرحلة- أي الطفولة- التي تجهل طبيعة جنسها^٩ أن تحافظ على حق البراءة، لأن لأن آدم وحواء عندما داهمتها المعرفة،^{١٠} قد غطى كلاهما في الحال ما أصبح

^١ (١كو ١١: ١٤)

^٢ في أن تُرخص المرأة شعرها (١كو ١١: ١٥)

^٣ (١كو ١١: ٦)

^٤ وكلها أمثلة لتأكيد تساوى الكل في تنفيذ الوصية.

^٥ أي المرأة والعذراء

^٦ أي إرخاء الشعر

^٧ أي تغطية الشعر

^٨ أي منذ ولادتهن

^٩ أي لا يعرفن الا كونهن اطفال.

^{١٠} (تك ٣: ٦)



يعرفه.^١ وعلى كل حالٍ فإن هؤلاء اللواتي تحولت طفولتهن إلى سن البلوغ، كان ينبغي أن تُدكَّرنَ مرحلتَهن بالواجبات الطبيعية والدينية لهذه المرحلة، لأنهن قد تحولن إلى رتبة "المرأة"، سواء على المستوى المعنوي أو الفسيولوجي، فتنتهي الفترة التي دُعيت فيها "عذراء" من وقت الزواج، والذي ترى فيه نفسها زوجةً لرجلٍ.

أما العذراء التي قد كرَّست نفسها للرب، فمن تلك اللحظة تُغير شكل شعرها وتُحولت كل ثيابها إلى ثياب "امرأة". فدعوها إذاً تحافظ على شخصية المرأة كاملةً، مع قيامها بكل شغل العذراء. دعوها تُغطى بالكامل ما تُخفيه - أي شعرها - من أجل الله. هذه هي مهمتنا أن نترك ما تفعله نعمة الله فينا لمعرفة الله، إلا إذا كنا نريد أن نأخذ من الإنسان المكافأة التي نرجوها من الله!

ولماذا تكشفين أمام الله ما تخفيه عن الرجال؟^٢ هل ستكونين أكثر حشمةً أمام أمام الناس مما لو كُنْتِ في الكنيسة؟ إن كان بَذْلِكِ لذاتِكِ هو نعمة من الله، وقد أخذتها، فيقول بولس الرسول: "إِذَا كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذي؟"^٣ لماذا بافتخاركِ بنفسكِ تحكمين على غيركِ؟^٤ وهل بافتخاركِ هذا تُشجعين الآخرين على الخير؟! كلا، بل حتى أَنْتِ نَفْسُكِ تخاطرين بالخسارة إذا تباهيتِ، بل وتدفعين الآخرين لنفس الهلاك، فما نظن أن نأخذه من الحب المتباهي، فإنه سوف يفسد بسهولة.

عَطَّ رَأْسُكِ أَيْتَهَا الْعِذْرَاءُ، إِنْ كُنْتَ عِذْرَاءَ، لِأَنَّكَ يَجِبُ أَنْ تَسْتَحْيَ. إِنْ كُنْتَ عِذْرَاءَ فَتَجْنِبِي نَظَرَاتِ الْعَيُونِ الْكَثِيرَةِ. لَا تَجْعَلِي أَحَدًا يُعْجَبُ بِوَجْهِكَ، وَلَا تَجْعَلِي

^١ (تك ٣: ١٠، ١١)

^٢ أي لماذا تغطين شعرك في الشارع وتكشفيه في الكنيسة؟

^٣ (١كو ٧: ٤)

^٤ لأنهم سيُعْثِرُونَ بِسَبِيحِكَ.

الصلوة

أحدًا يشعر بزيفك، بل أنتِ تفعلين حسنًا باصطناعك لشخصية المتزوجة، وإذا كنتِ تُغطين رأسك فلن تكوني غاشة، لأنكِ قد تزوجتِ المسيح وسلّمتي جسديك له، فالآن تصرفي وفقًا لنظام زوجك، فإن كان يدعو عرائس غيره للتغطية،^١ فبالطبع يدعو عروسه بالأكثر.

لكن لا ينبغي أن يظن أي فرد^٢ أن النظام الذي سار عليه سلفه يجب أن يسقط، فكثيرون رضخوا وأخضعوا ثبات رأيهم لعرف الآخرين.

حتى لو فرضنا أن العذارى غير مضطرات لتغطية رؤوسهن، فعلى كل حال، مثل هؤلاء اللواتي يتغطين اختياريًا لا يجب أن نمنعهن، اللواتي أيضًا لا يستطعن إنكار أنهن عذارى ويرضين بضمير صالح أن يُفسدن سمعتهن.^٣

لذلك بخصوص المخطوبات، أستطيع بكل تأكيد - أكثر من حجمي الضئيل - أن أصرّح وأثبت أنهن ينبغي أن يغطين رؤوسهن منذ اليوم الذي فيه ارتجفن بمصافحة رجل،^٤ بمجرد أول لمسة. لأن كل شيء فيهن يكون مُهيأً لمرحلة ما قبل الزواج. فستُهن هو سن النضوج، وجسدهن يتأثر بمشاعر هذا السن، والروح تتأثر بالمشاعر، والحياء يتأثر بالمصافحة،^٥ والرجاء يكون فيما سيحدث في المستقبل، والعقل يتأثر بالإرادة.^٦ وكفينا مثال "رفقة"، التي لما تبينت أن هذا هو خطيبها، غطت نفسها بالبرقع، لا لشيء إلا لأجل الزواج ممن عرفت أنه هو خطيبها.^٧

^١ أي النساء المتزوجات.

^٢ ويمكن أن تُترجم (أي رجل كنسي مُعتبر)

^٣ أي بظهورهن أمام الناس وكأنهن متزوجات (وهو تعبير صعب)

^٤ أي خطيبهن.

^٥ حيث جرت العادة في ذلك الزمان أن يُقبل الخطيب خطيبته.

^٦ أي باختيار شريك الحياة.

^٧ (تك ٢٤: ٦٥، ٦٤)

الفصل الثالث والعشرون

السجود

وفي أمر السجود أيضًا تخضع الصلاة لعادات مختلفة من خلال ما يفعله القليل بالامتناع عن السجود في يوم السبت، حيث أن هذا الخلاف بوجه خاص مازالت الكنيسة تفحصه^١ ولكن الرب سوف يُظهر نعمته، سواء بخضوع المخالفين، أو بتراجعهم عن رأيهم بدون هجوم على الآخرين. مع ذلك، فنحن قد تسلمنا بالضبط أنه في يوم قيامة الرب (يوم الأحد) يجب أن نحترس، ليس فقط من السجود، بل من كل وضع أو خدمة مُقلقة، مؤجلين حتى أعمالنا، لئلا نُعطى إبليس مكانًا.^٢ وكذلك أيضًا في فترة الخماسين، الفترة التي تتميز بنفس طقس الفرح.^٣

لكن من هو الذي سيتردد كل يوم أن يطرح نفسه أمام الله، على الأقل في صلاة باكر التي نبدأ بها النهار؟^٤ بل وأكثر من ذلك في أيام الصوم وأيام الاحتراس،^٥ حيث لا نقام أية صلاة بدون السجود وبدون باقي علامات الانسحاق، فنحن في هذه الأيام لسنا فقط نُصلي، بل نطلب الغفران، ونقدم ما يُرضى الرب الهنا.

أما فيما يتعلق بمواعيد الصلاة، فلا يوجد أي شيء مفروض على الإطلاق

^١ وهذا الأمر قد حُسم تمامًا بعد ذلك. حيث صار المتبع هو الامتناع عن الميطانيات أيام السيوت والآحاد طوال السنة، باعتبارها أيام فرح. وهذه الجزئية تؤكد لنا أن كنيسة الأرثوذكسية هي كنيسة تقليد مستلم منذ القرون الأولى للمسيحية. {المترجم}

^٢ (اف: ٤: ٢٧)

^٣ وهو أيضًا الأمر الذي مازال مُتبِعًا.

^٤ من الرائع أيضًا أن هذا هو المتبع الآن في تعليم الكنيسة بالنسبة لميعاد الميطانيات

اليومية. {المترجم}

^٥ أي الأربعاء والجمعة.

الفصل الرابع والعشرون

مكان الصلاة

ولكن كيف نصلي في كل مكان إن كنا ممنوعين من الصلاة أمام الناس؟^٢ إن بولس الرسول يقصد في أي مكان تكون فيه الفرصة أو الضرورة مناسبة، فهذا هو الذي فعله الرسولان،^٣ حيث فعلا ذلك عن عمد، وفي مسمع من المسجونين، حين شرعا في الصلاة والتسبيح لله. ولا يعتبر هذا ضد الوصية، ولا حتى ما فعله بولس^٤ الذي "شكر الله أمام الجميع" في السفينة وفي حضور الكل.

الفصل الخامس والعشرون

أوائ الصلاة

أما فيما يتعلق بأوقات الصلاة، فعلى العموم، إن الالتزام بالصلوات الظاهرة في المواعيد المعينة - أي الساعات العامة التي ترمز لفترات النهار، وهي الثالثة والسادسة والتاسعة - لن يكون بلا نفع، هذه التي قد نجد أنها أكثر تقدسًا في الكتاب المقدس من باقي الأوقات. فأول حلول للروح القدس كان على التلاميذ

^۱ (اف ۶: ۱۸) (اتس ۵: ۱۷) (اتی ۲: ۸)

^۲ (مت ۶: ۵: ۶)

^٣ بولس وسيقلا في (أع ١٦: ٢٥)

$$(30:27\epsilon^f)^{\epsilon}$$

° وهي غير الصلاة الداخلية (صلاة القلب) التي يمكن أن نصليها كل الأوقات، وبها ننفذ وصية الصلاة كل حين، والمقصود بالظاهرة هنا الصلوات المحفوظة، أي الليتورجيات وصلوات السواعي. {المترجم}

المجتمعين في الساعة الثالثة^١، وبطرس في اليوم الذي اختبر فيه رؤية الخليقة المجتمعة والمعروضة في إناءٍ صغيرٍ، كان قد صعد إلى عليّة المنزل لأجل الصلاة في وقت الساعة السادسة^٢، وهو نفس الرسول الذي كان ذاهباً إلى الهيكل مع يوحنا في وقت الساعة التاسعة^٣ حينما شفيّا الأعرج.

ورغم أن الالتزام بهذه الممارسات يُقام ببساطة بدون أية وصيةٍ، إلا أنها تمنح نعمة عظيمة، وهي ترسيخ فرضٍ مُعينٍ، أي لفت الانتباه الإجمالي للصلاة. كما أنها قد تُجبرنا على قُطْع أعمالنا لتأدية هذا الواجب كقانونٍ^٤. ولهذا نقرأ أن دانيال كان يلتزم بقانونه أيضاً،^٥ وهذا كان بالتأكيد طبقاً لنظام اليهود.

وهكذا نحن المديونون للثلاثة "أقانيم"، الأب والابن والروح القدس، يجب علينا على أقل تقدير أن نصلّي ما لا يقل عن ثلاث مرات في اليوم، بالإضافة طبعاً لصلواتنا المنتظمة المقررة بدون أي تنبيه، وقت دخول النهار ووقت دخول الليل.^٦ كما أنه أصبح واجباً على المؤمنين ألا يأكلوا ولا يذهبوا للاستحمام قبل أن يُصلّوا، لأن إنعاش وتغذية الروح يجب أن يكون قبل الجسد. فإن السماويات يجب أن تسبق الأرضيات.

^١ (أع ٢: ١-٢، ٤، ١٤، ١٥)

^٢ (أع ٩: ١٠)

^٣ (أع ١: ٣)

^٤ مثلما يُعطى المرشد قانون صلاة لابنه حتى يعتاد الصلاة. وحتى إن كانت البداية إلزامية، فإن

إقناع الجسد وصية إنجيلية. {المترجم}

^٥ (دا ١٠: ٦)

^٦ ربما يقصد صلاة باكر والنوم {المترجم}

الفصل السادس والعشرون

انصراف الإخوة

لا تدع أي أخ يدخل بيتك ينصرف بدون صلاة، لأن الكتاب المقدس يقول أنك عندما تُلَاقى أخاك، فإنك تُلَاقى الرب إلهك، وبالأخص الغريب،^١ فربما يكون ملاكاً.^٢ لكن عندما تتقابل مع إخوة، فلا تجعل المُنعشات الأرضية^٣ قبل السماوية، حتى لا يُحكَم على إيمانك في الحال، وإلا كيف لك أن تقول بحسب الوصية: "سلام لهذا البيت"^٤ إلا إذا تبادلت السلام مع هؤلاء الموجودين في البيت؟

الفصل السابع والعشرون

إضافة مزمور للصلاة.

أما المجتهدون أكثر في الصلاة، فقد اعتادوا على إضافة الـ "هليلويا"^٥ لصلواتهم، والتي في نهايتها يرد المجتمعون "هليلويا". وبالطبع كل الاجتماعات تكون رائعة، لأنها بتمجيدها وتكريمها لله، تهدف بالإجماع إلى تقديم صلاة مزخرفة كذبيحة مختارة لله.^٦

^١ (تك ١٨) (مت ٢٥: ٤٠، ٣٨)

^٢ (تك ١٨) (عب ١٣: ٢)

^٣ أي الطعام والشراب كواجب ضيافة.

^٤ (لو ١٠: ٥)

^٥ قد يكون معناها المزامير عامة، أو قد يكون يقصد مجموعة معينة من المزامير والتي تتكرر فيها كلمة هليلويا. وربما يقصد الهليلويا الكبيرة، وهم آخر خمس مزامير في سفر المزامير، ومنهم مزامير (١٤٨، ١٤٩، ١٥٠) والتي هي تسبحة الهوس الرابع، وهو ما يؤكد عراقاة الصلوات القبطية.

{المترجم}

^٦ (هو ٢: ١٤)

الفصل الثامن والعشرون

الصلاة هي الذبيحة الروحية.

لأن الصلاة هي الذبيحة الروحية^١ التي أبطلت الذبائح القديمة. يقول الرب: "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مُسمّنت، بدم عجول وخرفانٍ وتيوسٍ ما أُسرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي، مَنْ طلب هذا من أيديكم؟"^٢

هذا إذا ما يطلبه منا الرب في تعاليم الإنجيل: "ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدين الحقيقيين يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روحٌ والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا."^٣

نحن هم الساجدون والكهنة الحقيقيون الذين يُصَلُّون بالروح،^٤ ويقدمون ذبائح روحية - التي هي الصلاة - كذبيحة لائقة ومقبولة أمام الرب، والتي طلبها وتطلع إليها لنفسه بكل تأكيد، ذبيحة مُكرسة من كل القلب، يُغَذِّبها الإيمان، ويرعاها الحق، طاهرة بالكمال، عفيفة نقية، مُكَلَّلة بالمحبة، ويجب أن نُحافظ عليها بكثرة الأعمال الصالحة، ونقدمها ما بين المزامير والألحان إلى مذبج الله، لننال كل شيء نطلبه منه.

^١ (١بط ٢: ٥)

^٢ (أش ١: ١٢)

^٣ (يو ٤: ٢٤)

^٤ (١كو ١٤: ١٥) (أف ٦: ١٨)

الفصل التاسع والعشرون

قوة الصلاة

فهل يرفض الله الصلاة التي تأتيه من الروح والحق، في حين أنه هو الذي يريدنا أن نكون هكذا؟ فكم من مثالٍ لصلواتٍ نقرأها ونسمعها ونؤمن بها لكونها قد اقتدرت في فعلها.

إن صلوات العالم القديم قد حررت بالفعل من النيران،^١ ومن الوحوش،^٢ ومن الجوع،^٣ رغم أنها لم تأخذ شكلها من المسيح،^٤ فكم بالأكثر جدًا تكون الصلاة المسيحية أكثر فاعلية.

إن هذه الصلاة لا توقف ملاك الندى في وسط النيران،^٥ ولا تسد أفواه أسود، ولا تُعطى الجياح خبز الشعير،^٦ ولا تمنح نعمة عدم الإحساس بأي ألم. لكنها تهب الاحتمال اللازم للألم والمشاعر والحزن، وتزيد النعمة بقوة الإيمان الذي يدرك ما ستأله هذه الصلاة من الرب، وتزيد فهمنا لما نعانیه من أجل اسم الله.

لكن في الأيام الغابرة، كانت الصلاة تجلب الأوبئة، وتُفرق جيوش الأعداء، وتمنع الانتفاع بالمطر. أما الآن، فصلاة البر ترفع كل غضب الله، وتطلب الراحة للأعداء، وتتضرع لأجل المضطهدين. فما هو العجب في قدرة الصلاة على انتزاع الأمطار من السماء، وهي التي أنزلت يومًا نيرانها؟^٧

^١ (دا ٣)

^٢ (١٦د)

^٣ (مل ١٨)

^٤ مثل الصلاة الربانية.

^٥ من تنمة دانيال (دا ٣: ٤٩، ٥٠)

^٦ (مل ٢: ٤٢-٤٤)

^٧ (مل ٢: ٢٥، ١٠)

إن الصلاة وحدها هي القادرة على أن تغلب الله،^١ لكن المسيح أراد لها ألا تكون فعالة فقط ضد الشر، بل وهبها كل قدرتها لأجل الخير. لذا فهي لا تعرف شيئاً آخر سوى أن تسترد النفوس التي ذهبت في طريق الموت المؤكد،^٢ وأن تقوى الضعيف، تشفى المريض، تطهر من الأرواح الشريرة، تفتح أبواب السجن،^٣ تفك قيود البريء.^٤

كذلك هي تغسل الخطايا، تصد التجارب، تُنهي الاضطهاد، تُعزى صغيري القلوب، تشجع النشطاء، تحرس المسافرين، تهدئ الأمواج، تلجّم اللصوص، تُغذى الفقير، تحكم الغني، تقيم الساقط، تسند المتهاوي، وتثبت القائم.^٥

إن الصلاة هي سور الإيمان، أسلحتها ونبالها هي ضد العدو الذي يترصد بنا من كل ناحية، فلذا ينبغي لنا ألا نسير بدون سلاح (الصلاة)، ففي النهار ننبتة وفي الليل نسهر، وبأسلحة الصلاة نحرس راية جيشنا ونستعد لسماع صوت بوق الملائكة، وقت الصلاة.^٦

كذلك الملائكة كلهم يصلون، وكل المخلوقات أيضاً، البقر ووحوش البرية، تصلي وتحني ركبها، وعند خروجها من أوجارها وزرائبها، فإنها لا تنتظر إلى السماء بغم صامت، بل تُخرج أصواتها برعشة ريح زفيرها، كلٌ حسب طريقته.^٧ وحتى الطيور أيضاً تنهض من الأعشاش وترتفع نحو السماء، وعوض الأيدي تبسط

^١ (تك ٣٢: ٢٤-٢٨) (مت ١١: ١٢) (لو ١١: ٨) (لو ١٨: ١-٨)

^٢ أي أن الصلاة يمكنها أن ترد الخاطئ عن طريق ضلاله. {المترجم}

^٣ (أع ١٢: ١٠)

^٤ (أع ١٢: ٧)

^٥ راجع طلبية القديس الغريغوري {المترجم}

^٦ (١كو ١٥: ٥٢) (١تس ٤: ١٦)

^٧ أي تصدر أصوات وكأنها تصلي.

الصلاة

أجنتها كصليب، وتقول ما يشبه الصلاة.
فهل يوجد ما يبين أهمية الصلاة أكثر من ذلك؟ فإن الرب نفسه صلّى، وهو
الذي له كل المجد والقدرة إلى دهر الدهور.

المعمودية

للعلامة ترنتيان

مقدمة

كُتِبَ هذا النص في الفترة ما بين عامي ١٩٨م - ٢٠٠م. من الواضح أن الغرض الأساسي من النص هو الدفاع عن ضرورة المعمودية لأجل الخلاص، ردًا على ما أشاعته امرأة مبتدعة اسمها "كونتيللا" بأنه لا يمكن لعقل أن يصدق أن المعمودية التي تتم بالتغطيس في الماء بهذه الطريقة البسيطة، أن تُمنح تجديدًا للطبيعة، وغفرانًا للخطايا، وشركةً مع الروح القدس. وقد نشرت تعاليمها هذا بين بسطاء المدينة، واستقطبت لها أتباع يساعدها في نشر التعليم الخاص بها. مما أثار حفيظة "ترنتليان" وغيرته على الإيمان، فكتب للمسيحيين هذه المقالة، مدافعًا عن الإيمان المستقيم، وفاضًا لخطورة هذا التعليم الذي يهدم أساس من أساسات العقيدة المسيحية.

يتميز النص ببساطة الأسلوب رغم أن ترنتليان كان معروفًا بأسلوبه الذي يميل للفلسفة، كما أنه يطرح أسئلة شائكة عن المعمودية، ويعطي عنها إجابات شافية، سواء من الكتاب المقدس بعهديه، أو من واقع الحياة، بل وحتى من المعتقدات الوثنية نفسها.

يستخدم "ترنتليان" بعض الأمثلة من العهد القديم، والتي كانت ترمز للمعمودية أو ما يتعلق بها، مثل: عبور البحر الأحمر، والطوفان، وحمامة "نوح"، وخروج الماء من الصخرة. كما كان أول من أشار إلى قصة ملاك بيت حسدا المذكورة في العهد الجديد، كرمز للمعمودية.

كذلك أوضح العلامة "ترنتليان" الفرق بين المعمودية يوحنا ومعمودية السيد المسيح، وتطرق لمعمودية الدم، ولمعمودية الهراطقة، وذكر بعض الاستعدادات اللازمة للمعمودية، وأمور أخرى.

يبين النص الكثير من طقوس المعمودية التي كانت موجودة منذ الكنيسة

المعمودية

الأولى، وما زالت موجودة حتى الآن، مثل الحصول على سر الميرور بعد المعمودية، والإشبين الخاص بكل مُعَمَّد، وأمور أخرى كثيرة.

يميل "ترتليان" للرأي القائل بأن الروح القدس يحلّ على مياه المعمودية ليقدها، أما حلول الروح على شخص المُعَمَّد فيتم بسر "الميرور"، وقد أوردنا التعليق على هذا الموضوع بالتفصيل في هوامش النص، وذكرنا رأي الآباء الأوائل في هذا الموضوع.

في هذا النص يؤكد لنا العلامة "ترتليان" أن:

١- المعمودية سرٌّ أساسي لا يمكننا الخلاص بدونه، وسلّمه لنا الرب يسوع معتمدًا بنفسه لكي نفتدي به. "وأما نحن السمك الصغير فننزع مثال سمكتنا (ΙΧΘΥΣ) يسوع المسيح، ونولد في الماء، ولا نجد الأمان في أية طريقةٍ أخرى سوى الدوام باستمرار في الماء." (الفصل الأول)

٢- يعقوب أبو الآباء قد وضع يديه على افرام ومنسى إشارةً للصلب. "حينما بارك يعقوب حفيديه ابني يوسف - افرام ومنسى - وضع يديه عليهما بشكلٍ معكوسٍ، فبالأكيد أن وضعهما فوق بعضهما بهذا الشكل المخالف كتب ما سوف تحدث للمسيح، كان يُنبئ بمنح البركة المستقبلية التي للمسيح" (الفصل الثامن)

٣- قصة الفلك والحمامة رمزًا واضحًا للمعمودية الكنسية. "لأنه كما أن الش
القديم قد تظهر بعد مياه الطوفان (مثلما تظهر العالم بعد المعمودية) وكانت
الحمامة هي المبشر الذي أعلن هدوء الغضب السماوي، حينما أُرسِلت من
الفلك وعادت بغصن الزيتون، فهكذا بنفس القانون السماوي الذي تم على
الأرض (التي هي جسدنا) حينما برزت من المياه بعد خطاياها القديمة، طارت
حمامة الروح القدس محضرة لنا سلام الله، من سكتة من السماوات، حيث أن
الكنيسة هي مثال الفلك." (الفصل الثامن)

٤- عبور البحر الأحمر كان رمزًا للمعمودية. "عندما تحرر الشعب وصار
بلا قيود، وهرب من بطش ملك مصر، بالعبور خلال الماء، وهذا هو نفسه الماء
الذي أهلك الملك وكل قواته، فبالأكيد ما من رمز من رموز المعمودية قد
تحقق بشكل أوضح من ذلك. إن الشعوب تنحصر من العالم بواسطة الماء،
تأمر كين الشيطان (الطاغية القديم) بالنامر، غارقاً في الماء." (الفصل التاسع)

٥- تحويل الماء المر إلى حلو كان هو أيضًا رمزًا للمعمودية. "عندما أُعيد الماء
من المرارة إلى حُسن عذوبته الأصلية بشجرة موسى، فهذه الشجرة كانت
المسيح الذي استعاد لنفسه الينابيع التي كانت ذات طبيعة مرّة ومسمومة في
السابق، إلى مياه صحية تمامًا، والتي هي مياه المعمودية." (الفصل التاسع)

المعمودية

٦- سفينة التلاميذ التي كانت تضربها الأمواج كانت رمزًا للكنيسة. "فذلك السفينة الصغيرة قدّمت صورة للكنيسة المضطربة، في "البس" الذي هو العالم، "بالأمواج" التي هي الاضطهادات والنجارب، والبس صابن كما لو كان نائماً، حتى ينهض في النهاية، عن طريق صلوات القديسين، وينتهر العالم، ويعيد الهدوء الخاصه." (الفصل الثاني عشر)

٧- الإيمان بدون الحصول على المعمودية غير كافٍ للخلاص. "وبالمقارنة لهذا القانون القائل بالتحديد: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" فقد ربط الإيمان بضرورة المعمودية، وبناءً عليه، كل من صار مؤمناً بعد ذلك، إعاد أن يعتمد." (الفصل الثالث عشر)

٨- احترام الرتب الكنسية أمرٌ ضروري. "لأجل كرامة الكنيسة التي إذا حفظت، حفظ السلام." (الفصل السابع عشر)

٩- المعمودية كانت تتم قديماً في عيد القيامة والخمسين. (الفصل التاسع عشر)

١٠- الكنيسة هي أمانا. "وتبسطون أياديكم... في بيت أمكم."

(الفصل العشرون)

المترجم

المعمودية

الفصل الأول

مقدمة عن الغرض من المقالة.

يا لبهجتنا بسرّ الماء المقدس، الذي فيه نتحرر وندخل إلى الحياة الأبدية، بالاغتسال من خطايا ظلمتنا القديمة. إن أية مقالة سنكتب عن هذا الموضوع لن تكون بغير نفع. إنها ستُعلم، ليس فقط هؤلاء المبتدئين حديثاً في الإيمان، بل وأيضاً الذين يكتفون بإيمانٍ سطحيٍّ دون أن يبحثوا في أسباب التقاليد^١ بحثاً كاملاً، ويحملون بسبب الجهل ما يمكن أن يكون إيماناً بغير ثقة. فكانت النتيجة أن أفعى البدعة الشيطانية قد ألّمت مؤخرًا بهذا الحي، وجرفت عددًا ضخمًا بعقيدتها السامة، جاعلة هدفها الأول هو هدم المعمودية.^٢ لكن عمومًا، من الواضح تمامًا وفقًا للطبيعة أن الأفاعي والحيات والباساليق^٣ نفسها ليس لها تأثيرٌ إلا في الأماكن الجافة عديمة المياه.^٤

^١ أي الطقوس وأسرار الكنيسة.

^٢ حيث ظهرت امرأة مبتدعة اسمها "كوينتلا" (Quintilla) من قرطاج، أضلت الكثيرين بتعاليمها عن أن الغسل الجسدي للمياه لا يمكن أن يُطهر النفس ويهب الخلاص - قاصدة هدم المعمودية - فتصدى لها "ترثلان" بهذه المقالة.

^٣ ومفردتها "باسيليسق" (basilisk) وهي أفعى خرافية.

^٤ أي أنها لا تحب أي شيء فيه ماء، ولذلك هي لا تحب المعمودية.

المعمودية

أما نحن السمك الصغير فنبتغ مثال سمكتنا (ΙΧΘΥΣ)^١ يسوع المسيح ونولد من الماء،^٢ ولا نجد الأمان في أية طريقة أخرى سوى الدوام باستمرار في الماء.^٣ لذلك، فإن هذه المخلوقة الفطرية، والتي ليس لها إذن أن تُعلم حتى العقيدة الصحيحة،^٤ قد عرفت جيدًا بالتمام كيف تقتل السمك الصغير، بإخراجه من الماء.

الفصل الثاني

البساطة الشديدة لأسلوب الله في العمل، هي حجر العثرة للعقل المادي.

كم هي شديدة قوة الضلال حتى تزعزع الإيمان هكذا، أو تمنع قبوله تمامًا، حتى أنها تطعن في المبادئ المؤكدة التي يتألف منها الإيمان!

لا يوجد شيء على الإطلاق يجعل عقول الناس أشد قسوة أكثر من بساطة الأعمال المقدسة المنظورة في فعلها،^٥ حينما تُقَارَن بمفعولها الأكبر الموعود به.^٦ فذلك بنفس الوضع، أي بالبساطة الشديدة وبدون بهرجة وبدون أي شيء غير مألوف يمكن ملاحظته في التجهيز، وبدون تكلفة، يغتسل الإنسان أخيرًا في الماء،

^١ (ΙΧΘΥΣ) هي السمكة في اللغة اليونانية، والتي اتخذها المسيحيين الأوائل شعارًا لهم، واستخدموا هذا اللفظ للتعريف على بعضهم، وبالأخص في أوقات الاضطهاد، لأن حروفها هي اختصار لاسم المسيح وصفاته، حيث أن حروفها هي حروف عبارة إيسوس إخرستوس ثيو يوس سوتير (إخثيس)، أي يسوع المسيح ابن الله المخلص (ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΕΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ).

^٢ (يو ٣: ٥)

^٣ مثلما قال الأنبا "أنطونيوس" لأبنائه الرهبان عن الراهب الذي يترك ديرَه لفترة طويلة. {المترجم}

^٤ (متي ٢: ١١، ١٢)

^٥ أي الطريقة البسيطة لممارسة الطقوس، مثل المعمودية، حيث أننا نرى بأعيننا المُعَمَّد وهو يغتسل في جرن الماء.

^٦ أي النعمة غير المنظورة التي نحصل عليها بحصولنا على السر المقدس.

بمصاحبة بعض الكلمات القليلة، ويُغتسل، ثم يصعد ثانية، ليس لأجل أن يكون أكثر نظافة، لكن لحصوله على الأبدية يُعتبر هو النتيجة الغير ممكن تصديقها بالأكثر. وفي المقابل، إن لم تكن الاحتفالات والأسرار الوثنية تَبني سُمعتها ومكانتها على أساس البهجة والإعداد والتكلفة، فاعتبروني شخصاً مُخادعاً.

يا لتعاسة عدم الإيمان الذي ينكر على الله تمامًا ملكيته وبساطته وقوته! فماذا إذا؟ أليس هو أيضًا أمرًا مذهشًا ضرورة التطهير من الموت بالاستحمام؟^١ لكن إذا كانت الدهشة هي سبب عدم الإيمان، فالمفترض بالأولى يكون هذا سببًا أدعى للإيمان، فما هي النوعية التي يجب أن تكون عليها الأعمال الإلهية، إلا أن تكون أعجب من أي أمر عجيب؟ نحن أنفسنا نتعجب أيضًا، لكن ذلك لكوننا نؤمن. أما عدم الإيمان فيتعجب، لكن من الناحية الأخرى لا يؤمن. إنه يتعجب من بساطة الأعمال كما لو كانت باطلّة، ويتعجب من النتائج العظيمة كما لو كانت مستحيلة.^٢

وبافتراض أنها هكذا كما تظنون،^٣ فالتصريح الإلهي يكفي للرد على كل هذه النقاط، والذي سبق فقال: "بل اختار الله جهال العالم ليُخزي الحكماء".^٤ وقال أيضًا: أيضًا: "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله".^٥ فإن كان الله حكيماً ومقتدرًا - الأمر الذي لا ينكره حتى الذين أغفلوه - فهذا سببٌ أدعى لأن يجعل الأغراض المادية التي يستخدمها في عمله ضد العقل والقوة، أي بالجهالة والاستحالة، حيث

^١ حيث أن المعمودية هي ميلادٌ جديدٌ يُخلّص الإنسان من موتٍ قديم (الموت الذي نتج عنه الانفصال عن الله، وفساد الطبيعة).

^٢ المقصود بالنتائج العظيمة هو العمل الخفي للسر المقدس.

^٣ أيها الغير مؤمنين.

^٤ (١كو: ١: ٢٧)

^٥ (لو: ١٨: ٢٧)

أن كل عملٍ صالحٍ^١ يَسْتَلْهُم مبادئه من الأمور التي تسببت في وجوده.^٢

الفصل الثالث

١- لماذا أُختير الماء كوسيلة للعملية الإلهية؟

٢- ظهور المياه أولاً في عملية الخلق.

رغم درايتنا بهذا التصريح^٣ كفرضٍ حتميٍّ، مع ذلك سنبدأ في مناقشة هذا السؤال الذي يقول: "كم هو أمرٌ ساذجٌ ومستحيلٌ أن نولد ثانية عن طريق الماء، وما هو الذي يجعل هذا العنصر المادي يستحق مكانةً بهذه الكرامة العالية؟" أعتقد أننا يجب أن نبحث في أهمية هذه المادة السائلة.

إن أهميتها على كل حالٍ معروفةٌ بشكلٍ كبيرٍ منذ البدء، لأن الماء هو واحد من هذه الأشياء التي كانت خامدة في وضعٍ عديم الشكل قبل أن يُفَرَسَ أثاث العالم،^٤ فيقول الكتاب المقدس: "في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربةً وخاليةً، وعلى وجه الغمر ظلمةٌ، وروح الله يرف على وجه المياه".^٥

إن أول شيءٍ يجب أن نَقْدِرَهُ أيها الإنسان هو عمر المياه، لأنها عنصرٌ قديمٌ

^١ مثل المعمودية.

^٢ أي البساطة الشديدة، والتي هي ضد العقل والقوة من وجهة نظر العقل البشري. {المترجم}

^٣ الذي هو الآيتان السابقتان.

^٤ حيث أنها المادة الوحيدة التي ذُكرت في أول آية في سفر التكوين، ومن الواضح أنها كانت مُستقرة هادئة لأن روح الله كان يرف على وجهها. وكانت تغمر الأرض تمامًا بدون شكلٍ محددٍ من الأشكال التي صارت عليها فيما بعد، كالبهار والأنهار والمحيطات وغيرها. {المترجم}

^٥ (تك: ١، ٢)

جداً. وثانياً: كرامتها، لأنها كانت عرش الروح القدس،^١ والمادة المرضية له أكثر من كل العناصر الأخرى الموجودة آنذاك. ففي الوقت الذي كان فيه الظلام كاملاً لأقصى درجة، بلا منظرٍ، وبدون زينة النجوم، وكان الغمر مظلماً والأرض خربةً والسماء خاليةً، كانت المياه كاملةً دائماً، مبهجةً، وعنصرًا ماديًا بسيطًا ونقيًا بطبيعته، قدّم الله مركبةً تليق به.^٢

وماذا عن حقيقة أن المياه كانت بطريقة ما هي القوة المنظمة التي نظم الله بها العالم منذ ذلك الوقت وحتى الآن؟^٣ حتى أن الله قد علّق جلد السماء^٤ في المنتصف عن طريق تقسيم المياه،^٥ وأتم ظهور اليابسة بفصل المياه.^٦ وبعد أن تم تنظيم عناصر العالم في ذاك الوقت، وأعطى العالم لمن يسكنه، كانت المياه هي أول من تلقى أمرًا: "لتفيض المياه زحافات ذات نفس حية"،^٧ وكان الماء أول من قدّم قدّم كائنًا حيًا. لذلك، ليس هو أمرًا عجيبيًا أن تعرف المياه كيف تعطي حياة في المعمودية.^٨

ثم، ألم تتم عملية خلق الإنسان نفسه بمساعدة المياه؟ فالمادة المناسبة الموجودة على الأرض لم تكن صالحة لتأدية الغرض لو لم تكن قد صارت مبلّلة ورطبة. فقبل أن تتفصل المياه إلى أماكنها في اليوم الرابع، كانت قد لَبِنَت الأرض

^١ (تك ١: ٢)

^٢ حيث كان يرف عليها الروح القدس وكأنه اختارها موضع لراحته.

^٣ كالمطر والمد والجزر والفيضان والتلج والضباب وغيرها. {المترجم}

^٤ الفلك.

^٥ (تك ١: ٦-٨)

^٦ (تك ١: ٩)

^٧ (تك ١: ٢٠)

^٨ تأمل في منتهى الروعة.

إلى قوام طيني^١ بما تبقى بها من رطوبة.

إذا بدأت من الآن، واستمرت في سرد دلائل أهمية هذه المادة عمومًا بأكثر استفاضة، والتي يمكنني أن أقدمها لأبيّن كم هي عظيمة في قوتها وفضلها، وكم من آلاتٍ بارعةٍ ووظائفٍ ووسائلٍ مفيدةٍ قدمتها للعالم، فإنني أخشى أن أبدو وكأنني قد جمعت مزاياء الماء، أكثر من كلامي عن أسباب المعمودية.^٢ رغم أنه يتوجب عليّ أن أعلم كل شيءٍ عن ذلك بأكثر تدقيقًا، فإنه لا يوجد شك في أن الله قد جعل العنصر المادي الذي أعده من بين مخلوقاته وأعماله من أولها لآخرها، يطبعه أيضًا في السرّ المقدس الخاص به، حتى يكون العنصر المادي الذي يؤثّر في الحياة الأرضية، هو أيضًا وكيلاً لما في السماء.^٣

الفصل الرابع

١- الرقفة الأولى لروح الله على المياه كانت رمزًا للمعمودية.

٢- المادة المائية عمومًا صنعت قناةً للتقديس.

٣- التشابه ما بين الرموز الخارجية والنعمة الداخلية.

مبدئيًا، يكفي ما قيل عن النقاط التي بها نفهم المنشأ الأساسي للمعمودية، والتي يُفترض أنها كانت حتى ذلك الحين إشارةً مسبقةً إلى المعمودية بشكلٍ ملحوظ، وهو أن روح الله الذي كان يرف على وجه المياه منذ البدء، سوف يستمر مقيمًا فوق مياه المعمودية. بالتأكيد الشيء المقدس يرف على ما هو مقدس، والمزفرف عليه يأخذ القداسة من المزفرف أيضًا. ففي جميع الأحوال، لابد أن

^١ راجع قصة المولود أعمى (يو ٩: ١-٤١). {المترجم}

^٢ أي الغرض الأساسي من المقالة.

^٣ حيث صارت المياه أيضًا وسيطًا للنعمة السماوية. {المترجم}

تحصل المادة السفلية على صفة الشيء المُطل عليها، وفي معظم يتكيف الشيء المادي على ما هو روحي بسبب رقة طبيعة الروحي، التي بسببها يَخترق ويتسلل. فطبيعة المياه تُقدّس بالقدوس، وتحمل بذلك صورة التقديس في ذاتها.

لا تتركوا أحدًا يقول: "إن كان الأمر هكذا، فهل نحن نصلي ونعتمد بنفس المياه التي كانت موجودة منذ البدء؟" بالطبع ليس بتلك المياه عينها، لكنها بالتأكيد من نفس النوع، بالرغم من تعدد أشكال المياه. فإن ما يخص النوع سيظهر بالمثل في الأشكال المختلفة منه، وبالتالي ليس هناك فرقًا إن كان الإنسان يعتمد في بحرٍ أو بحيرة، في نهرٍ أو نبع، في بركة أو في حوض، ولا يوجد أي تمايز بين من عمّدهم "يوحنا" (المعمدان) في نهر الأردن،^١ ومن عمّدهم "بطرس" (الرسول) في بحيرة طبرية،^٢ إلا إذا كان أيضًا الخصي الذي عمده فيلبس^٣ في الماء الذي صادفهما - في وسط رحلاته - قد نال خلاصًا أكثر أو أقل من الآخرين! إذًا، بالنظر إلى ميزة قَدَم أصل المياه، فإن كل أشكالها، بعد التضرع إلى الله، تُقدّس،^٤ وتحصل على قوة التقديس المقدسة. لأن الروح يأتي في الحال من السماء، ويستقر على المياه ويُقدّسها بنفسه. وهكذا بمجرد تقديسها، تتشرب قوة التقديس في الحال.

ولو قلنا إنه من المفترض أن يكون التشابه متناسب مع بساطة العمل، فيما أننا قد تدنسنا بالخطايا، كما لو كانت أقدار، فيجب علينا أن نتطهر من هذه البقع بالمياه. لكن بما أن الخطايا لا تظهر في الجسد - نظرًا لأنه لا يوجد أحدٌ تظهر على جلده بقعةً من الوثنية أو من الزنا أو من الغش - فهذا النوع من الأشخاص هو

^١ (مت ٣: ٦)

^٢ (يو ١: ٢٤) من المفترض أن يكون هذا هو المكان الذي كان يعمد فيه التلاميذ الشعب. {المرّجم}

^٣ (أع ٨: ٢٦-٤٠)

^٤ أي بتلاوة صلوات السر المقدس على يد الكاهن.

المعمودية

نجس بالروح التي هي منبع الخطية،^١ لأن الروح هي السيد، والجسد هو العبد. ومع ذلك، فكلاهما قد اتفق على الاشتراك في الخطأ. الروح بالقيادة، والجسد بالتبعية. ولذلك، بعد أن تحصل المياه على نوع ما من القوة العلاجية- في وجود الملاك- تُغسل الروح بالجسد في المياه، ويتطهر الجسد روحياً بالمِثْل

الفصل الخامس

١- استخدام الوثنيين للماء.

٢- ملاك^٢ بركة بيت حسدا.^٣

لكن هناك من يقول: "حسناً، لكن الأمم، الذين هم بعيدون تماماً عن فهم القوى الروحية، ينسبون لأوثانهم الصبغة بالماء،^٤ والتي لها نفس تأثير المعمودية!" إنهم يخدعون أنفسهم بمياه عقيمة،^٥ لأن الغسل هو القناة التي من خلالها قدموا للمجتمع بعض طقوسهم المقدسة سيئة السمعة عن "إيزيس"،^٦ أو "مِثرا".^٧ إن الآلهة نفسها تفتخر بالاغتسال، بل أكثر من ذلك أنهم يُطهرون البيوت الريفية والمنازل والمعابد وكل المدن، بحَمَل الماء ورَشُّه في كل مكان. على كل

^١ يقصد القلب والفكر.

^٢ وقد كان "ترتليان" أول من استخدم هذه القصة كتشبيه للمعمودية، ثم تبعه بعد ذلك "ق".

غريغوريوس النزينزي، و"ق. امبروسيوس"، و"ق. يوحنا ذهبي الفم"، و"ق. ديديموس الضريع".

{المترجم}

^٣ بعض الترجمات تسميها بركة بيت صيدا.

^٤ أي المعمودية، حيث أن كلمة Baptist معناها الصابغ، وفي القبطية

{المترجم} (ΒΑΠΤΙΣΤΗΣ).

^٥ تفقد لوجود الروح القدس وما يعطيه من نعمة.

^٦ إلهة مصرية قصتها حدثت عند مياه نهر النيل. {المترجم}

^٧ إله الشمس عند الفرس. {المترجم}

حال، فإن الوثنيين يعتمدون في الألعاب "الأبولونية"^١ و"البيلوزية"،^٢ ويزعمون أن ذلك يجدهم، ويعفو عن العقوبات التي يستحقونها عن كل يمينٍ كاذبٍ.

وأيضًا كانت العادة بين القدماء أن يذهب كل من لوث نفسه بجريمة قتلٍ، طالبًا مياه التطهير. فإن كانت طبيعة الماء أنه مادة مناسبة للتطهير، حتى أنه يدفع الناس للاقتناع بإيمانٍ بأن الاغتسال به هو فالٌ للتطهير، فكم بالأحرى يقدم الماء هذه الخدمة بسلطان الله الذي صنع طبيعته! وإذا كان الناس يعتقدون أن الماء قد وهب قوةً شافيةً بطريقةٍ دينيةٍ، فهل هناك دينٌ أكثر فاعليةً من دين الله الحي؟

إن الحقيقة المُسلم بها هي أننا ندرك غيرة الشيطان لمنافسة ما يخص الله، وذلك عندما نجده يمارس المعمودية في أعماله أيضًا. فهل هناك أي وجه شبه؟ هل النجس يُطهر؟! هل المُهلك يحزّر؟! هل المُدان يُعطي الحل؟! إنه بالتأكيد سوف يدمر عمله إذا محى الخطايا التي سبق وأغرى الناس بها بنفسه!

لقد سجّلت هذه الملاحظات لأجل البرهان ضد من يرفض الإيمان، لأنهم إن لم يقفوا بالأمور الإلهية، فسوف يقفون بالتشابهات المزيفة لمُنافس الله.

هناك حالاتٌ أخرى أيضًا تصنع فيها الأرواح النجسة بدون تقدّيس، ما صنعه روح الله في بداية التكوين بتشابه زائفٍ. أنا شاهدٌ على كل الينابيع المشبوهة، والجداول غير المعروفة، وأحواض الحمامات، والقنوات الموجودة في المنازل الخاصة، والصهاريج والآبار، هذه التي لها خاصية "الاختطاف الروحي" بقوة الأرواح الخبيثة. فإن الرجال الذين أغرقتهم المياه، أو أصابهم الجنون أو الخوف، يسمونهم "الممسوسين".^٣

^١ الخاصة بالإله "أبولون".

^٢ نسبة إلى الإله "عوليس" Eleusis وهو معبود أثينا القديمة.

^٣ أي الذين مستهم جنيةٌ مسحورة، أو عروس البحر، مثلما يقول البسطاء (مخاوى جنية تحت الأرض)، وكلها خرافات وليست إلا مسّ شيطاني. {المترجم}

المعمودية

لماذا نورد هذه الأمثلة؟ لكي لا يظن أحد أنه أمر يصعب تصديقه إثبات أن ملاك الله المقدس قد حضر عند المياه، وحركها لأجل خلاص الإنسان، في حين أن ملاك الشر يملك الكثير من الأعمال النجسة التي تُصنع بنفس المادة لأجل هلاك الإنسان.

وإن كانت تبدو كبدعة أن يحضر ملاكٌ عند المياه، فإن هناك مثلاً لذلك سبق أن حدث، حيث كان هناك ملاكاً معتاداً أن ينزل ويحرك مياه البركة الموجودة في بيت حسدا،^١ وهؤلاء الذين كانوا يعانون من أمراض صحية قد اعتادوا أن يراقبوه، حتى كان أول شخص ينزل إلى المياه، لا يُعدّ يشكو من المرض. وهذا الشكل من الشفاء الجسدي كان نبوة عن الشفاء الروحي. فبحسب القاعدة، الأمور الجسدية ترمز مسبقاً إلى الأمور الروحية.^٢

وهكذا، فحينما ارتقت نعمة الله إلى أعلى المستويات بين الناس،^٣ ارتقى الروح بكفاءة كلي من الماء والملاك.^٤ فاللذان اعتادا أن يُعالجا عيوب الجسد، الآن يشفيان الروح. اللذان اعتادا على عمل خلاصٍ زمني، الآن يُجددان للأبد. اللذان حررا من المرض مرة واحدة في السنة،^٥ الآن يُخلصان الشعوب يومياً. لقد بطل الموت بالتطهير من الخطايا. فبمحو الذنب، تُمحي العقوبة بالتأكيد.

^١ (يو ٥: ١-٩)

^٢ (١كو ١٥: ٤٦)

^٣ (يو ١: ١٦، ١٧) "نعمة فوق نعمة".

^٤ حيث صار للماء قدرة على شفاء الروح بعمل الروح القدس نفسه عوضاً عن الملاك. {المترجم}
^٥ رغم عدم ذكر ميعدا ثابت لتحريك الماء بواسطة الملاك في الكتاب المقدس، إلا أن بعض الآباء قالوا إنه كان يأتي ثلاث مرات في السنة، أي في الأعياد اليهودية الكبرى. والبعض الآخر كان يرى أنه يأتي مرة واحدة في السنة، مثل "ترتليان"، و "ق. امبروسيوس"، و "ق. ديديموس" الضرير. {المترجم}.

لذلك سيعود الإنسان إلى مثال الله،^١ لأنه كان يُطابق صورة الله في البدء - يُطابق صورته من جهة الصفات، ومثاله من جهة الأبدية - لأنه سوف يحصل ثانيةً على روح الله الذي أعطي له سابقاً،^٢ ثم فقده الإنسان بسبب الخطية.^٣

الفصل السادس

١ - الملاك كان ينذر بما سيعمله الروح القدس فيما بعد.

٢ - المعنى الذي يحتويه طقس المعمودية.

ونحن لا نحصل على الروح القدس داخل المياه،^٤ لكننا داخل المياه نتطهر

^١ (تك ١: ٢٦)

^٢ وهو هنا يخلط بين نسمة الحياة التي منحت الإنسان الحياة (تك ٢: ٧)، وشركة الروح القدس التي لم نحصل عليها إلا في العهد الجديد. {المترجم}

^٣ أي سيحصل على النقاوة التي لروح الله، والتي فقدها الإنسان بمخالفته للوصية.

^٤ لقد أثار اللاهوتيون على مر العصور هذا التساؤل، هل الروح القدس في حلوله في المعمودية يحل على المياه ليقدسها ويهيئ قلب المُعمَّد لاستقبال الروح القدس دون أن يحل فيه، أم أنه يحل في سرّ الميرورن تكميلاً لسكنى الروح القدس في الإنسان، بعد أن مُنح له قبلاً في المعمودية؟ ويؤكد اللاهوتيون في الشرق والغرب أن وضع إجابة محددة لمثل هذا التساؤل لهو أمرٌ صعبٌ للغاية، لأن الكتاب المقدس وأقوال الآباء قد جاء فيهما الحديث عن المعمودية بشكلٍ غالباً ما يعني المعنى الشامل، والذي يضم وضع الأيدي (الذي أصبح لاحقاً هو المسح بزيت الميرورن). وهناك نصوص إنجيلية نرى فيها تمييزاً واضحاً بين العماد باسم الرب يسوع، وحلول الروح القدس بوضع اليد (أع ١٤-١٧) (أع ١٩: ٦)، وهذا ما يؤكدُه "ق. أوغسطينوس"، حيث يرى أن المعمودية تهيئنا لسكنى الروح فينا. ويرى "باسيوس" أسقف برشلونة (القرن الرابع)، و"ملشيداس" أسقف روما (القرن الرابع)، أن المعمودية هي غسيل للخطايا، والميرورن هو انسكاب للروح القدس في الإنسان.

بينما يرى بعض اللاهوتيين أن المُعمَّد، بنزوله لمياه المعمودية، يتقبل الدفن مع المسيح، فيخلع الإنسان العتيق. وفي صعوده يتقبل قوة القيامة والحياة الجديدة، فينتهي المُعمَّد لقبول الروح القدس. (حيث يقول "ق. يوحنا ذهبي الفم" أن الروح القدس يحل على ماء المعمودية ليمنحه قوة الدفن =

المعمودية

ونتهياً للروح القدس، في وجود الملاك^١ كشاهد^٢. وقد كان "يوحنا" السابق للرب، والمُعِد لطرقه،^٣ هو المثال لذلك. وهكذا أيضاً الملاك، الشاهد على المعمودية، يجعل السبيل مستقيمة^٤ للروح القدس، الذي هو على وشك الحلول علينا،^٥ بالتطهير من الخطايا. وهو الأمر الذي نحصل عليه بالإيمان المختوم باسم الآب والابن والروح القدس.

والقيامة والاتحاد بالمسيح، لكن حلول الروح القدس للاتحاد بشخص المُعَمَّد يكمل بسرّ الميرون، الذي يُسمَّى أيضاً (سر التثبيت، وسر موهبة الروح القدس) أي أن حلول الروح القدس يكون قاصراً على المياه لا على السُّكنى في المعمد، إنما يعمل فيه ويهيئه لسكنائه الدائم. ويؤكدون نظريتهم هذه من نزول الروح القدس على السيد المسيح في شكل حمامة بعد المعمودية مباشرة وليس أثناءها، ومن عمل التلاميذ أيضاً فيما بعد.

وهناك من يرى أن الروح القدس يحل أيضاً على المُعَمَّد أثناء المعمودية، مثل "أوريغانوس"، "ق. أثاناسيوس"، "ق. كيرلس الأورشليمي"، "مار يعقوب السروجي". حيث يرون أن عطية قبول الروح القدس تتم في المعمودية أيضاً، ويؤكدون هذا بدلائل كتابية تبين قبول عطية الروح القدس في سر المعمودية، ومنها قول بطرس الرسول: "توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٨)، وأيضاً قول بولس الرسول: "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا... وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (كو ١٢: ١٣). وأما "ترتليان"، "ق. كبريانوس"، "ق. أوغسطينوس" فيرون أن الروح القدس يحل على المُعَمَّد بعد الخروج من جرن المعمودية. راجع كتاب (الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر) للقصص "تادرس يعقوب ملطي". {المترجم}

^١ يقصد ملاك السر الذي هو خادم للسر، كممثل الكاهن الذي يصلي أثناء حلول الروح القدس، وليس كمُقَدِّس للمياه. {المترجم}.

^٢ (جا ٥: ٦)

^٣ (لو ١: ٧٦)

^٤ (أش ١١: ٣)، (مت ٣: ٣)

^٥ بعد الخروج من جرن المعمودية ونوال مسحة الميرون.

حال، فإن الوثنيين يعتمدون في الألعاب "الأبولونية"^١ و"البيلوزية"^٢، ويزعمون أن ذلك يجددهم، ويعفو عن العقوبات التي يستحقونها عن كل يمينٍ كاذبٍ.

وأيضًا كانت العادة بين القدماء أن يذهب كل من لوث نفسه بجريمة قتلٍ، طالبًا مياه التطهير. فإن كانت طبيعة الماء أنه مادة مناسبة للتطهير، حتى أنه يدفع الناس للاقتناع بإيمانٍ بأن الاغتسال به هو فالٌ للتطهير، فكم بالأحرى يقدم الماء هذه الخدمة بسلطان الله الذي صنع طبيعته! وإذا كان الناس يعتقدون أن الماء قد وهب قوةً شافيةً بطريقةً دينيةً، فهل هناك دينٌ أكثر فاعليةً من دين الله الحي؟

إن الحقيقة المُسلم بها هي أننا ندرك غير الشيطان لمنافسة ما يخص الله، وذلك عندما نجده يمارس المعمودية في أعماله أيضًا. فهل هناك أي وجه شبه؟ هل النجس يُطهر؟! هل المُهلك يحزّر؟! هل المُدان يُعطي الحل؟! إنه بالتأكيد سوف يدمر عمله إذا محى الخطايا التي سبق وأغرى الناس بها بنفسه!

لقد سجّلت هذه الملاحظات لأجل البرهان ضد من يرفض الإيمان، لأنهم إن لم يتقوا بالأمور الإلهية، فسوف يتقون بالتشابهات المزيفة لمُنافس الله.

هناك حالاتٌ أخرى أيضًا تُصنع فيها الأرواح النجسة بدون تقدّيس، ما صنعه روح الله في بداية التكوين بتشابهٍ زائفٍ. أنا شاهدٌ على كل الينابيع المشبوهة، والجداول غير المعروفة، وأحواض الحمامات، والقنوات الموجودة في المنازل الخاصة، والصهاريج والآبار، هذه التي لها خاصية "الاختطاف الروحي" بقوة الأرواح الخبيثة. فإن الرجال الذين أغرقتهم المياه، أو أصابهم الجنون أو الخوف، يسمونهم "الممسوسين".^٣

^١ الخاصة بالإله "أبولون".

^٢ نسبة إلى الإله "عوليس" Eleusis وهو معبود أثينا القديمة.

^٣ أي الذين مستهم جنّة مسحورة، أو عروس البحر، مثلما يقول البسطاء (مخاوى جنية تحت الأرض)، وكلها خرافات وليست إلا مَس شيطاني. {المترجم}

المعمودية

لماذا نورد هذه الأمثلة؟ لكي لا يظن أحد أنه أمر يصعب تصديقه إثبات أن ملاك الله المقدس قد حضر عند المياه، وحركها لأجل خلاص الإنسان، في حين أن ملاك الشر يملك الكثير من الأعمال النجسة التي تُصنع بنفس المادة لأجل هلاك الإنسان.

وإن كانت تبدو كبدعة أن يحضر ملاكٌ عند المياه، فإن هناك مثلاً لذلك سبق أن حدث، حيث كان هناك ملاكاً معتاداً أن ينزل ويحرك مياه البركة الموجودة في بيت حسدا،^١ وهؤلاء الذين كانوا يعانون من أمراض صحية قد اعتادوا أن يراقبوه، حتى كان أول شخص ينزل إلى المياه، لا يُعَدُّ يشكو من المرض. وهذا الشكل من الشفاء الجسدي كان نبوة عن الشفاء الروحي. فبحسب القاعدة، الأمور الجسدية ترمز مسبقاً إلى الأمور الروحية.^٢

وهكذا، فحينما ارتقت نعمة الله إلى أعلى المستويات بين الناس،^٣ ارتقى الروح بكفاءة كل من الماء والملاك.^٤ فاللذان اعتادا أن يُعالجا عيوب الجسد، الآن يشفيان الروح. اللذان اعتادا على عمل خلاصٍ زمني، الآن يُجددان للأبد. اللذان حررا من المرض مرة واحدة في السنة،^٥ الآن يُخلَّصان الشعوب يومياً. لقد بطل الموت بالتطهير من الخطايا. فبمحو الذنب، تُمحي العقوبة بالتأكيد.

^١ (يو ٥: ١-٩)

^٢ (١كو ١٥: ٤٦)

^٣ (يو ١٦: ١٧) "نعمة فوق نعمة".

^٤ حيث صار للماء قدرة على شفاء الروح بعمل الروح القدس نفسه عوضاً عن الملاك. {المترجم}

^٥ رغم عدم ذكر ميعاد ثابت لتحريك الماء بواسطة الملاك في الكتاب المقدس، إلا أن بعض الآباء قالوا إنه كان يأتي ثلاث مرات في السنة، أي في الأعياد اليهودية الكبرى. والبعض الآخر كان يرى أنه يأتي مرة واحدة في السنة، مثل "ترتليان"، و "ق. امبروسيوس"، و "ق. ديديموس" الضرير. {المترجم}

لذلك سيعود الإنسان إلى مثال الله،^١ لأنه كان يُطابق صورة الله في البدء - يُطابق صورته من جهة الصفات، ومثاله من جهة الأبدية - لأنه سوف يحصل ثانيةً على روح الله الذي أعطي له سابقاً،^٢ ثم فقده الإنسان بسبب الخطية.^٣

الفصل السادس

١ - الملاك كان ينذر بما سيعمله الروح القدس فيما بعد.

٢ - المعنى الذي يحتويه طقس المعمودية.

ونحن لا نحصل على الروح القدس داخل المياه،^٤ لكننا داخل المياه نتطهر

^١ (تك ١: ٢٦)

^٢ وهو هنا يخلط بين نسمة الحياة التي منحت الإنسان الحياة (تك ٢: ٧)، وشركة الروح القدس التي لم نحصل عليها إلا في العهد الجديد. {المترجم}

^٣ أي سيحصل على النقاوة التي لروح الله، والتي فقدتها الإنسان بمخالفته للوصية.

^٤ لقد أثار اللاهوتيون على مر العصور هذا التساؤل، هل الروح القدس في حوله في المعمودية يحل على المياه ليقدسها ويهيئ قلب المُعمد لاستقبال الروح القدس دون أن يحل فيه، أم أنه يحل في سر الميرور تكميلاً لسكنى الروح القدس في الإنسان، بعد أن مُنح له قبلاً في المعمودية؟ ويؤكد اللاهوتيون في الشرق والغرب أن وضع إجابة محددة لمثل هذا التساؤل لهو أمرٌ صعبٌ للغاية، لأن الكتاب المقدس وأقوال الآباء قد جاء فيهما الحديث عن المعمودية بشكلٍ غالباً ما يعني المعنى الشامل، والذي يضم وضع الأيدي (الذي أصبح لاحقاً هو المسح بزيت الميرور). وهناك نصوص إنجيلية نرى فيها تمييزاً واضحاً بين العماد باسم الرب يسوع، وحلول الروح القدس بوضع اليد (أع ١٤-١٧) (أع ١٩: ٦)، وهذا ما يؤكد "ق. أوغسطينوس"، حيث يرى أن المعمودية تهيئنا لسكنى الروح فينا. ويرى "باسيوس" أسقف برشونة (القرن الرابع)، و"ملشيداس" أسقف روما (القرن الرابع)، أن المعمودية هي غسيل للخطايا، والميرور هو انسكاب للروح القدس في الإنسان.

بينما يرى بعض اللاهوتيين أن المُعمد، بنزوله لمياه المعمودية، يتقبل الدفن مع المسيح، فيخلع الإنسان العتيق. وفي صعوده يتقبل قوة القيامة والحياة الجديدة، فيتهيأ المُعمد لقبول الروح القدس. (حيث يقول "ق. يوحنا ذهبي الفم" أن الروح القدس يحل على ماء المعمودية ليمنحه قوة الدفن=

المعمودية

ونتهياً للروح القدس، في وجود الملاك^١ كشاهد^٢. وقد كان "يوحنا" السابق للرب، والمُعِد لطرقه^٣ هو المثال لذلك. وهكذا أيضاً الملاك، الشاهد على المعمودية، يجعل السُّبُل مستقيمة^٤ للروح القدس، الذي هو على وشك الحلول علينا،^٥ بالتطهير من الخطايا. وهو الأمر الذي نحصل عليه بالإيمان المختوم باسم الآب والابن والروح القدس.

والقيامة والاتحاد بالمسيح، لكن حلول الروح القدس للاتحاد بشخص المُعَمَّد يكمل بسر الميرون، الذي يُسمَّى أيضاً (سر التثبيت، وسر موهبة الروح القدس) أي أن حلول الروح القدس يكون قاصراً على المياه لا على السكنى في المعمد، إنما يعمل فيه وبهيئته لسكناء الدائم. ويؤكدون نظريتهم هذه من نزول الروح القدس على السيد المسيح في شكل حمامة بعد المعمودية مباشرة وليس أثناءها، ومن عمل التلاميذ أيضاً فيما بعد.

وهناك من يرى أن الروح القدس يحل أيضاً على المُعَمَّد أثناء المعمودية، مثل "أوريغانوس"، "ق. أثناسيوس"، "ق. كيرلس الأورشليمي"، "مار يعقوب السروجي". حيث يرون أن عطية قبول الروح القدس تتم في المعمودية أيضاً، ويؤكدون هذا بدلائل كتابية تبين قبول عطية الروح القدس في سر المعمودية، ومنها قول بطرس الرسول: "توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٨)، وأيضاً قول بولس الرسول: "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً" (١كو ١٢: ١٣). وأما "ترتليان"، "ق. كبريانوس"، "ق. أوغسطينوس" فيرون أن الروح القدس يحل على المُعَمَّد بعد الخروج من جرن المعمودية. راجع

كتاب (الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر) للقمص "تادرس يعقوب ملطي". {المترجم}

^١ يقصد ملاك السر الذي هو خادم للسر، كممثل الكاهن الذي يصلي أثناء حلول الروح القدس، وليس كمُقَدِّس للمياه. {المترجم}.

^٢ (جا ٥: ٦)

^٣ (لو ١: ٧٦)

^٤ (أش ١١: ٣)، (مت ٣: ٣)

^٥ بعد الخروج من جرن المعمودية ونوال مسحة الميرون.

لأنه إن كان "على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة"،^١ حيث أننا بنوال البركة نحصل على شهادة الثلاثة^٢ على إيماننا، والذين هم الضامنون أيضًا لخلصنا، فكم بالحري تكون شهادة الثلاثة "أقانيم" الإلهية كافية كذلك لضمان رجائنا.

ثم بعد التعهد وإقرار الإيمان، وبعد الوعد بالخلاص بواسطة الثلاثة شهود، لابد من ذكر شيء مهم، ألا وهو الكنيسة. فحيثما اجتمع ثلاثة توجد الكنيسة، لأن الكنيسة هي اجتماعٌ لثلاثة.^٣

الفصل السابع

المسحة

وبعد هذا - أي بعد الخروج من جرن المعمودية - نُدهن بالكلية بمسحة مباركة،^٤ وهذه الممارسة مأخوذة من طقسٍ قديم، حيث كانت العادة أن يُمسح الرجال المقبولون على الكهنوت بزيتٍ من قرن، منذ أن مسح موسى هارون.^٥ لذلك دُعي هارون "الممسوح"^٦ من تعبير "المسح بالزيت المقدس"، أي "المسحة" التي حينما تمت بالروح، قدّمت اسمًا يليق بالرب. لأنه مُسح من الآب بالروح، كما هو

^١ (٢كو ١٣: ١)، (مت ١٨: ٦)، (تث ١٩: ٥)

^٢ أي الأقانيم الثلاثة.

^٣ (مت ١٨: ٢٠) وربما كان يقصد اجتماع ثلاثة باسم الله، الكاهن والمُعَمِّد والإشبين، لأجل إتمام سر المعمودية، والوعد الإلهي أن الله سيكون في وسطهم. {المترجم}

^٤ أي نعال سر الميرون الذي هو سر حلول الروح القدس، حيث يُدهن جسد المُعَمِّد في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بـ ٣٦ رشمة لتقديس الجسد كله. {المترجم}

^٥ (خر ٣٠: ٣٠)، (لا ١٢: ٨)، (مز ١٣٣: ٢)

^٦ أو مسيح، ومنها أُطْلِق على المخلص لقب "المسيح"

المعمودية

مكتوب في سفر أعمال الرسل: "لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته... أمم وشعوب إسرائيل".^١

بالنسبة لنا تكون المسحة جسدية، لكن المنفعة روحية.^٢ وبهذه الطريقة نفسها تتم المعمودية، حيث تكون الطريقة جسدية بالغطس في الماء، لكن الفاعلية تكون روحية، لأننا بها نتحرر من الخطايا.

الفصل الثامن

١ - وضع اليد.

٢ - الطوفان والحمامة.

ثم توضع اليد علينا لمنح البركة، ولاستحضار ودعوة الروح القدس. فهل الله لا يستطيع أن يصنع تعديلاً روحياً سامياً لمن خلقه، بواسطة أيادي طاهرة،^٣ بينما تستطيع مهارة البشر أن تستدعي إنساناً إلى الماء، وتضع اليد فوقه لأجل تحفيز اتحاداه هو والماء مع روح آخر نقى بلا عيب،^٤ ليصبحوا كياناً واحداً؟^٥

^١ (١٠: ٣٨ع)، (٤: ٢٧ع).

^٢ يقول "ق. غريغوريوس النزينزي": "لأننا مخلوقون من جسدٍ ونفسٍ، الأول منظورٍ والثاني غير منظورٍ. فهكذا جاء الغسيل في المعمودية أيضاً بعملٍ منظورٍ وعملٍ غير منظورٍ، بالماء والروح. فعمل الماء يستقبله الجسد بحسب المنظور، وعمل الروح يشترك معه بطريقةٍ غير منظورة بعيداً عن الجسد". {المترجم}

^٣ (١ تي ٢: ٨) وهو يقصد هنا أيادي الكهنة والأساقفة الموكّلين بإتمام السر. {المترجم}

^٤ أي الروح القدس.

^٥ حيث يحيا الإنسان بشركة الروح القدس، وبركة التجديد الذي حصل عليه بماء المعمودية. {المترجم}

^٦ وهو هنا يريد أن يقول إن صانع السر هو الله، رغم أنه يتم بأيادي بشرية. {المترجم}

لكن هذا الأمر كالمثال السابق،^١ مأخوذٌ من الطقس المقدس القديم، حينما بارك يعقوب حفيديه ابني يوسف - "إفرايم" و"منسى"^٢ - بوضع يديه عليهما بشكلٍ معكوسٍ. وبالتأكيد وضعهما فوق بعضهما بهذا الشكل المخالف كشبه ما سيحدث للمسيح، كان يُنبيء بمنح البركة المستقبلية التي للمسيح.

ثم ينزل الروح القدس بإرادته من عند الآب، ليحل فوق مياه المعمودية على أجسادنا المغسولة والمباركة، مدركًا أنها عرشه القديم، ويستقر عليها. وهو الذي نزل على الرب "مثل حمامة"^٣ كي يعلن عن طبيعة الروح القدس في صورة هذا المخلوق البسيط البريء، الذي هو بسيطٌ حتى في تركيبه الجسدي، ولا يحتوي على مرارة.^٤ ولذلك قال الرب: "كونوا بسطاء كالحمائم"،^٥ وحتى هذا الأمر لم يُذكر بدون سندٍ واضحٍ من تشبيه سابقٍ، لأنه كما أن الشر القديم قد تطهر بعد مياه الطوفان - مثلما تطهر العالم بعد المعمودية - وكانت الحمامة هي المُبشِّر الذي أعلن هدوء الغضب السماوي، حينما أُرسِلَت من الفُكُل، وعادت بغصن الزيتون،^٦ وهي العلامة التي صارت معروفة بين الشعوب كدليل للسلام، فهكذا بنفس القانون السماوي الذي تم على الأرض - التي هي جسدنا - حينما برزت من المياه بعد خطاياها

^١ أي مثال المسحة القديمة.

^٢ (تك ٤٨: ١٤)

^٣ (مت ٣: ١٦)، (لو ٣: ٢٢)

^٤ والمرارة تشير للقسوة والحقد والضغينة، ويقولون في المثل: "هذا الشخص لحمه مر" أي أنه ليس سهلاً، كما أن الحوصلة المرارية تفرز عصارة لهضم الدهون، وهي مواد عسرة الهضم. وهو يريد أن يقول ما معناه أن الحمام مخلوقٌ بسيطٌ حتى في تكوينه. والمعروف عن الحمام أن ذكره لا تتصارع على الإناث، بل يتم التزاوج بكل بساطة. {المترجم}

^٥ (مت ١٠: ١٦)

^٦ (تك ٨: ١٠، ١١)

المعمودية

القديمة،^١ طارت حمامة الروح القدس محضرة لنا سلام الله، مُرسلةً من السماوات إلى الكنيسة، التي هي مثال أفلك.

هناك من يقول: "لكن العالم عاد إلى الخطية، فلذلك لا يجب مشابهة المعمودية بالطوفان"، أقول: "لأجل هذا سيكون مصير العالم هو النار، وهو كذلك مصير الإنسان الذي يخطئ ثانية بعد المعمودية،^٢ فلا بد أن نعتبر هذه العلامة إنذارًا لنا".

الفصل التاسع

١- البحر الأحمر

٢- الماء من الصخرة

فكم هو عدد المدافعين من الطبيعة،^٣ وكم هي امتيازات النعمة،^٤ وكم هو عدد الشعائر الدينية الطقسية، والأمثلة والتجهيزات والصلوات التي رُتبت لأجل تقديس الماء؟

أول مثالٍ كان عندما تحرر الشعب وصار بلا قيود،^٥ وهرب من بطش ملك مصر بالعبور خلال الماء، وهذا هو نفسه الماء الذي أهلك الملك وكل قواته.^٦ بالتأكيد لا يوجد رمزٌ من رموز سر المعمودية قد تحقق بشكلٍ أوضحٍ من ذلك. فإن

^١ أي بعد أن بدأت الأرض تجف (تك ٨: ٥) وهو يقصد بعد التخلص من أثر الخطايا القديمة لسكان الأرض.

^٢ بدون توبة.

^٣ عن المعمودية.

^٤ التي حصلنا عليها.

^٥ أي شعب اسرائيل (خر ٨: ٢٥، ٢٨)، (خر ١٠: ١٠، ١١، ٢٤)

^٦ (خر ١٤: ٢٧-٣٠)

الشعوب تتحرر من العالم بواسطة الماء، تاركين الشيطان - الطاغية القديم - غارقًا بالتمام في الماء.

والمثال الآخر كان عندما أُعيد الماء من المرارة إلى حُسن عذوبته الأصلية بشجرة موسى،^١ وهذه الشجرة كانت المسيح، الذي استعاد لنفسه الينابيع التي كانت ذات طبيعة مُرّة ومسمومة في السابق، إلى مياه صحية تمامًا، التي هي مياه المعمودية. هذا هو الماء الذي تدفق باستمرار للشعب من الصخرة التي تابعتهم،^٢ لأنه إن كان المسيح هو "الصخرة"، فنحن بدون أدنى شك نرى أن ماء المعمودية مباركٌ بالمسيح. إذًا، كم هو مقدار عظمة النعمة التي للماء في نظر الله ومسيحه، حتى يختارها لتأكيد المعمودية؟!

فأينما وُجد المسيح كان يوجد الماء. حتى أنه اعتمد بنفسه في الماء،^٣ ودشن بالماء أول إعلانٍ مبدئيٍّ عن قوّته حينما دُعي للعرس.^٤ ودعا العطاش إلى مائه الأبدى حينما ألقى عظة.^٥ وفي تعليمه عن المحبة، فضّل كأس الماء المقدم للفقير (الصغير)^٦ عن باقي أعمال الصدقة، وجدد قواه عند البئر،^٧ ومشى فوق الماء،^٨ الماء،^٩ وعبر البحر بإرادته،^٩ وقدم ماء لتلاميذه،^{١٠} واستمر يشهد للمعمودية حتى

^١ (خر ١٥: ٢٤، ٢٥)

^٢ (١كو ١٠: ٤)

^٣ (مت ٣: ١٣-١٧)

^٤ (يو ٢: ١-١١)

^٥ (يو ٧: ٣٧، ٣٨)

^٦ (مت ١٠: ٤٢)

^٧ أي بئر يعقوب (يو ٤: ٦)

^٨ (مت ١٤: ٢٥)

^٩ (مر ٤: ٣٦)

^{١٠} ليغسل أرجلهم (يو ١٣: ٥)

المعمودية

إلى وقت آلامه. وأثناء تسليمه للصلب كان الماء موجوداً، ويذا بيلاطس تشهدان^١.
وحينما طُعن، خرج من جنبه ماء، وحرية الجندي تشهد^٢.

الفصل العاشر

معمودية يوحنا

لقد تكلمت على قدر إمكانياتي المتواضعة عن الأمور العامة التي تُشكّل أساسيات قداسة المعمودية، والآن سوف أنتقل للكلام عن باقي ما يختص بالمعمودية بأقصى ما عندي من قوة، متطرقاً لبعض الأسئلة الفرعية.

إن المعمودية التي نادى بها "يوحنا" كوُنت في تلك الأيام مادة لسؤال قد عرضه الرب بالفعل بنفسه على الفريسيين، ألا وهو: "هل كانت هذه المعمودية^٣ سماوية، أم هي في الحقيقة أرضية؟"، وهو السؤال الذي لم يقدرُوا أن يقدموا إجابة مناسبة عنه، نظراً لكونهم لم يفهموا، لأنهم لم يؤمنوا.

أما نحن، فبالرغم من ضعف إيماننا وقلة مقدار فهمنا، لكننا نستطيع أن نقرر أن تلك المعمودية كانت سماوية حقاً. كانت ذات طبيعة بشرية، وكانت سماوية من جهة الوصية وليس من جهة الفاعلية، لأننا نقرأ أن "يوحنا" كان مُرسلاً من قِبل الرب ليقوم بهذه المهمة،^٤ لأنها لا توصِل إلى أمر سماوي، لكنها كانت تُقدِّم خدمة تمهيدية لأمر سماوية. أعني أنها كانت مُعَيَّنة لأجل التوبة، التي للإنسان دور

^١ (مت ٢٧: ٢٤)

^٢ (يو ١٩: ٣٤)

^٣ أي معمودية يوحنا (مت ٢١: ٢٥)، (مر ١١: ٣٠)، (لو ٢٠: ٤)

^٤ (يو ١: ٣٣) الأمر كان إلهياً بأن يعتمد الناس، لكن للتوبة وليس لتجديد الطبيعة الفاسدة. {المترجم}

{المترجم}

فيها. وفي الواقع، إن معلمي الناموس والفريسيين الذين رفضوا أن يؤمنوا، هم أيضاً لم يتوبوا.^١

لكن لو كانت التوبة عملاً بشرياً، فمعمودية التوبة من الضروري أن تكون من نفس الطبيعة،^٢ كما أنها لو كانت سماويةً لكانت قد منحت الروح القدس وأعطت مغفرة الخطايا. لكن من هو الذي يستطيع أن يصفح عن الخطايا أو يمنح الروح مجاًناً، إلا الله وحده؟^٣ فحتى الرب نفسه قال إن الروح لا يمكن أن يأتي بأي حال إلا بعدما يصعد هو أولاً إلى الآب،^٤ وبالتأكيد لن يستطيع العبد^٥ أن يقدم الشيء الذي لم يقدمه سيده بعد.

وبناءً على ذلك، نجد في أعمال الرسل أن الرجال الذين نالوا المعمودية يوحنا فقط لم يقبلوا الروح القدس، ولم يسمعوها حتى بأنه موجود.^٦ إذًا، فلأنها ليست أمراً سماوياً، فهي لم تستطع أن تعطي المنحة السماوية. حتى أن الشيء السماوي نفسه الموجود في "يوحنا" - الذي هو روح النبوة - قد انتهى تماماً بعد انتقال هذه الروح بالتمام إلى الرب،^٧ لدرجة أن "يوحنا" نفسه قد أرسل في الحال ليسأل إن كان هو من بشر به أم لا،^٨ على الرغم من أنه كان قد أشار إليه عندما أتى إليه بأنه

^١ (مت ٣: ٧-١٢)، (مت ٢١: ٣١، ٣٢)

^٢ فكرة أن التوبة عملٌ بشريٌ فقط هي غير دقيقة، لأننا نعرف أن التوبة عملٌ مشتركٌ بين الإنسان والله الذي يقف دائماً على الباب ويقرع. وهذا أيضاً واضحٌ من قول "ارميا" النبي: "توبني فأَتوب" (ار ٣١: ١٨). {المترجم}

^٣ (مر ٢: ٨)، (اتس ٨: ٤)، (كو ١: ٢١، ٢٢)

^٤ (يو ١٦: ٦، ٧)

^٥ يوحنا

^٦ (أع ١٩: ١-٧)

^٧ يقصد روح النبوة التي كانت في يوحنا المعمدان، وانتهت بمجرد ظهور السيد المسيح.

^٨ (مت ٣: ١٢، ١١)، (يو ١: ٦-٣٦)

"هو".^١

لذلك، اعتُبرت المعمودية التوبة كأنها طلبٌ مختصرٌ لأجل الغفران والتطهير، مُقدّمٌ للمسيح الآتي. لأجل ذلك اعتاد "يوحنا" أن يكرز بالمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا،^٢ وكان هذا التصريح يشير إلى المغفرة المستقبلية.

فإن كان الأمر صحيحاً، وهو بالفعل صحيحٌ، فإن التوبة تسبق والمغفرة تتبعها. هذا الأمر هو "إعدادٌ للطريق".^٣ لكن الذي يُعد الطريق لم يكن هو نفسه كاملاً، بل كان يدبّر لشخصٍ آخر أن يُكمل. ويوحنا نفسه اعترف بأن الأمور السماوية ليست له بل للمسيح، حينما قال: "الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم، والذي يأتي من السماء هو فوق الجميع"،^٤ وأيضاً قال: "أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار".^٥

بالتأكيد بما أن الإيمان الصحيح الثابت يُعمّد بالماء لأجل الخلاص، إذًا فالإيمان الكاذب الضعيف يُعمّد بالنار لأجل الدينونة.

الفصل الحادي عشر

الرد على الاعتراض بأن الرب لم يكن يُعمّد

البعض يقول: "لكن انظروا، إن الرب قد أتى ولم يُعمّد، لأننا نقرأ أن يسوع

^١ (مت ٢: ١١-٦) (لو ٧: ٢٣-١٨) ولكن الأرجح أن سؤال يوحنا الذي أرسله مع تلاميذه إلى السيد

المسيح كان لأجل إيمان تلاميذ يوحنا، وليس لأجل أن يتأكد هو نفسه. {المترجم}

^٢ (مر ٤: ١)

^٣ (لو ٧: ١٦)

^٤ (يو ٣: ٣١)

^٥ (مت ٣: ١١)

نفسه لم يكن يُعتمد، بل تلاميذه^١، ولكن هل يوحنا فعلاً كرّز بأن المسيح سيُعتمد بيديه؟ بالتأكيد ما قاله يوحنا لا يُفهم هكذا، لكنه قيل بشكلٍ عاديٍّ. بالضبط مثلما نقول على سبيل المثال: "لقد نشر الإمبراطور مرسومًا"، أو: "لقد ضربه الحاكم بالعصى". فهل الإمبراطور نشر المرسوم بنفسه؟! أو هل الحاكم قد ضرب الرجل بنفسه؟! إن الشخص الذي يقوم خُدامه بفعل شيء، يُقال إنه هو الذي عمله^٢. إذًا، عبارة "هو سيعمّدكم" ينبغي أن تُفهم هكذا: "بواسطته ستعتمدون"، فلا تدعوا حقيقة أنه لم يُعتمد أحدًا تُتعبكم.

ثم إنه بأي شيء كان سيُعتمد؟ بالتوبة؟ فلماذا إذا أقام من يسبقه؟! هل كان سيُعتمد بمغفرة الخطايا، وهو الذي اعتاد أن يمنح مغفرة الخطايا بكلمة منه؟ وهل سيعتمد بنفسه، وهو الذي كان يخفي بسبب تواضعه؟! هل كان سيعتمد بالروح القدس الذي لم يكن قد أرسله الآب بعد؟ أم بالكنيسة التي لم يؤسسها رسله بعد؟! لذلك كان التلاميذ يُعتمدون كخدام، بنفس المعمودية يوحنا، وهي المعمودية التي كان يعمد بها يوحنا قبلاً، كسابقٍ للمسيح.

والآن، لا أريد أن يظن أحدٌ بأن سر المعمودية قد تم على يد آخر. لأنه لا يوجد آخر غير المسيح، وهو الذي أتمه فيما بعد. فبالطبع حتى ذلك الوقت لم يكن في إمكان التلاميذ منحها، نظرًا لأن مجد الرب لم يكن قد بلغ تمامه بعد^٣، ولا ثبتت

^١ (يو ٢: ٤)

^٢ مثل قصه خادم قائد المائة (مت ٨: ٥)، (لو ٧: ٣). حيث قيل في إنجيل "متى" إنه طلب من المسيح أن يشفى خادمه. وفي انجيل لوقا قيل إنه أرسل يطلب منه أن يشفى خادمه. والقصة بالضبط أنه أرسل شيوخ اليهود إلى المسيح طالبًا الشفاء لخادمه على لسانهم، لكن يُفهم أنه جاء يطلب إليه كما هو مذكور في إنجيل متى. والأمر كذلك في قصة طلب ابني زبدي وأمهما الذي طلبوه من السيد المسيح في (مت ٢٠: ٢٠)، (مر ١٠: ٣٥).

^٣ (١بط ١: ١١)

فاعلية المعمودية من خلال الآلام والقيامة. لأنه لا يمكن لموسى أن يبطأ إلا بالام
الرب، ولا يمكن استرداد حياتنا بدون قيامته.^١

الفصل الثاني عشر

ضرورة المعمودية لأجل الخلاص

ولكن عندما صارت القاعدة هي "بدون المعمودية لا يمكن الحصول على
الخلاص"، خصوصًا بسبب تصريح الرب الذي قال: "إن كان أحد لا يولد من الماء
والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"،^٢ ظهر في الحال أشخاصٌ مؤسوسين، بل
بالأحرى وقحين، يُشككون في هذه الجزئية بقولهم: "كيف نال الرسل الخلاص وهم
لم يعتمدوا للرب بحسب هذه القاعدة، فيما عدا بولس (الرسول) فقط، لأن بولس هو
الوحيد بينهم الذي لبس ثوب معمودية المسيح؟"،^٣ فإما أن نحكم مسبقًا بهلاك
الآخرين كلهم، الذين تنقصهم مياه (معمودية) المسيح، لأجل تمسكنا بهذه القاعدة،
أو لنلغي القاعدة إن كان هؤلاء الغير مُعَمِّدين قد نالوا الخلاص!"

يَشهد عليَّ الرب أنني قد سمعت شكوكًا من هذا القبيل، حتى لا يتخيل أحدٌ
أنني رجلٌ بلا خُلُقٍ، أختلق أفكارًا قد توَعز للآخرين بالشك دون أن يستثيرني أحد.
فالآن بقدر إمكاني، سوف أجاب هؤلاء الذين يؤكدون أن الرسل لم يعتمدوا.

إن الرسل قد حصلوا على معمودية يوحنا، ولكن لأنهم اشتاقوا إلى معمودية
الرب، فحينئذٍ حدد الرب نفسه أن المعمودية تتم مرة واحدة،^٤ حينما قال ذلك

^١ حيث أن المعمودية في مفهومها هي موت مع المسيح ثم قيامة معه أيضًا.

^٢ (يو ٣: ٥)

^٣ (غل ٣: ٢٧) لأن بولس قد اعتمد على يد "حنانيا" الرسول.

^٤ (اف ٤: ٥)

لبطرس، الذي كان يرغب في الاغتسال كاملاً،^١ وبالطبع هو لم يقلها لشخص غير مُعتمد. وهذا هو دليلنا الواضح ضد هؤلاء الذين ينكرون أن الرسل قد اعتمدوا حتى بمعمودية يوحنا، لأجل تدمير سر الماء المقدس.

فهل يبدو من المعقول أن "طريق الرب"، الذي هو معمودية يوحنا، لم يُعدَّ عن طريق هؤلاء الأشخاص المُعتمدين لأجل فتح طريق الرب في كل مكان في العالم أجمع؟! إن الرب نفسه بالرغم من أنه لم يُوجب عليه أية توبة، قد اعتمد. فهل المعمودية إذاً ليست ضرورية للخطاة؟!

والحقيقة أن "الآخرين الذين لم يعتمدوا" هم أولئك الذين لم يكونوا رفقاء المسيح، بل هم أعداء الإيمان الذين هم معلمو الناموس والفريسيون. والآن يمكننا أن نستنتج من هذه الحقيقة رأياً آخر، فيما أن مقاومي الرب هم من رفضوا أن يعتمدوا، فإذا من تبعوا الرب قد اعتمدوا ولم يوافقوا رأي مخالفيهم. وبالأخص لو كان هناك من يتبعه أولئك،^٢ فإن الرب قد جعل "يوحنا" أعظم منه، حينما شهد قائلاً: "لم يبق بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان".^٣

وهناك آخرون، من الواضح أنهم مرغمون على ذلك، يقترحون أن "الرسل قد نالوا ما يشبه المعمودية حينما كانوا في سفينتهم الصغيرة، حينما رشتهم وغمرتهم الأمواج، حتى أن بطرس نفسه أيضاً قد غطس بما فيه الكفاية حينما مشى على البحر".^٤ أيّاً كان، فعلى ما أظن، أن تُرش أو تعترضك قسوة البحر شيء، وأن تُعتمد شيء آخر.

مع ذلك، فتلك السفينة الصغيرة قد قدّمت صورة للكنيسة المضطربة في

^١ (يو ١٣: ٩، ١٠)

^٢ أي "موسى"، الذين يدعون أنهم تلاميذه.

^٣ (يو ١١: ١١)

^٤ أي حينما مشى وخاف وبدأ يغرق، حينئذ غطته المياه تماماً (مت ٨: ٢٤)

المعمودية

"البحر"، الذي هو العالم، "بالأمواج" التي هي الاضطهادات والتجارب. والرب صابرٌ كما لو كان نائمًا، حتى يَنهض في النهاية، عن طريق صلوات القديسين، وينتهر العالم، ويعيد الهدوء لخاصته.^١

والآن، سواء كانوا قد اعتمدوا بأية طريقة، أو لبثوا غير معتمدين للنهائية - وفي هذه الحالة يكون قول الرب بخصوص الاغتسال مرة واحدة، يخصنا نحن، في شخص بطرس، ولا يخص بطرس!^٢ - فأن نتخذ قرارًا بشأن خلاص الرسل هو أمرٌ في غاية الوقاحة. ذلك لأن لهم امتياز الاختيار الأول،^٣ وهم لم يتركوا مرافقته بعد ذلك، مما يجعلهم قادرين على منح خلاصة نعمة المعمودية،^٤ نظرًا لأنهم قد تبعوا من اعتاد على أن يَعد بالخلاص لكل من يؤمن.

فهو من قال: "إيمانك قد خلصك"،^٥ وقال لآخر: "مغفورة لك خطاياك"،^٦ بالطبع لأجل إيمانه - رغم أنه لم يعتمد بعد. فإن كان الرسل يفتقرون لذلك،^٧ فبأي شيء كانوا يؤمنون؟

إن أحدهم قام بكلمة واحدة من الرب تاركًا مكان الجباية،^٨ والآخر هجر أباه وسفينته والمهنة التي كان يكسب بها عيشه،^٩ والثالث ترك دفن أبيه،^{١٠} متممًا أعظم

^١ تأمل رائع.

^٢ وهي صيغة سخرية معناها أن هذا أمرٌ مرفوضٌ بالطبع.

^٣ أي أنهم أول من اختارهم السيد المسيح ليتبعوه.

^٤ أي منح الخلاص باسم المسيح.

^٥ (مر ١٠: ٥٢)، (لو ١٨: ٤٢)

^٦ (مر ٢: ٥)

^٧ أي الإيمان بالمسيح.

^٨ (مت ٩: ٩) الذي هو متى.

^٩ (مت ٤: ٢١، ٢٢) ويقصد "يعقوب" أو "يوحنا".

^{١٠} (لو ٩: ٥٩، ٦٠) رغم أن الانجيل لم يذكر إن كان هذا الرجل قد نفذ أمر المسيح أم لا.

نفسه لم يكن يُعمد، بل تلاميذه،^١ ولكن هل يوحنا فعلاً كرر بأن المسيح سيعمّد بيديه؟ بالتأكيد ما قاله يوحنا لا يُفهم هكذا، لكنه قيل بشكلٍ عادي. بالضبط مثلما نقول على سبيل المثال: "لقد نشر الإمبراطور مرسومًا"، أو: "لقد ضربه الحاكم بالعصى". فهل الإمبراطور نشر المرسوم بنفسه؟! أو هل الحاكم قد ضرب الرجل بنفسه؟! إن الشخص الذي يقوم خُدامه بفعل شيء، يُقال إنه هو الذي عمله.^٢ إذًا، عبارة "هو سيعمّدكم" ينبغي أن تُفهم هكذا: "بواسطته ستعمّدون"، فلا تدعوا حقيقة أنه لم يُعمد أحدًا تُتعبكم.

ثم إنه بأي شيء كان سيعمّد؟ بالتوبة؟ فلماذا إذا أقام من يسبقه؟! هل كان سيعمّد بمغفرة الخطايا، وهو الذي اعتاد أن يمنح مغفرة الخطايا بكلمة منه؟ وهل سيعمّد بنفسه، وهو الذي كان يخفي بسبب تواضعه؟! هل كان سيعمّد بالروح القدس الذي لم يكن قد أرسله الآب بعد؟ أم بالكنيسة التي لم يؤسسها رسله بعد؟! لذلك كان التلاميذ يُعمّدون كخدام، بنفس المعمودية يوحنا، وهي المعمودية التي كان يعمد بها يوحنا قبلاً، كسابقٍ للمسيح.

والآن، لا أريد أن يظن أحدٌ بأن سر المعمودية قد تم على يد آخر. لأنه لا يوجد آخر غير المسيح، وهو الذي أتمه فيما بعد. فبالطبع حتى ذلك الوقت لم يكن في إمكان التلاميذ منحها، نظرًا لأن مجد الرب لم يكن قد بلغ تمامه بعد،^٣ ولا ثبتت

^١ (يو ٤: ٢)

^٢ مثل قصه خادم قائد المائة (مت ٨: ٥)، (لو ٧: ٣). حيث قيل في إنجيل "متى" إنه طلب من المسيح أن يشفى خادمه. وفي انجيل لوقا قيل إنه أرسل يطلب منه أن يشفى خادمه. والقصة بالضبط أنه أرسل شيوخ اليهود إلى المسيح طالبًا الشفاء لخادمه على لسانهم، لكن يُفهم أنه جاء يطلب إليه كما هو مذكور في إنجيل متى. والأمر كذلك في قصة طلب ابني زبدي وأمهما الذي طلبوه من السيد المسيح في (مت ٢٠: ٢٠)، (مر ١٠: ٣٥).

^٣ (١ بط ١: ١١)

المعمودية

فاعلية المعمودية من خلال الآلام والقيامة. لأنه لا يمكن لموتنا أن يبطل إلا بآلام الرب، ولا يمكن استرداد حياتنا بدون قيامته.^١

الفصل الثاني عشر

ضرورة المعمودية لأجل الخلاص

ولكن عندما صارت القاعدة هي "بدون المعمودية لا يمكن الحصول على الخلاص"، خصوصًا بسبب تصريح الرب الذي قال: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"،^٢ ظهر في الحال أشخاصٌ مؤسوسين، بل بالأحرى وقحين، يُشككون في هذه الجزئية بقولهم: "كيف نال الرسل الخلاص وهم لم يعتمدوا للرب بحسب هذه القاعدة، فيما عدا بولس (الرسول) فقط، لأن بولس هو الوحيد بينهم الذي لبس ثوب معمودية المسيح؟"^٣ فإما أن نحكم مسبقًا بهلاك الآخرين كلهم، الذين تتقصهم مياه (معمودية) المسيح، لأجل تمسكنا بهذه القاعدة، أو لنلغي القاعدة إن كان هؤلاء الغير مُعَمِّدين قد نالوا الخلاص!

يَشهد عليَّ الرب أنني قد سمعت شكوكًا من هذا القبيل، حتى لا يتخيل أحدٌ أنني رجلٌ بلا خُلُقٍ، أخلق أفكارًا قد توَعز للآخرين بالشك دون أن يستثيرني أحد. فالآن بقدر إمكاني، سوف أجاب هؤلاء الذين يؤكدون أن الرسل لم يعتمدوا.

إن الرسل قد حصلوا على معمودية يوحنا، ولكن لأنهم اشتاقوا إلى معمودية الرب، فحينئذ حدد الرب نفسه أن المعمودية تتم مرة واحدة،^٤ حينما قال ذلك

^١ حيث أن المعمودية في مفهومها هي موت مع المسيح ثم قيامة معه أيضًا.

^٢ (يو ٣: ٥)

^٣ (غل ٣: ٢٧) لأن بولس قد اعتمد على يد "حنانيا" الرسول.

^٤ (اف ٤: ٥)

لبطرس، الذي كان يرغب في الاغتسال كاملاً،^١ وبالطبع هو لم يقلها لشخص غير مُعتمد. وهذا هو دليلنا الواضح ضد هؤلاء الذين ينكرون أن الرسل قد اعتمدوا حتى بمعمودية يوحنا، لأجل تدمير سر الماء المقدس.

فهل يبدو من المعقول أن "طريق الرب"، الذي هو معمودية يوحنا، لم يُعد عن طريق هؤلاء الأشخاص المُعتمدين لأجل فتح طريق الرب في كل مكان في العالم أجمع؟! إن الرب نفسه بالرغم من أنه لم يُوجب عليه أية توبة، قد اعتمد. فهل المعمودية إذا ليست ضرورية للخطاة؟!

والحقيقة أن "الآخرين الذين لم يعتمدوا" هم أولئك الذين لم يكونوا رفقاء المسيح، بل هم أعداء الإيمان الذين هم معلمو التاموس والفريسيون. والآن يمكننا أن نستنتج من هذه الحقيقة رأياً آخر، فيما أن مقاومي الرب هم من رفضوا أن يعتمدوا، فإذاً من تبعوا الرب قد اعتمدوا ولم يوافقوا رأي مخالفيهم. وبالأخص لو كان هناك من يتبعه أولئك،^٢ فإن الرب قد جعل "يوحنا" أعظم منه، حينما شهد قائلاً: "لم يبق بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان".^٣

وهناك آخرون، من الواضح أنهم مرغمون على ذلك، يقترحون أن "الرسل قد نالوا ما يشبه المعمودية حينما كانوا في سفينتهم الصغيرة، حينما رشتهم وغمرتهم الأمواج، حتى أن بطرس نفسه أيضاً قد غطس بما فيه الكفاية حينما مشى على البحر".^٤ أيًا كان، فعلى ما أظن، أن تُرش أو تعترضك قسوة البحر شيء، وأن تعتمد شيء آخر.

مع ذلك، فتلك السفينة الصغيرة قد قدّمت صورة للكنيسة المضطربة في

^١ (يو ١٣: ٩، ١٠)

^٢ أي "موسى"، الذين يدعون أنهم تلاميذه.

^٣ (يو ١١: ١١)

^٤ أي حينما مشى وخاف وبدأ يغرق، حينئذ غطته المياه تماماً (مت ٨: ٢٤)

المعمودية

"البحر"، الذي هو العالم، "بالأمواج" التي هي الاضطهادات والتجارب. والرب صابرٌ كما لو كان نائمًا، حتى يَنهض في النهاية، عن طريق صلوات القديسين، وينتهر العالم، ويعيد الهدوء لخاصته.^١

والآن، سواء كانوا قد اعتمدوا بأية طريقة، أو لبثوا غير معتمدين للنهية - وفي هذه الحالة يكون قول الرب بخصوص الاغتسال مرة واحدة، يخصنا نحن، في شخص بطرس، ولا يخص بطرس!^٢ - فأن نتخذ قرارًا بشأن خلاص الرسل هو أمرٌ في غاية الوقاحة. ذلك لأن لهم امتياز الاختيار الأول،^٣ وهم لم يتركوا مرافقته بعد ذلك، مما يجعلهم قادرين على منح خلاصة نعمة المعمودية،^٤ نظرًا لأنهم قد تبعوا من اعتاد على أن يَعد بالخلاص لكل من يؤمن.

فهو من قال: "إيمانك قد خلصك"،^٥ وقال لآخر: "مغفورة لك خطاياك"،^٦ بالطبع لأجل إيمانه - رغم أنه لم يعتمد بعد. فإن كان الرسل يفتقرون لذلك،^٧ فبأي شيء كانوا يؤمنون؟

إن أحدهم قام بكلمة واحدة من الرب تاركًا مكان الجباية،^٨ والآخر هجر أباه وسفينته والمهنة التي كان يكسب بها عيشه،^٩ والثالث ترك دفن أبيه،^{١٠} متممًا أعظم

^١ تأمل رائع.

^٢ وهي صيغة سخرية معناها أن هذا أمرٌ مرفوضٌ بالطبع.

^٣ أي أنهم أول من اختارهم السيد المسيح ليتبعوه.

^٤ أي منح الخلاص باسم المسيح.

^٥ (مر ١٠: ٥٢)، (لو ١٨: ٤٢)

^٦ (مر ٥: ٢)

^٧ أي الإيمان بالمسيح.

^٨ (مت ٩: ٩) الذي هو متى.

^٩ (مت ٤: ٢١، ٢٢) ويقصد "يعقوب" أو "يوحنا".

^{١٠} (لو ٩: ٥٩، ٦٠) رغم أن الانجيل لم يذكر إن كان هذا الرجل قد نفذ أمر المسيح أم لا.

أعظم وصايا الرب "من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني" ^١ قبل أن يسمعها.

الفصل الثالث عشر

اعتراض آخر يقول "لقد أَرْضَى إبراهيم الرب بدون أن يعتمد".

الإجابة هي "أن الأشياء العتيقة لابد أن تعطى مكانًا للجديدة، والمعمودية الآن قد أصبحت شرطًا".

ثم نأتي لهؤلاء الجاحدين الذين يثيرون أسئلة قائلين: "إن المعمودية ليست ضرورية لمن كان إيمانهم كافيًا، لأن إبراهيم قد أَرْضَى الرب كذلك بدون سر المعمودية، لكن بالإيمان".

في جميع الأحوال، الأشياء الجديدة تكون دائمًا هي الأقوى في النهاية، واللاحق يسود على السابق، فبافتراض أن الخلاص في الأيام القديمة كان بالإيمان المجرد، قبل أن يتألم الرب ويقوم، لكنه الآن قد عَظُمُ وأصبح إيمانًا بميلاده وآلامه وقيامته. فلقد أضيف امتدادًا للعهد، الذي هو ختم المعمودية.

وبمعنى آخر، إن ثوب الإيمان - الذي كان قبلاً عاريًا - لا يمكن أن يبقى إلى الآن بدون قانونٍ مناسب. لأن ناموس المعمودية قد صار شرطًا، والقانون صار فرضًا. فلقد قال الرب: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" ^٢ وبالمقارنة بالقانون التالي بالتحديد: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" ^٣ قد رُبط الإيمان بضرورة المعمودية. وبناءً عليه، اعتاد كل من صار مؤمنًا بعد ذلك أن يعتمد، وهذا ما

^١ (مت ١٠: ٣٧)

^٢ (مت ٢٨: ١٩)

^٣ (يو ٣: ٥)

المعمودية

صار أيضًا مع بولس حينما آمن، فلقد اعتمد. وهذا هو المقصود من الوصية التي أعطاه لها الرب عندما أصيب بضربة فقدان البصر^١ قائلاً: "قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل"، أي اعتمد. لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي كان ينقصه، باستثناء أنه تعلم وآمن بما فيه الكفاية بأن الناصري هو الرب، وأنه ابن الله.

الفصل الرابع عشر

تصريح بولس بأنه لم يأتي ليُعَمِّد

لكنهم يقدمون اعتراضًا آخر من قول نفس الرسول: "لأن المسيح لم يرسلني لأُعَمِّد بل لأُبشِّر"^٢، وكأن المعمودية بهذه الحجة سوف تُهْمَل! لكن إن كان الأمر كذلك، فلماذا عَمِّد "بولس" "غايوس" و"كريسبس" وبيت "استفانوس"^٣؟ على العموم، حتى لو لم يكن المسيح قد أرسله ليُعَمِّد، فإنه قد أوصى تلاميذه الآخرين أن يُعَمِّدوا.^٤

ولكن هذه الكلمات قد كُتِبَت للكورنثيين في ذاك الوقت بالذات، بخصوص موضوع الختان، نظرًا لأن انشقاقات وخصومات قد اشتعلت بينهم. حيث كان ينسب البعض كل شيء "لبولس"، والآخرين "لأبلوس".^٥ لهذا السبب قال الرسول صانع السلام، إنه لم يُرْسَل ليُعَمِّد بل لبشِّر، حتى لا يبدو مُدْعيًا كل المواهب لنفسه. فإن

^١ (أع ٩: ٦ - ٩)

^٢ (كو ١: ١٧)

^٣ (١ كو ١: ١٤، ١٦)

^٤ (مت ٢٨: ١٩)

^٥ (١ كو ١: ١٢)

كان التبشير هو الشيء السابق، والمعمودية هي اللاحق، فلذلك يأتي التبشير أولاً، لكنني أعتقد أن المعمودية هي أيضاً أمر مُصرَّح به لمن يُبشِّر.

الفصل الخامس عشر

١- وحدانية المعمودية.

٢- ملاحظات على المعمودية الهرطقة واليهود.

لست أدرى إن كان هناك جداً آخر يضع المعمودية محلاً للنقاش، لكن اسمحوا لي أن أتذكر أمراً قد تركته قبلاً، لئلا أبدو كمن يُنهي سلسلة أفكار من منتصفها.^١

ليس لدينا سوى المعمودية واحدة فقط بحسب إنجيل ربنا، كما هي أيضاً بحسب رسائل الرسول الذي قال: "رب واحد، إيمان واحد، المعمودية واحدة".^٢ لكن لا بد من الاعتراف بأن السؤال الذي يقول: "ما هي القواعد التي يجب مراعاتها بخصوص الهرطقة؟" لهو أمرٌ يستوجب المعالجة، لأن هذا التصريح يعيننا نحن.^٣

إن الهرطقة عموماً ليس لهم شركة في تعاليمنا، والحقيقة الوحيدة أنهم محرومون كنسياً، مما يبين أنهم خارجون.^٤ إنني غير مُطالب بأن أحكم عليهم بشيء ممنوع عني،^٥ لأنهم ونحن ليس لنا نفس الرب ولا نفس المسيح. ولذلك معموديتهم ليست واحدة مع معموديتنا أيضاً، لأنها ليست نفس المعمودية. وبما أنها

^١ أي "لئلا أبدو كمن يتغافل عن بعض الأمور وأنهى الكلام لصالحه".

^٢ (اف ٤: ٥)

^٣ المسيحيين.

^٤ عن الإيمان.

^٥ كما فعل رئيس الملائكة "ميخائيل" الذي "لم يجسر أن يورد حكم افتراء، بل قال له 'لينتهرك

الرب'. (يه ٩)

المعمودية

ليست المعمودية كما يجب، فلا شك أنها ليست المعمودية على الإطلاق، ولا يجب أن نضع في الحساب ما هو ليس موجوداً. وكذلك أيضاً لا يمكنهم الحصول عليها لأنهم لا يملكونها.^١ ولقد تناولت هذه النقطة في مناقشة كاملة باللغة اليونانية. إذًا، نحن ندخل جرن المعمودية مرةً واحدةً، فتمحى الخطايا مرةً واحدةً، لأنها لا يجب أن تتكرر. لكن اليهودي الإسرائيلي يغتسل يوميًا لأنه يتنجس يوميًا. فلكي لا نمارس هذا بيننا أيضًا، حُدِّد لنا اغتسالًا واحدًا^٢.
فيا لسعادتنا بالماء الذي يطهر مرةً واحدةً، الذي لا يسخر من الخطاة بإعطائهم رجاءً باطلاً،^٣ ولا يتلوث بتكرار الشوائب، فينجس ثانية من كان قد غسلهم قبلاً.

الفصل السادس عشر

المعمودية الثانية - المعمودية الدم

في الحقيقة، نحن لدينا المعمودية أخرى - أعني المعمودية الدم - والتي تتعلق بقول الرب: "ولي صبغة أصطبغها"،^٤ مع أنه كان قد اعتمد بالفعل. إنه قد أتى "بماء ودم"^٥ كما كتب يوحنا (الإنجيلي)، لكي يعتمد بالماء ويتمجد بالدم، وليجعلنا بنفس الطريقة مدعوين بالماء ومنتخبين بالدم.^٦

^١ أي أن الهرطوقي لا يقدر أن يعطى ما ليس له، أي أن يُعمد.

^٢ (يو ١٣: ١٠)، (أف ٤: ٥)

^٣ يقصد اليهود الذين مازالوا يأملون أن يظهروهم الماء من النجاسة.

^٤ (لو ١٢: ٥٠)

^٥ (يو ٥: ٦)

^٦ المقصود هنا بالدم، الجهاد بكل قوة "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية". (عب ١٢: ٤)

هاتان المعموديتان أخرجهما من جرح جنبه المطعون،^١ حتى يمكن لمن يؤمن بدمه أن يُغسل بالماء، ومن غُسل بالماء يمكنه كذلك أن يشرب الدم.^٢
 هذه هي المعمودية التي يمكن أن تقوم عوضًا عن حميم ماء المعمودية لمن لم يحصل عليه،^٣ وهي أيضًا التي تجدد المعمودية حينما يضيع تأثيرها.^٤

الفصل السابع عشر

القدرة على منح المعمودية

وحتى ننتهي من موضوعنا الموجز هذا، بقي أن أذكركم بالأمر الواجب مراعاتها، سواء عند منح أو نوال المعمودية.
 بالنسبة لما يتعلق بمنح المعمودية، فإن رئيس الكهنة (أي الأسقف) هو من له الأحقية، ثم يأتي من بعده القسوس والشماسية،^٥ بعد أخذ التصريح من الأسقف،

^١ (يو ١٩: ٣٤)

^٢ (يو ٦: ٤٣، ٥٤) أي تناول من الجسد و الدم للتطهير من الخطايا التي تُرتكب بعد سر المعمودية.

^٣ يقصد هنا الشهداء الذين سفكوا دمهم لأجل اسم المسيح قبل أن يعتمدوا، وهي تدعى معمودية الدم، والتي نالها الكثير من الشهداء الذين كانوا وثنيين وأمّنوا واستشهدوا قبل أن يعتمدوا. يرى البعض أن الشهيد الذي آمن أثناء تعذيب المؤمنين، فأعلن إيمانه وهو في ساحة الاستشهاد، ولم يجد فرصة للذهاب إلى الكنيسة لينال سرّ العمداء، يُحسب استشهاده معمودية. {المرجع}

^٤ وهو يقصد فقدان الإنسان للنقاوة بسبب الخطية، أما المعمودية نفسها فلا يمكن أن يضيع تأثيرها إلا بالتجديف على الروح القدس. {المرجع}

^٥ حيث كان للشماس إمكانية ممارسة الأسرار المقدسة، خصوصًا في الأماكن التي لم يركز بها أحد أحد من قبل. لكن مع انتشار المسيحية اقتصر صلاحيات الشماس على إمكانية مساعدة الكاهن في منالة الدم، ومسك الكأس المقدس وقت تناول (حاليًا للشماس برتبة دياكون وأرشي دياكون في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية). {المرجع}

المعمودية

لأجل كرامة الكنيسة، التي إذا حُفِظَتْ، حُفِظَ السلام.
وبجانب هؤلاء، فحتى الشخص العلماني له الأهمية إذا لم يوجد أسقف أو
كاهن أو شماس في المكان...^١

لا يجب أن تُخفى كلمة الرب بسبب أي شخص. وهكذا أيضًا المعمودية التي
هي ملكٌ للرب بالكامل، يمكن أن تُعطى من خلال كل المؤمنين. ولكن يجب أن
يتحلى التعليم بالوقار والتواضع الواجب، في حالة العلمانيين بشكل أكثر بكثير،
نظرًا لأن هذه الموهبة تخص رؤسائهم.^٢ إلا إذا كانوا يريدون أن يأخذوا الوظيفة
الخاصة بالأسقف لأنفسهم! فإن منافسة الأسقف في عمله هي بداية الانشقاقات،
والرسول العظيم في القداسة قال: "كل الأشياء تحل لي، لكن ليست كل الأشياء
توافق".^٣

فلنكتفِ إذاً باستخدام هذه الصلاحية في الحالات الضرورية فقط، أي وقتما
تضطركم الظروف - سواء ظروف المكان أو الزمان أو الأشخاص - لأن في ذلك
الوقت يكون تجاسر الشخص المُنفذ مقبولاً بشكل استثنائي، حينما يكون موقف
الشخص المُعرَّض للخطر موقعاً مستعجلاً، لأن المنفذ سيكون مذنباً لأنه أضاع
إنساناً إذا امتنع أن يمنح ما سُمح له أن يمنحه بحرية.^٤

^١ كما حدث في أيام البابا بطرس خاتم الشهداء، حينما عمدت الشهيذة "سارة" طفلها في عرض
البحر بدمها، خشية أن يموتا قبل المعمودية. {المترجم}

^٢ أي الرئاسة الكنسية، وهو ما يؤكد أن هذا أمر عرضي وللضرورة المؤقتة في ذلك الزمان.

^٣ (١ كو ١٠: ٢٣)

^٤ أي أن هذا السلطان غير مسموح به لأحد إلا للكليروس، لكن إذا وُجدت ظروف استثنائية لأي
سبب كان، فحينئذ ستكون الضرورة موضوعة على أي مسيحي بأن يُعمد، لئلا يحاسبه الله إذا ما
هلك هذا الشخص المحتاج للمعمودية. مثلما عمدت الشهيذة "سارة" طفلها في عرض البحر بدمها.

{المترجم}

أما المرأة الوقحة^١ التي اغتصبت لنفسها سلطة التعليم، فلن تستطيع أن تعطي لنفسها أيضًا إمكانية التعميد، وإلا فسوف تُنتج وحوشًا جديدة مثلها. لأنها إن أفسدت المعمودية، فإن الآخرين من أتباعها سوف يمنحونها فاسدة بسلطانها! لكن إن كانت هناك كتابات قد نُسبت بالخطأ لبولس^٢، والتي تدّعي أن نموذج القديسة "كلا" هو تصريح للنساء بالتعليم والتعميد. فليعلم هؤلاء الموجودون في آسيا أن الكاهن الذي أَلَف هذه الكتابات بحجة زيادة شهرة بولس - بعدما ثبتت عليه التهمة واعترف بأنه فعل ذلك حبًا في بولس - قد جُرّد من رُتبته. لأنه لا يمكن تصديق أن من لم يسمح للمرأة حتى أن تتعلم،^٣ قد أعطى سلطان التعليم والتعميد لامرأة. فلقد قال: "لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مآذون لهن أن يتكلمن"، ثم أكمل قائلاً "لكن إن كن يُردن أن يتعلمن شيئًا فليسالن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالمرأة أن تتكلم في الكنيسة".

^١ "كونتيللا"

^٢ حيث نسب أحد الكهنة لبولس الرسول كتاب يسمى "الرسالة الى التلميذة كلا".

^٣ (كو ١٤: ٣٤، ٣٥) البعض يرى أن الرسول قال ذلك عن المرأة الثرثرة والناماة على غيرها، والبعض يفسر أن بولس الرسول قد قال ذلك الكلام خوفًا من التشبه بما كانت تفعله الوثنيات، حيث كُن يُعلّمن ويمارسن الطقوس الوثنية، والتي كان بها الكثير من الانحلال، وهو الأمر الذي كان منتشرًا في كورنثوس في ذلك الوقت، والبعض يقول أنه يقصد التعليم والكلام الخاص بالكهنوت. على العموم، إن الكنيسة لا تسمح للمرأة بالقيام بأي عمل كهنوتي، لأن الكهنوت هو وظيفة الرجال، لأن "الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح هو رأس الكنيسة". والقديسة مريم العذراء هي خير دليل على ذلك، وإلا كانت هي أصلح واحدة تقوم بوظيفة الكهنوت لو سمحت الكنيسة بذلك. أما بخصوص المرأة، فيمكنها أن تُعلّم في الاجتماعات الروحية دون القيام بممارسة السرائر، وهذا هو الرأي المعتدل للكنيسة القبطية الأرثوذكسية. {المترجم}

الفصل الثامن عشر

من هو الذي ينال المعمودية؟ ومتى؟

وأما الذين وظيفتهم التعميد، فإنهم يَعْلَمُونَ أنه لا يجب أن تُعْطَى المعمودية بتعجلٍ، أمّا قول الرب: "وكل من سألك فأعطه"،^١ فقد كان له دلالاته الخاصة التي تخص الصدقة. وبالعكس، إن هذه الوصية يجب أن يُنظر إليها بحرصٍ حسب قول الرب: "لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير"،^٢ وأيضًا: "لا تضع يدًا على أحد بعجلة، ولا تشترك في خطايا الآخرين".^٣

فإن كان فيلبس قد عمد الوزير بهذه السهولة، فإن ذلك يرجع إلى تدخل الرب الواضح والظاهر، وحُكمه بأنه مستحقٌّ،^٤ فلقد أمر الروح "فيلبس" أن ينحدر إلى ذلك الطريق. وأيضًا الخصى نفسه لم يكن متهاونًا، ولا كان كَمَن انتهى المعمودية فجأةً. لكن بعد صعوده إلى الهيكل لأجل الصلاة، وانكبابه على قراءة الوحي الإلهي، كان من السهل أن يجده الرسول^٥ الذي أرسله الرب بنفسه، وأمره الروح أيضًا بأن يرافق المركبة بنفسه. وقد كان فصل الكتاب الذي كان يقرأه^٦ متوافقًا مع ما يناسب لأجل إيمانه. فطُلب من "فيلبس" الجلوس بجواره، ثم عُرف الرب ولم يتأخر الإيمان. ولم يكن هناك حاجة لانتظار الماء،^٧ فتم العمل، واختُطف الرسول.

^١ (لو ٦: ٣٠)

^٢ (مت ٧: ٦)

^٣ (١ تي ٥: ٢٢)

^٤ (أع ٨: ٦ - ٤٠) حيث أن الرب هو من أرسل "فيلبس" مخصوص لذلك الأمر.

^٥ مع ملاحظة أن "فيلبس" هذا هو الشماس وليس التلميذ، لكن كلاهما يُعتبر رسولاً على العموم.

^٦ (أع ٨: ٢٨ - ٣٣)، (أش ٥٣: ٧، ٨)

^٧ لأنهما أقبلتا على ماء في الطريق.

الرسول.

والحقيقة أيضاً أن بولس (الرسول) قد اعتمد بسرعة، لكن ذلك لأن (حنانيا)^١ قد علم سريعاً أنه قد عُيِّن "إناءً مختاراً"،^٢ لأن استحسان الله للإنسان يجعل الله يرسل علامات تنبيهية مؤكدة أمام هذا الإنسان.

فلا ننخدع أو نخدع أحد بآية: "من سألك فأعطه"،^٣ لأنه من الأفضل التأني في منح المعمودية تبعاً لظروف واستعداد وعمر كل فرد، ...

لأجل هذا أيضاً نهتم بأن نتأني على غير المتزوجة - التي قد تتعرض للغواية بسبب نضجها إن كانت عذراء، أو بسبب حريتها إن كانت أرملة - إلى أن تتزوج، أو تصبح قوية بما فيه الكفاية لتحيا عفيفة.

فمن أدرك المعنى الخطير للمعمودية سوف يخاف من الحصول عليها، أكثر من خوفه من تأجيلها. فالإيمان السليم هو الضامن للخلاص.^٤

الفصل التاسع عشر

المواعيد الأكثر ملائمة للمعمودية

^١ ذكرت هذه العبارة في النص الأصلي: "سمعان مضيف بولس"، لكن من الواضح أن "ترتليان" قد اختلط عليه الأمر بين بطرس الرسول الذي كان نازلاً عند سمعان الدباغ، وبولس الرسول الذي نزل عند رجل اسمه يهوذا. كما أن حنانيا، وليس "يهوذا" المضيف، هو من قيل له من قبل الله إن: "بولس إناء مختاراً". وذلك الخطأ كان بسبب ارتجال "ترتليان" للعبارة دون مراجعة النص مراجعة دقيقة من الكتاب المقدس. {المترجم}

^٢ (أع ٩: ١٥)

^٣ (لو ٦: ٣٠)

^٤ وهو ما يؤكد أيضاً القديس "كيرلس الأورشليمي"، والمقصود هنا هو التأني الشديد قبل منح المعمودية للكبار الذين لازالوا لا يفهمون معناها. {المترجم}

المعمودية

إن عيد القيامة هو أقدس يوم يناسب إتمام سر المعمودية، حيث فيه تكون آلام الرب التي نعتمد لها قد كملت. وسيكون التفسير المجازي مناسباً إن قلت بالحقيقة: إن الرب حينما أراد الاحتفال بآخر عيد للفصح، وقال لتلاميذه الذين كان قد أرسلهم لإعداد الفصح: "فيلقبكما إنسان حاملاً جرة ماء، اتبعاه"،^١ قد أشار إلى مكان الاحتفال بالفصح بعلامة الماء.^٢

ثم بعد ذلك فترة الخماسين، التي هي أبهج فترة لمنح المعمودية، حيث قد صارت فيها قيامة الرب مؤكدة بتكرار الظهور، وصار مجيء الرب واضحاً بصورة غير مباشرة. ففي هذه الفترة - أي فترة الخماسين بالتأكيد - حينما صعد إلى السماوات، قال الملاك للرسول: "سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء".^٣ وكذلك حينما قال "إرميا" (النبى): "وأجمعهم من أطراف الأرض"،^٤ كان يعني القيامة والخمسين، والتي هي أيام الأعياد كما ينبغي أن تكون.

ومع ذلك، فكل يوم هو يوم للرب، وكل ساعة وكل وقت سيكون مناسباً للمعمودية. وإن كان هناك اختلاف في الطقوس، فبالتأكيد لن يوجد اختلاف في النعمة.^٥

^١ (مر ١٤: ١٣)، (لو ٢٢: ١٠)

^٢ وهو هنا يريد أن يقول إن جرة الماء كانت إشارة للمعمودية التي بها نحصل على بركات القيامة، لأن المعمودية هي دفن مع المسيح ثم قيامة معه. {المترجم}

^٣ (أع ١: ١٠، ١١)

^٤ (أر ٣١: ٨)

^٥ لأن طقس الخماسين يختلف عن باقي أيام السنة، يصلى فيه بالنغمة الفرابجية، ويؤف المَعْمَد

بالحان القيامة. {المترجم}

الفصل العشرون

الاستعداد لقبول المعمودية، والسلوك بعدها.

أما هؤلاء الذين هم على وشك التقدم للمعمودية، فيجب عليهم أن يداوموا على الصلاة بأصوام، وسجود، وأسهار طوال الليل، وباعتراف عن كل الخطايا السالفة. لكي يُظهروا نفس الهدف الذي كان لمعمودية يوحنا، كما جاء في الكتاب المقدس: "واعتمدوا منه... معترفين بخطاياهم".^١ فيجب علينا أن نعترف بشورنا ودنايتنا الآن علانيةً ونحن شاكرين، لأننا بها نُكفّر عن خطايانا السابقة بقمع أجسادنا وأرواحنا، وفي نفس الوقت نضع أساسًا من البداية للدفاع ضد التجارب، التي سوف تأتي عن قريب.^٢ هكذا قال الرب: "اسهروا وصلوا، لئلا تدخلوا في تجربة"،^٣ وأعتقد أن السبب في كونهم قد جُربوا هو أنهم ناموا، ولأجل ذلك تركوا الرب وقت القبض عليه. وحتى الذي ساعده واستخدم السيف أنكره ثلاث مرات.^٤ إن الرب الذي قال: "بضيقاتٍ كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت السماوات"،^٥ هو نفسه على على الفور بعد المعمودية، قد أحاطته التجارب حينما صام أربعين يومًا.^٦ وقد يقول أحدهم: "إذًا، يجب علينا نحن أيضًا أن نصوم بعد المعمودية"، أقول: "نعم، وما هو الذي يمنعك؟ إلا إذا كنت ترى أن الإفطار هو ضرورة للتعبير عن الفرح والشكر لأجل الخلاص؟!".^٧

^١ (يو ٣: ٦)

^٢ (سى ٢: ١)

^٣ (مت ٢٦: ٤١)

^٤ (مت ٢٦: ٥١)

^٥ (أع ١٤: ٢٢)

^٦ (مت ٤: ٢٣)

^٧ وهو سؤال غرضه السخرية.



المعمودية

بقدراتي الضعيفة أعتقد أن الرب أراد أن يرد مجازًا على ملامة شعب إسرائيل التي ألقيها عليه،^١ حيث أن الشعب بعد عبورهم البحر، وحملهم في البرية^٢ لمدة أربعين سنة، رغم أنهم كانوا يقتاتون هناك بالطعام السماوي، مع ذلك كان اهتمامهم ببطونهم وحلوهم أكثر من اهتمامهم بالرب. لأجل ذلك أقتيد الرب وحده إلى الأماكن المقفرة بعد المعمودية، وأظهر ببقائه صائمًا لمدة أربعين يومًا أن إنسان الله يحيا "ليس بالخبز وحده"، بل بكل كلمة تخرج من فم الله،^٣ وأن التجارب التي تحدث بسبب الامتلاء والإفراط في الشهوة يمكن تحطيمها بالزهد.

لذلك أيها المباركون الذين تنتظروهم نعمة الرب، حينما تصعدون من هذا الجرن المقدس الذي لميلادكم الجديد، وتبسطوا أياديكم لأول مرة في بيت أمكم^٤ مع إخوتكم، أطلبوا من الرب أن يزودكم بنعمه وعطاياه الخاصة، وأن يوزع عليكم هباته، فهو من قال: "اسألوا تُعطوا".^٥

فالآن أنتم سألتكم فأخذتم، وقرعتم ففتّح لكم، وكل ما أطلبه منكم هو أن تذكروا "ترتليان" الخاطي أيضًا حينما تطلبون.

^١ (خر ١٦: ٣، ٧)، (عد ٢١: ٥)

^٢ (خر ١٩: ٤)

^٣ (مت ٤: ١-٤)

^٤ الكنيسة

^٥ (مت ٧: ٧)

المراجع

- 1- The Oxford dictionary of The Christian Church.
- 2- Ante-Nicene Fathers vol. 3
- 3- Ante-Nicene Fathers vol. 4

- ٤- الكتاب المقدس الطبعة البيروتية.
- ٥- العلامة ترلتيان. لأنطون فهمي (القس أثناسيوس فهمي).
- ٦- ترلتيان. الأب وليم سيدهم اليسوعي.
- ٧- موسوعة الكتاب المقدس. الإصدار الرابع.
- ٨- قاموس دار المعارف.

فهرس

٧	مقدمة: لنيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس
٩	مقدمة: للقمص تادرس يعقوب ملطي
١٠	مقدمة عامة
١٢	من هو العلامة ترتليان؟
١٢	نشأته
١٣	ايمانه
١٣	ابتعاد ترتليان عن الكنيسة
١٥	نهاية حياته
١٥	طباعه ومميزات اسلوبه
١٦	مؤلفاته
١٦	أولاً: فترة انتمائه إلى العقيدة الأرثوذكسية السليمة
١٨	ثانيًا: الفترة الشبه المونتانيّة
٢٠	ثالثًا: المدة المونتانيّة في حياة ترتليان
٢١	النص الأول: إلى الشهداء
٢٣	مقدمة المترجم
٢٥	الفصل الاول
٢٦	الفصل الثاني

٢٩	الفصل الثالث
٣٠	الفصل الرابع
٣٣	الفصل الخامس
٣٤	الفصل السادس
٣٥	النص الثاني: الصبر
٣٧	مقدمة المترجم
٤١	الفصل الأول:
(١- الصبر عموماً)	(٢- عدم استحقاق ترتليان للكلام عن الصبر)
٤٣	الفصل الثاني: (الله نفسه نموذج للصبر)
٤٣	الفصل الثالث: (تجسد وعمل يسوع المسيح هو أكثر نموذج يُقتدى به)
٤٦	الفصل الرابع:
(١- الواجب علينا الاقتداء بما علّمنا الرب مُعلّمنا، أن نتمثل بالعبيد)	(٢- أو حتى بالبهائم)
(٢- التمثّل بالطاعة هو أساس الصبر)	
٤٧	الفصل الخامس:
(بما أن الله هو أصل الصبر، فالشيطان إذاً هو أصل عدم الصبر)	
٥٢	الفصل السادس: (الصبر هو السابق واللاحق للإيمان)
٥٣	الفصل السابع: (مُسببات عدم الصبر، والوصايا الملائمة لها)
٥٥	الفصل الثامن: (احتمال العنف والسب)
٥٧	الفصل التاسع: (الصبر على فقدان الأحباء)
٥٨	الفصل العاشر: (الانتقام)
٦٠	الفصل الحادي عشر:
	(الأسباب الأخرى لممارسة الصبر، وعلاقتها بالتطويبات)

٦٢

الفصل الثاني عشر

(١- بعض الوصايا الإلهية الأخرى)

(٢- تعريف الرسول للمحبة وعلاقتها بالصبر)

٦٥

الفصل الثالث عشر: (صبر الجسد)

٦٧

الفصل الرابع عشر

(قوة هذا الصبر المزدوج - أي صبر الروح وصبر الجسد - قد تجلّت في قديسي العهد القديم)

٦٨

الفصل الخامس عشر: (ملخص عام لفضائل وتأثيرات الصبر)

٧٠

الفصل السادس عشر

(صبر الوثنيين يختلف تمامًا عن صبر المسيحيين.

صبرهم محكوم عليه بالهلاك، وأما صبرنا فيؤدي إلى الخلاص)

٧٣

النص الثالث: التوبة

٧٥

مقدمة المترجم

٨٠

الفصل الأول: (توبة الوثنيين)

٨١

الفصل الثاني: (التوبة السليمة هي أمر إلهي أوجده الله، ويخضع لشرائعه)

٨٣

الفصل الثالث:

(يمكن تقسيم الخطايا إلى جسدية وروحية، وكلاهما سيخضع للفحص

والعقاب الإلهي بنفس الدرجة، حتى لو كانا غير متساويان في نظر الناس)

٨٦

الفصل الرابع:

(التوبة تناسب جميع أنواع الخطايا، ويجب ممارستها ليس فقط

لأجل فوائدها، لكن لأن الله قد أمر بذلك)

٨٨

الفصل الخامس: (لا يجب العودة إلى الخطية بعد التوبة عنها)

- ٩١ الفصل السادس:
- (يجب ألا ننتهون عند نوال المعمودية، فإنها تحتاج أن يسبقها توبة ظاهرة بتعديل نمط الحياة)
- ٩٥ الفصل السابع: (التوبة في حالة من أخطأ بعد المعمودية)
- ٩٨ الفصل الثامن: (أمثلة من الكتاب المقدس تؤكد أن الرب يريد المغفرة)
- ١٠٠ الفصل التاسع:
- (بخصوص المظاهر الخارجية التي ينبغي أن ترافق هذه التوبة الثانية)
- ١٠٢ الفصل العاشر:
- (تهرب الناس من التوبة الثانية ومن الاعتراف، وعدم منطقية هذا التهرب)
- ١٠٤ الفصل الحادي عشر: (انتقادات أخرى للاعتراف)
- ١٠٤ الفصل الثاني عشر: (تأملات أخرى للحث على الاعتراف)
- ١٠٩ **النص الرابع: الصلاة**
- ١١١ مقدمة المترجم
- ١١٤ الفصل الأول: (مقدمة عامة)
- ١١٦ الفصل الثاني: (الجملة الأولى من الصلاة الربانية)
- ١١٧ الفصل الثالث: (الجملة الثانية)
- ١١٩ الفصل الرابع: (الجملة الثالثة)
- ١٢٠ الفصل الخامس: (الجملة الرابعة)
- ١٢١ الفصل السادس: (الجملة الخامسة)
- ١٢٣ الفصل السابع: (الجملة السادسة)
- ١٢٤ الفصل الثامن: (الجملة السابعة والأخيرة)
- ١٢٥ الفصل التاسع: (تلخيص)

١٢٦

الفصل العاشر:

(في إمكانية إضافة صلوات خاصة إلى جانب الصلاة الربانية)

١٢٧

الفصل الحادي عشر:

(عندما تصلي "الأبانا" لا يجب أن تكون غاضب من أخيك)

١٢٨

الفصل الثاني عشر: (لا بد أن نتحرر كذلك من كل اضطراب عقلي)

١٢٨

الفصل الثالث عشر: (غسيل الأيدي)

١٢٩

الفصل الرابع عشر: (إضافة)

١٣٠

الفصل الخامس عشر: (في خلع العباءات)

١٣١

الفصل السادس عشر: (الجلوس بعد الصلاة)

١٣٢

الفصل السابع عشر: (الأيادي المرفوعة)

١٣٣

الفصل الثامن عشر: (قبلة السلام)

١٣٥

الفصل التاسع عشر: (أيام الاحتراس)

١٣٦

الفصل العشرون: (ملابس النساء)

١٣٦

الفصل الحادي والعشرون: (العذاري)

١٣٧

الفصل الثاني والعشرون: (الإجابة على المناقشة السابقة)

١٤٢

الفصل الثالث والعشرون: (السجود)

١٤٣

الفصل الرابع والعشرون: (مكان الصلاة)

١٤٣

الفصل الخامس والعشرون: (أوان الصلاة)

١٤٥

الفصل السادس والعشرون: (انصراف الاخوة)

١٤٥

الفصل السابع والعشرون: (إضافة مزموّر للصلاة)

١٤٦

الفصل الثامن والعشرون: (الصلاة هي الذبيحة الروحية)

١٤٧

الفصل التاسع والعشرون: (قوة الصلاة)

١٥١	النص الخامس: المعمودية
١٥٣	مقدمة المترجم.
١٥٦	الفصل الأول: (مقدمة عن الغرض من المقالة)
١٥٧	الفصل الثاني:
	(البساطة الشديدة لأسلوب الله في العمل، هي حجر العثرة للعقل المادي)
١٥٩	الفصل الثالث:
	(١- لماذا أختير الماء كوسيلة للعملية الإلهية؟)
	(٢- ظهور المياه أولاً في عملية الخلق)
١٦١	الفصل الرابع:
	(١- الرفقة الأولى لروح الله على المياه كانت رمزاً للمعمودية)
	(٢- المادة المائية عموماً صنعت قناة للتقديس)
	(٣- التشابه ما بين الرموز الخارجية والنعمة الداخلية)
١٦٣	الفصل الخامس:
	(١- استخدام الوثنيين للماء)
	(٢- ملاك بركة بيت حسدا)
١٦٦	الفصل السادس:
	(١- الملاك كان ينذر بما سيعمله الروح القدس فيما بعد)
	(٢- المعنى الذي يحويه طقس المعمودية)
١٦٨	الفصل السابع: (المسحة)
١٦٩	الفصل الثامن: (١- وضع اليد)
	(٢- الطوفان والحمامة)
١٧١	الفصل التاسع: (١- البحر الأحمر)
	(٢- الماء من الصخرة)
١٧٣	الفصل العاشر: (معمودية يوحنا)
١٧٥	الفصل الحادي عشر: (الرد على الاعتراض بأن الرب لم يكن يُعمد)

١٧٧ الفصل الثاني عشر: (ضرورة المعمودية لأجل الخلاص)

١٨٠ الفصل الثالث عشر:

(اعتراض آخر يقول "لقد أَرْضَى إبراهيم الرب بدون أن يعتمد".

الإجابة على ذلك أن: "الاشياء العتيقة لابد أن تعطى مكاناً للجديدة،

والمعمودية الآن قد أصبحت شرطاً")

١٨١ الفصل الرابع عشر: (تصريح بولس بأنه لم يأتي ليُعَمِّد)

١٨٢ الفصل الخامس عشر:

(١ - وحدانية المعمودية) (٢ - ملاحظات على المعمودية الهراطقة واليهود)

١٨٣ الفصل السادس عشر: (المعمودية الثانية - المعمودية الدم)

١٨٤ الفصل السابع عشر: (القدرة على منح المعمودية)

١٨٧ الفصل الثامن عشر: (من هو الذي ينال المعمودية؟ ومتى؟)

١٨٨ الفصل التاسع عشر: (المواعيد الأكثر ملائمة للمعمودية)

١٩٠ الفصل العشرون: (الاستعداد لقبول المعمودية، والسلوك بعدها)

١٩٢ *المراجع*

١٩٣ *الفهرس*



يطلب من مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس - سبورتنج
ت: ٠٣٥٩١٩٨٨٨ - فاكس: ٠٣٥٩٠٢٨٨٨
ومن مكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس - البحر الأحمر

"صَدِّقْنِي، كُلَّمَا قَلَّتْ شَفَقَتِكَ عَلَى نَفْسِكَ،
كُلَّمَا أَشْفَقَ اللَّهُ عَلَيْكَ."

نص التوبة

